Bājūrī

هذا الكتاب حاشية العلامة الفاضل
الحبر البحر النحرير الكامل شيخ مشايخ
الاسلام وقدوة جميع الانام
مولانا الشيخ ابراهيم الباجوري
على متن البردة للعارف بالله
تعالى البوصيري
نفعنا الله به
وللمسلمين
م

Digitized by Google

(RECAP)
2269
.22
.567
1813



بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن شرح بمدح نبيه قلوب اوليائه وو شحهم ببردة محاسنه وطيب ثنائه وصلاة وسلاماً على من خصه بخواص هباته وكمله باكمل عناياته اما بعد فيقول راجي غفور ربه الكريم عبده البيجوري ابراهيم اعلم ان مدحه صلى الله عليه وسلم لم يتعاطه فحول الشعراء المتقدمين لان كمالاته صلى الله عليه وسلم لا تحصى وشمائله لا تستقصى فالمادحون لجنابه العلي والواصفون لكماله الجلي مقصرون عما هنالك قاصرون عن اداء ذلك كيف وقد وصفه الله في كتبه بما يبهر العقول ولا يستطاع اليه الوصول فلو بالغ الاولون والآخرون في حصر مناقبه لعجزوا عن ضبط ما حباه مولاه من مواهبه ولقد احسن من قال

ارى كل مدح في النبي مقصراً	وان بالغ المثني عليه واكثرا
اذا الله اثنى بالذي هو اهله	عليه فما مقدار ما تمدح الورى

فكل غلو في حقه تقصير ولا يبلغ البليغ الا قليلاً من كثير لكن المتاخرون رأوا مدحه بالشمائل والكمالات من اعظم القرب والطاعات لاجل التعلق بجنابه الشريف والتبرك بخدمة قدره المنيف فاكثروا من مدحه وتفننوا فيه فنوناً كثيرة ومن اجلهم الامام الكامل والهمام العالم العامل البليغ الاديب اشعر العلماء وافصح الحكماء الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري ومما صاغه صوغ الذهب الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر قصيدته المشهورة بالبردة وانما اشتهرت بذلك لانه لما نظمها بقصد البرء من داء الفالج الذي اصابه فابطل نصفه حتى اعجز الاطباء راى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فمسح بيده عليه ولفه في بردته فبرئ لوقته كما ذكره الناظم في تعليقه وقال بعضهم الاولى ان يقال لهذه القصيدة براة لان المؤلف برئ بها والتي حقها ان يقال لها بردة بانت سعاد التي هي قصيدة كعب بن زهير لان النبي صلى الله عليه وسلم

لجازه

اجازه عليها بردة حين انشدها بين يديه وقد سألني بعض الاخوان اصلح الله لي وله الحال والشان ان اكتب عليها حاشية تبين مقصودها وتبرز مرادها فاجبته لذلك وان كنت لست اهلا لما هنالك فالتقطت بعض العبارات واجتنيت بعض الثمرات فقلت وبالله التوفيق لاقوم طريق قد اشتهر ابتداء هذه القصيدة ببيت مشتمل على الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو الحمد لله منشي الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القدم وهو ليس منها لانه وان كان ثناء حسنا في ذاته الا ان ابتداء القصائد به غير مستحسن عند الادباء لما جرت به عادتهم من افتتاح قصائدهم بذكر لوازم العشق من ذكر الاحبة وديارهم ومقاساة الاحزان والاشواق وتحمل مكاره الفراق ويسمون ذلك غزلا وتشبيبا ويعدون هذا الصنيع من حسن المطلع لاهتمامهم بشان العشق واعتنائهم بشدائده ولذلك قال بعضهم لا يبدأ الشعر بالبسملة والحمدلة وقد جرت عادة الشعراء بانهم يجردون من انفسهم شخصا يحاورونه دلالا وعتابا وسؤالا وجوابا ايهاما لندرة خبير يظهرون رموز العشق عليه وتخييلا لقلة صديق يضمرون كنوز الحب لديه ولما كان الناظم من ابلغهم وافصحهم صنع هذا الصنيع كما ستراه ان شاء الله تعالى

امن تذكر الخ قد جرد للمصنف من نفسه شخصا مزج دمعه الجاري من مقلته بالدم وخاطبه بذلك مستفهما عن سبب مزج الدمع الجاري من مقلته بالدم ما هو هل هو تذكر الجيران المقيمين بذي سلم او هبوب الريح من جهة كاظمة وايماض البرق في الليلة الظلماء من اضم وعلم من ذلك ان الهمزة للاستفهام ومن للتعليل فهي بمعنى لام الاجل وهي متعلقة بقوله مزجت وقدمها عليه تنبيها على ان الشك ليس في نفس المزج اذ هو ثابت مشاهد بل الشك في سببه والتذكر مصدر تذكر ماخوذ من الذكر بالضم وهو ضد النسيان والجيران بكسر الجيم جمع جار واضافة التذكر اليه من اضافة المصدر لمفعوله بعد حذف الفاعل والاصل تذكرك جيرانا فحذف الفاعل واقيم المفعول مقامه والمراد بالجيران المحبوبون لان من لازم الجوار الذي هو الملاصقة في الاصل المحبوبية فالناظم قد اطلق اسم الملزوم واراد اللازم على سبيل المجاز المرسل والباء للظرفية فهي بمعنى في والمراد بذي سلم موضع بين مكة والمدينة قريب من قديد وهو محل هنالك ايضا والمزج الخلط وقيل اخص منه لانه لا يكون الا فيما يصير بعد الخلط حقيقة واحدة بخلاف الخلط فانه لا يختص بذلك وكنى بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء والدمع ما يصعد الى الدماغ فيسيل من مجرى العيون بسبب شدة الحرارة الغريزية عند حادث سرور او حزن ويكون باردا للسرور وساخنا للحزن فيكون كالماء الشديد الحرارة اذا فارق النار القوية لا يبرد الا بعد حين فاذا عظمت الحرارة قلت الرطوبة فيخرج مع الدمع دم لانه اقرب من غيره

Digitized by Google

لعموم الاعضاء وسريانه في سائر العروق فاذا طال البكاء جف الدم فيبيض الدمع ويقال
حينئذ شاب الدمع والجري السيلان بشدة ولذلك عبر الناظم بجري دون سال والمقلة
شحمة العين التي تجمع السواد والبياض وفيها الحدقة التي هي السواد الذي في وسط العين
وتلك الحدقة فيها الناظر ولشدة صفائه كانت العين كالمرآة اذا استقبلها شخص
رأى صورته فيها وأفرد الناظم المقلة لان العرب قد يطلقونها ونظائرها مفردة
ويريدون بها المثنى كما قال بعضهم بكت عيني وحق لها بكاها ويحتمل انه بناه على الرجاء
والخوف فاذا نظر بمقلة الخوف بكى واذا نظر بمقلة الرجاء سر قال الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقي ... باخرى المنايا فهو يقظان نائم

ومن الداخلة على المقلة ابتدائية وهي متعلقة بجري واعترض بان هذه الجملة حشو
لا فائدة فيها لان الدمع لا يكون الا كذلك واجيب بانها ليست حشوا بل للاحتراز
عما يحتمله الكلام لولا هذه الجملة من انه مزج الدمع بعد انفصاله من العين بالدم وليس
مرادا وفي هذا الجواب نظر لان هذا الاحتمال قائم مع هذه الجملة والاظهر في الجواب
انها تاكيد والدم احد الامشاج الاربعة التي خلق منها الانسان والباء الداخلة عليه
للتعدية بالنظر لقوله مزجت وللمصاحبة بالنظر لقوله جرى فقد تنازعه كل منهما
والمراد بدم منك كما قدره بعض الشارحين ليخرج ما يحتمله الكلام لولا هذا التقدير
من انه مزج الدمع بعد انفصاله بدم اجنبي والتنوين في قوله جيران ودمعا ومقلة
ودم اما للتعظيم واما للتنويع وفي هذا البيت براعة استهلال لان فيه اشارة الى ان
هذه القصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكر فيه المواضع التي بقرب المدينة
الشريفة وفيه ايضا الجناس الناقص حيث ذكر فيه الدمع والدم فانهما مختلفان بزيادة
العين ونقصانها ... ام هبت الريح الخ لما كانت الهمزة لا بد لها من معادل اتى للهمزة
بما يعادلها فقال ام هبت الريح الخ فأم متصلة وهي حرف عطف يطلب بها وبالهمزة
التعيين وجملة هبت الريح في تأويل المفرد اي ام هبوب الريح وكذا جملة او مض البرق
اي وايماض البرق فكل من الفعلين مؤول بمصدر وان لم يكن هناك سابك لان وجود
السابك امر اغلبي والا فقد لا يوجد كما في قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه
فان الفعل فيه مؤول بمصدر مع عدم وجود السابك على بعض الاقوال وواو العطف
اما على حقيقتها كما هو المتبادر فيكون الترديد بين الشيء والشيئين او بمعنى او فيكون
الترديد بين ثلاثة اشياء على سبيل منع الخلو فان كلا من تذكر الجيران وهبوب الريح
من جهة كاظمة وايماض البرق من اضم سبب للبكاء وموجب للافراط فيه اما التذكر
فلانه يحصل به التحسر على ما مضى من وصل الاحبة ومؤانستهم ولقد احسن من قال

تذكرت

ام هبت الريح من تلقاء كاظمة ... واومض البرق في الظلماء من اضم

Digitized by Google

تذكرت اياما لنا وليا ليا مضت فجرت من ذكرهن دموع الا هل لنا يوما من الدهر اوبة وهل الى ذكر الحبيب رجوع وَاما هبوب الريح من جهة كاظمة فلان المحب دائما يفكر فى محاسن محبوبه فاذا هبت الريح من جهة موضعه تخيل انها حملت روائحه اليه وَاما ايماض البرق من اضم فلان من عادة المحبين ان يرتاحوا للبرق اذا لمع من جهة ديار الاحبة لكون البرق مما يذكر صفات المحبوبين للطافته وايضا المحب يتخيل عند لمعان البرق انه يرى ديار المحبوب وهبوب الريح هيجانها وَالريح جسم لطيف شفاف غير مرئى يهب بمقدار مخصوص فى وقت مخصوص واذا اتت مفردة فالغالب انها العذاب واذا اتت مجموعة فالغالب انها الرحمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لان ريح العذاب واحدة وهى الدبور وعليها خزنة فعتت عليهم فخرجت من مقدار خاتم فاهلكت عادا ولو خرجت من مقدار انف ثور لاهلكت الدنيا وافردها الناظم هنا لان الحب وان كان عذابا لكنه مختلط بعذاب وتلقاء بمعنى حذاء وكاظمة اسم موضع كما قاله الجوهرى وقال غيره اسم ماء والايماض اللمعان الخفيف وان اطلقه بعضهم عن التقييد بالخفيف وَالبرق عند اهل السنة اجنحة ملك يسوق بها السحاب وقيل ضحكه فقد نقل الشافعى فى الام عن الثقة عن مجاهد ان الرعد ملك وَالبرق اجنحته وروى انه صلى الله عليه وسلم قال بعث الله السحاب فنطقت احسن النطق وضحكت احسن الضحك فالرعد نطقها وَالبرق ضحكها اى لمعان النور من فمها وَاما قول بعض الشارحين انه صوت ملك يزجر السحاب الى الجهة التى يريدها الله تعالى ففيه نظر واما عند اهل الهيئة فهو نار يحدث عند شدة اصطكاك الهواء بعضه مع بعض ولذلك اكثر ما يكون عند انتقال الزمان من الحرارة الى البرودة وعكسه وَالظلماء صفة لموصوف محذوف وَالتقدير فى الليلة الظلماء اى ذات الظلمة وانما خص الليلة الظلماء بالذكر لان الضوء فى الظلمة اجلى وقد اختلف فى الظلمة فقيل امر وجودى يضاد النور قائم بالهواء وقيل امر عدمى واضم بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة اسم لجبل وقيل اسم لواد بقرب المدينة الشريفة وفائدة هذين البيتين انهما يكتبان فى جام اى قزاز ويمحيان بماء المطر ويسقى المحو للبهيمة التى صعب تعليمها وتذليلها فاذا شربت ذلك ذلت وانقادت وتعلمت بسرعة واذا كان عندك عبد اعجمى وعسر عليك تعليمه كلام العرب فاكتب هذين البيتين فى رق غزال ثم علقه على عضده الايمن فانه يتكلم بالعربية فى اسرع وقت فما لعينيك الخ لما سئل الناظم عما ذكر ولم يرد المسئول عليه جوابا لان من شأن المحبين ان يكتموا الحب فى اول الامر بل جرت عادتهم بانكاره بالمرة نزل الناظم المسئول منزلة المنكر وتعجب من حاله على فرض صدقه فى الانكار فقال فما لعينيك الخ اى اذا صدقت فى انكارك الحب فاى شئ ثبت لعينيك اوجب

فما لعينيك ان قلت اكففا همتا
وما لقلبك ان قلت استفق يهم

لهما انك ان قلت لهما اكفغا همتا واى شئ ثبت لقلبك اوجب له انك ان قلت له استفق
يهيم فالفاء للافصاح وجعلها بعضهم للعطف لكن الاول اظهر وما فى الموضعين اسم
استفهام مبتدا خبره الجار والمجرور بعده وجملة قوله اكففا فى محل نصب مقول القول
وكذلك جملة قوله استفق ومعنى اكففا امسكا عن البكاء وهمتا بمعنى سالتا مأخوذ
من الهميان وهو السيلان فاصله هميتا قلبت ياؤه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم
حذفت الالف لالتقائها ساكنة مع التاء التى اصلها السكون وان عرض تحركها لمناسبتها
الالف وفى كلامه حذف التمييز المحول عن الفاعل اى همتا دمعا والاصل همى دمعهما
فحول الاسناد عن الدمع اليهما واتى به تمييزا لكن حذفه الناظم والقلب لحم صنوبرى
الشكل اى شكله على شكل الصنوبر لانه دقيق الاسفل غليظ الاعلى كهيئة قمع السكر
وقال بعضهم القلب سر وضعه الله فى هذه اللحمة فتسميتها قلبا لحلوله فيها والسين
والتاء فى استفق زائدتان فمعناه افق مما انت فيه وقوله يهيم مضارع هام يهيم
اذا قام به الهيام وهو داء كالجنون ينشأ من العشق وغيره وفى هذا البيت الطباق
لانه جمع فيه بين متقابلين فى كل من الشطرين اما الشطر الاول فجمع فيه بين قوله
اكففا وقوله همتا واما الشطر الثانى فجمع فيه بين قوله استفق وقوله يهيم

ايحسب الصب الخ لما سأل المصنف المخاطب السؤال المسكت والزمه الالزام المبهت
رجع الى تغليطه فى الانكار فقال ايحسب الصب الخ والهمزة للاستفهام الانكارى
ويحسب بكسر السين وفتحها اى يظن وكان مقتضى ما سبق ان يعبر المصنف بلفظ الخطاب
لكنه التفت الى الغيبة لما جرت به عادة الادباء من تغيير كلامهم من اسلوب لاسلوب آخر تكلما
وخطابا او غيبة تنشيطا للسامع والصب العاشق من قولهم صب الماء لانه لما كان
كثير البكاء فكانه يصب الدمع وقال بعضهم من الصبابة وهى رقة العشق وحرارته
وجملة ان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولى يحسب والحب عرفه بعضهم بانه
صفاء المحال بين المحب والمحبوب وقوله منكتم اى مستتر وما اسم موصول بمعنى
الذى فى محل نصب على انه بدل من الحب او صفة له وصدر الصلة محذوف اى
الحب الذى هو بين الخ كذا قال بعض الشارحين وهو اظهر من جعل بعضهم ما
زائدة وجعله بين ظرفا لقوله منكتم وكل من منسجم ومضطرم صفة لموصوف محذوف
والتقدير ودمع منسجم منه وقلب مضطرم والمنسجم السائل من قولهم انسجم الماء سال
والمضطرم المشتعل من قولهم اضطرمت النار اشتعلت والمعنى لا يظن العاشق
ان الحب مستتر عن الناس الذى هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب وكل
منهما من آثار الحب مع كونهما ظاهرين وحينئذ فانكار الحب غلط

لولا

Digitized by Google

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ولا ارقت لذكر البان والعلم

لولا الهوى الخ لما غلط المص المسئول فى انكاره الحب استدل عليه بأدلة فقال لولا الهوى الخ
والهوى مصدر هوى بكسر الواو اذا احب فهو بمعنى الحب وهو مبتدأ والخبر محذوف اى موجود
ولولا حرف يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط فالمعنى امتنع عدم اراقتك دمعا على
طلل لوجود الهوى وقوله لم ترق دمعا اى لم تصبه يقال اراق الماء اى صبه ويقال هراق
ايضا بمعناه وكان مقتضى قوله ايحسب الخ ان يقول لم يرق بياء الغيبة لكنه التفت
الى الخطاب بما تقدم والطلل ما بقى من آثار الدار مرتفعا فان لم يكن مرتفعا بان كان
ملتصقا بالارض كان رسما وعلى الداخلة عليه للتعليل اى لاجل طلل هذا ان لم يقدر وقوفه
على الطلل كما هو المتبادر والا كانت بمعنى فى وقوله ولا ارقت الخ عطف على قوله لم ترق الخ
وارقت بكسر الراء بمعنى سهرت والبان شجر طيب الريح ويتخذ منه دهن يعرف بدهن البان
والعلم يطلق على معان منها الجبل والرمح اى ولا سهرت لذكر البان والعلم الكائنين بمحل
المحبوب وعلى هذا فالبان والعلم باقيان على معناهما ويحتمل انه شبه المحبوب بهما فى طيب
الرائحة وحسن الهيئة وطول القامة وانما اورثه ذكرهما السهر لان النوم انما يكون من
الرطوبة الصاعدة من المعدة الى الدماغ والمحب تكثر حرارته فتنتفى عنه الرطوبة وحينئذ
فلا ينام وتلك الرطوبة تنشأ غالبا عن كثرة الطعام والشراب والمحب يلهيه حبه عن
اكله وشرابه فتنتفى رطوبته وتتضاعف حرارته لاسيما عند ذكر معاهد الاحباب او ما
هو شبيه بالاحباب وفى هذا البيت شبه الاشتقاق حيث جمع فيه بين ترق وارقت

ولا اعارتك لونى عبرة وضنى ذكرى الخيام وذكرى ساكنى الخيم

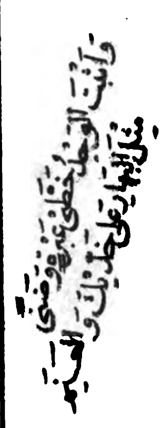
ولا اعارتك الخ لما ذكر المص دليلين اردفهما بدليل ثالث على ما فى بعض النسخ الذى
شرح عليها بعض الشارحين لكن لم يوجد ذلك فى كثير من النسخ وهو معطوف على قوله لم ترق
الخ ومعنى اعارتك اعطتك على سبيل العارية وقوله لونى عبرة وضنى معمول لاعارتك
وفاعله ذكرى الخ والمراد باللونين هنا النوعان والعبرة بفتح العين الدمع والضنى المرض
فانسجام الدموع على النحر بمثابة الدر المعلق عليه وذلك لون العبرة ورقة جسمه وصفرة
لونه كثوب بديع الرقة والصبغ وذلك لون الضنى وفى الكلام استعارة بالكناية وتخييل
لانه شبه لونى العبرة والضنى بلباسين بجامع الزينة فى كل اما فى المشبه به فظاهر واما
فى المشبه فلان آثار الحب زينة عند المحب فيتزين بها كما يتزين باللباس تشبيها مضمرا
فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من ملايماته وهو الاعارة وقوله ذكرى
الخيام وذكرى ساكنى الخيم اى تذكر الخيام وتذكر ساكنى الخيم فالذكرى فيهما بمعنى
التذكر وكل من الخيام والخيم جمع خيمة وهى بيت تتخذه العرب من عيدان الشجر وحذفت
النون من ساكنين للاضافة ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت به عليك عدول الدمع والسقم

فكيف تنكر حبا الخ
لما اقام المص على المسئول الادلة على حبه مع صحة نتيجتها انكر عليه دوامه بعد ذلك على الانكار فقال

فكيف تنكر الخ والفاء للافصاح لانها افصحت عن شرط محذوف والتقدير اذا قامت عليك الادلة فكيف تنكر الخ وكيف حال مقدمة مضمنة معنى الاستفهام على وجه الانكار ومعنى تنكر تجحد والجحد هو النفي بعد العلم بخلاف قبله وقوله حبا معمول لتنكر وبعد ظرف له وما يحتمل ان تكون مصدرية وهو الظاهر فالفعل بعدها وهو شهدت مؤول بمصدر والضمير فيه عائد على الحب والتقدير على هذا بعد شهادة عدول الدمع والسقم به عليك ويحتمل ان تكون اسم موصول بمعنى الذي وجملة شهدت صلته والضمير في به عائد على ما والتقدير على هذا بعد الذي شهدت عليك الخ وفي شهدت استعارة تصريحية تبعية لانه شبه الدلالة الواضحة بمعنى الشهادة بجامع الوضوح في كل واستعار الشهادة للدلالة واشتق من الشهادة بمعنى الدلالة شهدت بمعنى دلت ولفظ العدول ترشيح للاستعارة والعدول جمع عدل والدمع هو الماء الجاري من العين والسقم بفتحتين المرض ويقال فيه سقم بضم فسكون لكن في غير النظم كما قاله شيخ الاسلام واضافة عدول للدمع والسقم للبيان او من اضافة الصفة للموصوف واستعمال الجمع في الاثنين كما هنا كثير شائع واعترض هذا الجمع بان العدل مصدر وهو لا يثنى ولا يجمع واجيب بان محل قولهم ان المصدر لا يثنى ولا يجمع ان اعتبرت مصدريته وهنا قد اعتبر ما نقل اليه وانما ذكر كونهم عدولا للاشارة الى انه لا يمكن المخاطب رد شهادتهم

واثبت الوجد الخ اي وبعد ما اثبت الوجد الخ فهو معطوف على شهدت والوجد هو الحزن بسبب الحب وقيل نيران اشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب واسناد الاثبات الى الوجد مجاز عقلي من قبيل الاسناد الى السبب كما في قولهم سرتني رؤيتك وقوله خطي عبرة بفتح العين كما تقدم اي خطين من الدموع وقوله وضنى عطف على خطي عبرة لكن على تقدير مضاف اي واثر ضنى وقوله مثل البهار الخ صفة لكل من خطي العبرة ومن الضنى لكن على اللف والنشر المشوش لان البهار بفتح الباء الموحدة ورد اصفر واثر الضنى صفرة الوجه فاثر الضنى مثل البهار في الصفرة والعنم بفتح العين والنون شجر له اغصان حمر وقيل ورد احمر والخطان من العبرة احمران لامتزاج الدمع بالدم فالخطان من العبرة مثل العنم في الحمرة وقوله على خديك متعلق باثبت فتقدير البيت واثبت الوجد على خديك خطي عبرة مثل العنم واثر الضنى مثل البهار والمعنى وكيف تنكر حبا بعد ما اثبت الوجد على خديك علامتين ظاهرتين على الحب فكل من رآك يعرف الحب في وجهك وفائدة الابيات الخمسة التي اولها فما لعينيك ان الرجل اذا اتهم زوجته او بنته او عبده كتب هذه الابيات في ورقة من ورق الاترج ووضعها على يد المتهوم اليسرى وهو نائم ويجعل اذنه على فمه فانه ينطق بجميع ما فعله في غيبته خيرا او شرا وكذلك اذا اسرق له شيء واتهم احدا او شك في احد فليكتب هذه الابيات في جلد ضفدع مدبوغ وياخذ لسان الضفدع ويجعله



في الجلد

Digitized by Google

نعم سرى طيف من اهوى فارقني
والحب يعترض اللذات بالالم

يا لائمي في الهوى العذري معذرة
مني اليك ولو انصفت لم تلم

فى الجلد المذكور وَيعلق ذلك الجلد فى عنق المتهوم فانه يقر فى ساعته لدهشته نعم
سرى الخ لما انضح حال المسئول مما هو عليه من الحب ولم يبق له سبيل الى الانكار أقر واعترف
بذلك حيث قال نعم الخ هكذا قال بعض الشارحين وعليه فالناظم لم يرجع من التجريد الى
التكلم وقال بعضهم لما انكشف كون المسئول محبا وكان هو المتكلم فى المعنى رجع من التجريد الى
التكلم واعترف بذلك حيث قال نعم الخ والاول اقرب ونعم حرف ايجاب لما سبق فكانه قال صدقت
ايها السائل فيما نسبتني اليه من الحب وان سبب مزج الدمع الجارى من المقلة بالدم تذكر
المحبوبين كما هو الشق الاول من السؤال السابق فقال له السائل وما سبب تذكرك لهم فقال
سرى الخ وصلة سرى محذوفة والتقدير سرى الى اى سار الى ليلا لان السرى هو السير
ليلا وقوله طيف من اهوى اى خيال من احب فالطيف خيال المحبوب واهوى مضارع هوى
بكسر الواو بمعنى احب بخلاف هوى بفتح الواو فانه بمعنى سقط وسبب ذلك الخيال ان النفس
اذا ولعت بشئ حصلت صورته فى القوة المخيلة فترى خياله فى المنام كثيرا وقوله فارقني
اى اسهرني لانه لما تذكر الحب ثارت عليه الحرارة وانتفت عنه الرطوبة فارتفع عنه النوم كما تقدم
وقوله والحب يعترض اللذات بالالم اى يدفعها بالالم يقال اعترضه بالسهم اذا دفعه به
فالالم هنا بمنزلة السهم واللذات بمنزلة الشخص المرمى ويحتمل ان المراد ان الحب يجعل الالم
عرضة فى اللذات فيصير الالم كالخشبة المعترضة فى النهر ويحتمل ايضا ان المعنى ان الحب
يغيب اللذات بالالم فانه يقال عرض الشئ اذا غيبه والمراد باللذات ما كان فيه من النوم
والتسلى عن المحبوبين وبالالم ما ينشأ عن الحب من شدة الوجد وحاصل المعنى انه صدق
فيما نسبه اليه من الحب بقوله نعم ثم ذكر له سبب تذكره للمحبوبين بقوله سرى طيف من اهوى وذكر
انه اسهره بقوله فارقني وذكر انه بعد ان كان فى لذة صار فى الم ولذلك قال والحب يعترض
اللذات بالالم ولبعضهم فى هذا المعنى وزارني طيف من اهوى على حذر من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا وفائدة هذا البيت ان من كرره
بعد صلاة العشاء حتى يغلب عليه النوم فانه يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم فى منامه ان
شاء الله تعالى يا لائمي الخ لما اقر المسئول بالحب لامه السائل فيه فرجع المسئول على السائل
يوبخه فى لومه عليه فقال يا لائمي الخ وهذا كما ترى مبنى على بقاء التجريد واما على ان الناظم رجع
عن التجريد الى التكلم فيكون اللوم قد استشعر لائما عليه لان المحب اذا اقر بالحب لام عليه غيره
فوبخه اللوم على لومه عليه وقوله فى الهوى العذرى بالذال المعجمة اى الهوى المنسوب الى بني عذرة بضم
العين وهى قبيلة مشهورة باليمن يؤدى بهم العشق الى الموت لصدقهم فى الحب ورقة قلوبهم
والمقصود من النسبة التشبيه فالمراد ان هواه مشتبه بهوى بني عذرة وقيل الهوى العذرى
هو الحب الذى من شانه ان يقبل عذر صاحبه عند كل احد لكونه مفرطا وقوله معذرة اى

Digitized by Google

اعتذر معذرة او اقدّم معذرة فهو بالنصب على انه مفعول لفعل محذوف ويصح قراءته
بالرفع على انه مبتدا خبره قوله مني اليك اي صادرة مني اليك او مبتدا محذوف والتقدير
هذه معذرة وتكون الاشارة راجعة لقوله سابقا سرى طيف الخ فالمعذرة على هذا خصوص
ذلك بخلافه على ما قبله فانه يحتمل ان تكون هي ذلك وان تكون قوله الآتي لا سري بمستتر
عن الوشاة ولا داءي بمنحسم وان تكون معذرة معروفة في الخارج وهي ان يقول المحب للعاذل
اني محب والمحب لا يلام سيما من كان حبه عذريا وقوله ولو انصفت لم تلم اي لان الحب ليس
اختياريا حتى يلام عليه بل هو قهري ولا يلام الا على الامر الاختياري كما قال القائل
وعيب الفتى فيما اتى باختياره ولا عيب فيما كان خلقا مركبا لكن كون الحب ليس
اختياريا بل هو قهري بعد تحكمه والا فمبدؤه اختياري او لان اللوم على الهوى لا يكون الا
ممن ذاقه والمخاطب لم يذقه ولذلك قال بعض الصوفية لا ينبغي للشخص ان يتكلم على حال
الا اذا ذاقها والى هذا المعنى اشار ابن الفارض بقوله دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى
واذا عشقت فبعد ذلك عنّف وفائدة هذا البيت وما بعده انك اذا رايت منكرا
ولم تقدر على ازالته فاكتبهما في ورقة بزعفران ومسك وماء ورد ويكون تفصيل تلك
الورقة دائرة ثم اجعلها بين عينيك تحت العمامة فتقوى على ازالته باذن الله تعالى
واذا اردت ان تقهر نفسك على اقامة شعائر الدين فواظب على قراءتهما خلف كل صلاة

عذلتك حالي الخ لما ابدى له المعذرة في الهوى وبخه في اللوم عليه فلم يرجع عن اللوم
استعطفه بالدعاء له فقال عذلتك حالي الخ اي جاوزتك حالي كما يقول الشخص لغيره
لا اراك الله حالي وعلى هذا فالجملة دعائية ويحتمل انها استفهامية بتقدير همزة الاستفهام
وعليه فالمعنى أجاوزتك حالي فلم تعذرني ويحتمل ايضا انها خبرية وعليه فالمراد الاخبار بانه
جاوزته حاله ولم يصب بمصيبته حتى يعلم قدر ما هو فيه ولا يلومه ولو اصيب لعلم قدر ما هو
فيه ولم يلمه هذا كله ان فسر عدتك بمعنى جاوزتك كما تقرر فان فسر بمعنى تعدّت اليك
اي وصلت كما قال بعض الشارحين كان القصد الدعاء عليه لا له او الاستفهام من ذلك
بتقدير همزة الاستفهام والمعنى عليه او وصلت اليك حالي حتى تلومني وقوله لا سري بمستتر
عن الوشاة مستأنف استئنافا بيانيا لانه واقع في جواب سؤال مقدر فكأن اللائم قال
له وما حالك التي استعظمتها فاجابه بذلك والسر ما يكتمه الشخص عن غيره والوشاة جمع
واش وهو الذي يشي الحديث بين المحب والمحبوب اي يزينه ويزخرفه لاجل الفساد بينهما
ومن المعلوم ان الوشاة اعداؤه فاطلاعهم على سره يسيئه وقوله ولا داءي بمنحسم اي ولا
داءي الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته كما هو شان المحب فانه اذا
اشتد عليه الحال وواصله المحبوب وآنسه انقطع داؤه لكن هذا الامر اغلبي والا فهناك

عذلتك حالي لا سري بمستتر
عن الوشاة ولا داءي بمنحسم

Digitized by Google

من يزيد عليه الحال بوصل المحبوب ومؤانسته   محضتنى النصح الخ لما لم يفد معه
الاستعطاف فلم يرجع عن اللوم اعترف له بانه اخلص له فى النصح من باب التسليم الجدلى
ليستريح منه فقال محضتنى النصح الخ اى اخلصت لى النصح عن الاغراض كالالتفات الى
المحبوب فاذا كان اللائم له التفات الى المحبوب لم يخلص النصح عن الاغراض بل له فيه غرض
وهو اختصاصه بالمحبوب بخلاف ما اذا كان ليس له التفات الى المحبوب فانه قد اخلص
النصح وما هنا من هذا القبيل على التسليم الجدلى وقوله لكن لست اسمعه استدراك على
قوله محضتنى النصح والمنفى انما هو سماع القبول والا فقد يسمعه بل قد يتلذذ به وقوله ان
المحب الخ تعليل لقوله لكن لست اسمعه فكانه قال انما لم اسمعه لان المحب الخ وفى الحديث
حبك للشئ يعمى ويصم اى يعميك عن رؤية عيوبه ويصمك عن سماعها وقوله عن العذال
على تقدير مضاف اى عن نصحهم والعذال جمع عاذل وهو اللائم فى الحب وقوله فى صمم لا يخفى
ما فيه من المبالغة لانه بالغ فى الصمم حتى كانه محيط بالمحب وجعله ظرفا له والصمم ضعف
فى قوة السمع فوق الوقر ودون الطرش ودون الصلخ ليفهم كما علم بالاولى ولذلك قال
الثعالبى يقال فى اذنه وقر فان زاد فهو صمم فان زاد فهو طرش فان زاد حتى لا يسمع الرعد
فهو صلخ وانما خص المص الصمم بالذكر دون غيره وان كان كل من الطرش والصلخ اعلى منه
لانه هو الذى تستقيم عليه القافية   انى اتهمت الخ لما اعترف له على طريق التسليم الجدلى
بانه محض النصح فلم يرجع عن اللوم اتهمه فى عذله فكان السائل قال له كيف تتهمنى فى
العذل فقال له انى اتهمت الخ فاذا اتهمت نصيح الشيب فى عذله على فى الهوى والحال ان
الشيب ابعد عن التهم فى النصح فكيف بالعاذل الذى ليس ابعد عن التهم فى النصح بل من شانه
ان يتهم فيه والاضافة فى قوله نصيح الشيب للبيان اى نصيحا هو الشيب او من اضافة الصفة
للموصوف اى شيبا ناصحا وانما كان الشيب ناصحا لانه يدل على قرب الاجل وحصول الموت
الموجب لترك دواعى الشباب واشتغال العبد بما يقربه لمولاه زلفى وانما دل على ذلك لانه
ليس بعد بياض الزرع الا حصاده فهو ناصح بلسان الحال وقد قيل فى قوله تعالى وجاءكم النذير
انه الشيب وقوله فى عذل متعلق باتهمت اى اتهمته فى لومه على فى الهوى ودواعى الشباب
وهو بفتح الذال المعجمة لغة فى العذل بسكونها وقوله والشيب ابعد فى نصح عن التهم اى
والحال ان الشيب ابعد عن التهم فى النصح فالواو للحال وفائدة هذين البيتين انك اذا
احببت شخصا فى الحلال وتستحى منه ومن الناس ان تكلمه فاكتبهما فى ساعة الزهرة فى صحيفة
من نحاس وامح تلك الصحيفة بماء المطر واشربها فانك تقوى على المحبوب وتجتمع به ولا تخشى
من احد ابدا وتفشى اليه سرك وتبلغ منه مقصودك ان شاء الله تعالى   فان امارتى
بالسوء الخ هذا تعليل للبيت قبله فكانه قال انما اتهمت نصيح الشيب فى العذل ولم اقبل نصحه

لان امارتى الخ واستشكل قوله امارتى بأن فيه اتحاد الآمر والمأمور لان نفس
الشخص هى هو واجيب بجوابين احدهما ان النفس باعتبار تعلقها بالمخالفة آمر وباعتبار
تعلقها بالصواب مامور فهما مختلفان بالاعتبار وثانيهما ان الآمر النفس والمامور البدن
فالنفس مستولية بسلطانها على البدن فتصرفه فى شهواتها والامارة من انواع النفس
وهى التى تامر بالمخالفة فلا يلوح لها طمع الافعلته ولا برزت لها شهوة الاقضتها فلم تسلك
سبيل الرشاد ولم يضئ بنور السداد وقد ذكرها الله فى قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء
ومنها اللوامة وهى التى ترجع باللوم على صاحبها كثيرا عند الوقوع فى المعصية لسابقة القضاء
ومنها المطمئنة وهى التى اطمأنت للايمان والتصديق بوعد الله فهى دائما موفقة للطاعة
مصدقة بلقاء الله تعالى وقد ذكرها الله تعالى فى قوله يا ايتها النفس المطمئنة الاية وقوله
بالسوء متعلق بأمارتى والسوء القبيح وقوله ما اتعظت خبر ان اى ما قبلت الوعظ وقوله من
جهلها اى من اجل جهلها فهو تعليل لقوله ما اتعظت وانما وبخ نفسه على عدم الاتعاظ بسبب
جهلها لانه قادر على دفع الجهل بتحصيل اسباب العلم وقوله بنذير متعلق باتعظت او بجهلها ونذير
اما بمعنى الانذار فيكون مصدرا وعلى هذا فالاضافة فى قوله نذير الشيب والهرم من اضافة
المصدر لفاعله او بمعنى المنذر فيكون اسم فاعل وعلى هذا فالاضافة فى قوله نذير
الشيب والهرم من اضافة الصفة للموصوف او للبيان وكان عليه ان يقول بنذيرى الشيب
والهرم الا ان يقال الاضافة للجنس فيصدق النذير بالمتعدد او انه حذف من الثانى لدلالة
الاول عليه والاصل بنذير الشيب ونذير الهرم وهذا البيت والاثنان بعده خاصيتهما ان
من كانت نفسه غالبة عليه وامتنعت من التوبة وعجز عن مخالفة النفس فليكتب الابيات الثلاثة
يوم الجمعة بعد الفراغ من صلاتها ويمحوها بماء الورد ويشربها فاذا شربها استمر جالسا
مستقبل القبلة حتى يصلى العصر والمغرب ويذكر الله ويكرر هذه الابيات فى بعض الاوقات
ايضا فانه لا يفارق هذا المجلس الا وقد تأدبت نفسه وحسن حالها ان شاء الله تعالى
ويوفقه الله للتوبة ولا اعددت من الفعل الخ عطف على قوله ما اتعظت من قبيل
عطف الخاص على العام لان الاتعاظ يكون بالاتيان بالاعمال الحسنة والاجتناب من الاعمال
القبيحة واما اعداد القرى فلا يكون الا بالاول فقط والاعداد التهيئة يقال اعد واستعد
بمعنى هيأ وقوله من الفعل الجميل اى من الاعمال الصالحة وهو بيان مقدم لقوله قرى ضيف
مشوب بتبعيض وقرى الضيف بكسر القاف اكرامه وفيه استعارة مصرحة مرشحة لانه
شبه الشيب بالضيف بجامع الطرو فى كل فان سواد الشعر كان ملازما للانسان فلما
تبدل بالشيب كان كالضيف فى طروه على الشخص بعد ان لم يكن واستعار اسم المشبه به
للمشبه وذكر القرى ترشيحا للاستعارة ولما كان الشيب نذيرا بانقضاء العمر صار بلسان

ولا اعددت من الفعل الجميل قرى
ضيف الم برأسى غير محتشم

حاله طالبا للاعمال الصالحة التي هي زاد الآخرة كما يطلب الضيف قراه نصرها او تلويحا
وقوله الم بتشديد الميم بمعنى نزل وقوله براسي اي في راسي فالباء بمعنى في وقوله غير محتشم
اي غير مستحيي وهو حال من الضمير الفاعل بالم وانما كان غير محتشم لان من آداب الضيف
ان لا يكثر الاقامة عند من اضافه فمن اكثرها عنده كان غير محتشم والشيب اذا نزل
لا يرتحل الا بالموت فعلى العاقل ان يستعد بالاعمال الصالحة لضيافته فان اخر الاستعداد
الى نزوله فقد لا يتمكن من شئ من الاعمال لسرعة الرحيل وضيق الوقت لو كنت اعلم انى
لما بين ان نصح الشيب لا ينبغي ان يهمل واعتذر عن عدم قبوله بالنفس الامارة ورأى من
سوء العتاب وتقبيح الفعال من الناس ما لم يكن رآه قال لو كنت اعلم الخ والعلم والمعرفة
بمعنى واحد على الصحيح وقوله اني ما اوقره اي ما اعظمه بفعل الجميل وترك القبيح استحياء منه
وقوله كتمت سرا اي اخفيته والمراد بالسر الشيب الذي يظهر اولا وانما سمي سرا لانه قبل
ظهوره يكون خفيا كحديث النفس الذي لم يظهر وقوله بدالي اي ظهر لي وقوله منه اي من
الشيب وقوله بالكتم متعلق بكتمت والكتم بفتح التاء نبت يخلط بالحناء ويخضب به
الشعر فيبقى لونه كما في القاموس وقد قيل شيئان عجيبان هما ابرد من يخ شيخ يتصابى وصبي
يتمشيخ ويخ اسم لبئر شديد البرودة كذا نقل عن بعض الاشياخ وقال بعض اهل العلم
هو اسم لدود يكون في الثلج الذي هو شديد البرودة وذلك الدود اشد برودة من الثلج
وانما قيد بقوله لي لانه اذا انزل الشيب بالشخص ظهر له اولا في الغالب لاهتمامه بشان
نفسه ويحتمل انه من البيان بعد الاجمال على حد رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وفي
هذا البيت تنبيه على توقير الشيب وقد سماه الله تعالى وقارا فقد روي ان اول من
رأى الشيب ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فقال ما هذا يا رب فقال الله
تعالى وقار يا ابراهيم فقال يا رب زدني وقارا فاصبح وقد عمه الشيب وفي الحديث القدسي
الشيب نوري من لي برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم استفهم على سبيل
الاستعطاف عمن يتكفل له برد جماحها بالمواعظ السنية والاسرار الربانية فقال من لي الخ
اي من يتكفل لي الخ وقوله برد جماح من غوايتها اي بصرف قوة وغلبة ناشئة من ضلالتها
فالجماح بمعنى القوة والغلبة والمراد برده صرفه وغوايتها بفتح الغين المعجمة بمعنى ضلالتها
والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للجماح اي جماح ناشئ عن غوايتها وقوله كما يرد جماح
الخيل باللجم اي ردا مثل رد جماح الخيل باللجم في القوة والعنف حين لم ينفع واعظ الشيب
فالكاف بمعنى مثل وما مصدرية واللجم جمع لجام ككتب جمع كتاب وفي هذا البيت اشارة
الى ان السلوك لا يتم الا بشيخ عارف لان النفس ربما تتخذ امرا يكون الهلاك فيه
فالشيخ العارف كالطبيب الماهر وفائدة هذا البيت والاثنان بعده ان من اكثر تلاوتها

عند شروعه فى ازالة منكر مفتتحا بتلاوتها عشر مرات فانه يرى الهيبة والقبول بالكمال باذن الله تعالى . فلا ترم بالمعاصى لما استفهم عمن يرد جماح نفسه رد اعنيفا استشعر شخصا قال له لا حاجة الى ردها لانك اذا اعطيتها ما تتمناه من المعاصى انكسرت شهوتها فرد عليه ذلك بقوله فلا ترم بالمعاصى الخ اى لا ترجو ولا تتوقع بتمكينها مما تتمناه من المعاصى دفع شهوتها لانها اذا الفت المعاصى قويت شهوتها وقد استدل على ذلك بقوله ان الطعام يقوى شهوة النهم اى ان الطعام يزيد فى شهوة النهم بتشديد النون وكسر الهاء الذى هو شديد الشهوة الى الطعام فتمكينه منه يزيد فى شهوته اليه وكذلك النفس تمكينها من المعاصى يزيد فى شهوتها اليها ثم اعترض بان النهم انما تقوى شهوته الى الطعام اذا لم يشبع منه واما اذا شبع منه فقد اخذ حاجته واجيب بان المعدة تنفتح ابدا لما يلقى فيها من الطعام لا لمانع وقوتها الجاذبة به لا تزال وان امتلأت لاسيما معدة النهم والنفس كالطفل الخ شبه النفس بالطفل فى عدم الملل والسآمة بالاستمرار على المألوفات فكما ان الطفل اذا تركته على ما الفه من الرضاع دام على حبه وان منعته عنه امتنع كما ذكره بقوله ان تهمله الخ كذلك النفس ان تركتها على ما الفته من المعاصى دامت على حبه وان منعتها عنه امتنعت وقوله ان تهمله اى تتركه على ما الفه من الرضاع وقوله شب على حب الرضاع اى كبر حال كونه مشتملا على حب الرضاع وقوله وان تفطمه ينفطم اى وان تفصله وتمنعه من الرضاع انفصل وامتنع عنه وصار غير طالب له قال فى المصباح فطمت المرأة الرضيع فطما من باب ضرب فصلته من الرضاع فهى فاطمة والرضيع فطيم والجمع فطم بضمتين مثل بريد وبرد اه وعلم من ذلك ان تفطمه بكسر الطاء واعلم ان النفس لطيفة ربانية وهى الروح قبل تعلقها بالاجساد وقد خلق الله الارواح قبل الاجساد بالفى عام فكانت حينئذ فى جوار الحق وقربه فتستفيض من حضرته بلا واسطة فلما امرها الحق ان تتعلق بالاجساد عرفت الغير فحجبت عن حضرة الحق بسبب بعدها عنه تعالى فلذلك احتاجت الى مذكر قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهى قبل تعلقها بالجسد تسمى روحا وبعد تعلقها به تسمى نفسا فالاختلاف بينهما اعتبارى والطفل بكسر الطاء المهملة الصغير ذكرا كان او انثى فاصرف هواها الخ اى اذا علمت ذلك فاصرف هواها الخ فالفاء فاء الفصيحة وانما لم يقل فاصرف النفس عن هواها كما هو مقتضى الظاهر لانه يتعذر لكونها تابعة لهواها لا تخالفه ابدا فلا يمكن صرفها عن هواها وانما الممكن صرف هواها بمعنى عدم اتباعه فهى لا تخلو عن هوى ابدا لكن الشخص لا يتبعه وقوله وحاذر ان توليه اى واحذر ان تعطى هواها الولاية والامارة عليك لانه داع الى الضلالة غير صالح للامارة وانما عبر المصنف بحاذر دون احذر تنبيها على ان النفس تراقب غفلة الشخص لتقع فى هواها فهى تحاذره كما يحاذرها فالمحاذرة من الجانبين

وقد

فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها
ان الطعام يقوى شهوة النهم

والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

فاصرف هواها وحاذر ان توليه
ان الهوى ما تولى يصم او يصم

وقد علل ذلك بقوله ان الهوى الخ فهو في قوة قوله لانه جائر ظالم وقوله ما تولى ضبطه شيخ الاسلام
بضم التاء والواو وكسر اللام مشددة على انه مبني للمفعول والشائع على الالسنة قراءته بفتحها
على انه مبني للفاعل وكل صحيح فالمعنى على الاول ما ولاه الشخص وعلى الثاني ما صار واليا وما
شرطية وقوله يُصم بضم الياء وسكون الصاد من اصميت الصيد اذا رميته فقتلته وقوله
او يَصم بفتح الياء وكسر الصاد من وصمه اذا عابه فالمعنى ان الهوى ان ولاه الشخص يقتله
او يعيبه وفي هذا الكلام استعارة بالكناية وتخييل لانه شبه هوى النفس بانسان طالب
للولاية والامارة تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه
وهو منعه من الولاية والامارة حيث قال فاصرف هواها وحاذر ان توليه ورشحها بذكر انه جائر
ظالم لانه ان تولى قتل او عاب حيث قال ان الهوى ما تولى يصم او يصم فهو ترشيح لانها قرنت بما يلائم المشبه منه ولما
كان الهوى سببا للهلاك اجمع على ذمه العارفون ووردت بذمه الآيات والاحاديث لانه ينتج من
الاخلاق قبائحها ويظهر من الافعال فضائحها ويجعل ستر المروءة مهتوكا ومدخل الشر
مسلوكا وقال ابن عباس الهوى اله يعبد من دون الله وتلا قوله تعالى افرأيت من اتخذ
الهه هواه الآية وقال الشعبي انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار وبالجملة فالهوى
اصل كل بلية والخلاص منه عسر جدا الا بتوفيق من الله تعالى وراعها وهي الخ لما كا
ظاهر كلامه ان هوى النفس يصرف حتى عن الطاعة شرح الحال بقوله وراعها وهي الخ اي
لاحظها والحال انها في الاعمال الصالحة سائمة كالبهيمة السائمة في الكلاء فالواو للحال وال
في الاعمال للعهد والمعهود الاعمال الصالحة اعم من ان تكون واجبة او مندوبة وفي سائمة
استعارة تصريحية تبعية لانه شبه اخذ النفس في الاعمال واشتغالها بها بسوم البهيمة في الكلاء
بجامع عدم معرفة الصلاح في كل واستعار السوم للاخذ في الاشتغال واشتق منه
سائمة بمعنى آخذة ومشتغلة وانما امر بملاحظتها وهي مشتغلة بالطاعة لانه قد يكون
لها حظ فيها كرياء وحب محمدة وشهرة ولذلك قال وان هي استحلت المرعى فلا تسم بضم التاء
وكسر السين اي وان هي وجدت المرعى حلوا فلا تبقها فيه لانها لا تميل الى الطاعة لذاتها بل
لغرض فيها فتنقلب الطاعة معصية بل قد تكون اعظم مفسدة من المعصية كما يشير لذلك
قول صاحب الحكم رب معصية اورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا
وفي بعض الآثار اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود قل للعاصين المذنبين ابشروا وقل
للعابدين المعجبين اخشوا ومن المعلوم ان اداة الشرط وهي ان هنا من خواص الفعل فقوله
وان هي استحلت حذف الفعل فانفصل الضمير وقوله استحلت مفسر للفعل المحذوف مبني
على حد قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وفي قوله فلا تسم استعارة بالكناية وتخييل لانه شبه
النفس بالبهيمة بجامع عدم معرفة الصلاح في كل تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به

Digitized by Google

وذكر المرعى ترشيح وتدمز اليه بشئ من لوازمه وهو الاسامة كم حسنت لذة البيت استشهاد على البيت قبله وكم خبرية بمعنى كثيرا وتمييزها محذوف والتقدير كم مرة اى كثيرا من المرات وقوله حسنت لذة للمرء قاتلة اى عدت لذة قاتلة حسنة للشخص رجلا كان او امرأة فلذة مفعول لحسنت وقاتلة صفة لها وهذا الصنيع اولى من جعل لذة تمييز الكم وجعل مفعول لحسنت محذوفا وان جرى عليه بعض الشارحين وقد بين وجه كون اللذة قاتلة بقوله من حيث لم يدر ان السم فى الدسم اى من جهة وتلك الجهة هى كونه لم يعلم ان السم بتثليث اوله مدسوس فى الدسم الذى هو الدهن وخص السم بالذكر لانه قاتل وخص الدسم بالذكر لانه يعلو الاشياء فيستر ما تحته والمراد بالسم هنا حظ النفس والمراد بالدسم هنا الطاعة ففى كلامه استعارتان مصرحتان اما الاولى فلانه شبه حظ النفس بالسم بجامع الضرر فى كل واستعار اسم المشبه به للمشبه واما الثانية فلانه شبه صورة الطاعة بالدسم بجامع ان كلا ساتر لغيره واستعار اسم المشبه به للمشبه والحاصل ان النفس لها حظ فى الطاعة كما ان لها حظا فى المعصية بل حظها فى الطاعة اشد لان حظها فى المعصية ظاهر جلى وحظها فى الطاعة باطن خفى وهذا البيت والذى بعده خاصيتهما ان من قرأهما على قلبه واستولت عليه نفسه وكررهما ليلة الجمعة عند السحر فانه لا يصبح الا وقد رأى رقة فى قلبه وكسرا فى نفسه ونهوض اعضائه فى العبادة وندم على ما فرط وتاب الله عليه واخش الدسائس الخ اى خف المكايد التى تخفيها النفس فى الجوع والشبع فالدسائس من الجوع كالحدة وسوء الخلق والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة والكلام فى الجوع والشبع المفرطين لان المذموم منهما ليس الا المفرط واما المعتدل الذى بين الافراط والتفريط فممدوح كما يشير لذلك قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا هذا على كون الجوع والشبع على ظاهرهما ويحتمل ان المص كنى بالجوع عن قلة العبادة وبالشبع عن كثرتها لان قلة العبادة تؤول الى الجوع فى الآخرة وكثرة العبادة تؤول الى الشبع فى الآخرة فالدسائس من الجوع بمعنى قلة العبادة كالميل الى الراحة وترك العبادة بالكلية والدسائس من الشبع بمعنى كثرة العبادة كحب الشهرة والمحمدة وهو مفسدة عظيمة لانه يكون قاصدا بالعبادة غير وجه الله تعالى ولما كان قد يقع فى بادئ الرأى ان الجوع لا دسائس فيه لان العرب والحكما تمدح بقلة الاكل وتذم بكثرته وحث فلا وجه للتحذير من مكايد الجوع دفع المص ذلك بقوله فرب مخمصة شر من التخم فكانه قال لا تستبعد ذلك اذ رب مجاعة مفرطة شر من كثرة الاكل باعتبار الا فات المترتبة عليهما فالعبادة فلا تحصل بالكلية مع الجوع المفرط وتحصل مع كثرة الاكل وان كان فيها كسل ولا شك ان ترك العبادة بالمرة شر من الكسل فيها هذا على ان المراد بالجوع والشبع حقيقتهما واما على ان المراد بالجوع قلة العبادة وبالشبع كثرتها فكانه قال لا تستبعد ذلك اذ رب عمل قليل شر من عمل كثير

فان

كم حسنت لذة للمرء قاتلة
من حيث لم يدر ان السم فى الدسم

واخش الدسائس من جوع ومن شبع
فرب مخمصة شر من التخم

فان النفس قد تزين له قليل العبادة كان تقول له لازم القليل من العبادة وداوم عليه لان
الكثير يضر البدن فيؤدى الى العجز بالكلية وربما يكون فيه الرياء وقصدها بذلك الراحة وقد
تزين له كثير العبادة كأن تقول له عليك بالكثير من العبادة ليكثر ثوابك وقصدها بذلك
ان تمجد عند الناس وتعظم عندهم وهذه مفسدة عظيمة لكن مع الاستكثار من العبادة قد يسلم
كثير منها بل قد يصلح باطنه فى آخرة امره وقد كان بعض المشايخ يقول عليكم باصلاح ظواهركم
فانه يوشك ان تصلح بواطنكم وحكى ان رجلا تعبد سنين ليشتهر بذلك وتودع عنده الامانات
فينتفع بها فلم يودع عنده شئ فلما طال عليه الامر وبخ نفسه وتاب الى الله تعالى فلما اصبح اتى
بامانة فقال لصاحبها ما كان بيننا وبينها الا ظلام الليل اذهب بسلام ورتبها هنا للتقليل
والمخمصة المجاعة والتخم بضم التاء وفتح الخاء جمع تخمة وهى فساد المعدة بالطعام وقيل فساد
الطعام فى المعدة وفسرت ايضا بانها ضد المخمصة وهذا قد يقتضيه كلام المص وتعقب بان ضد
المخمصة الشبع وان لم يحصل تخمة وَاستفرغ الدمع الخ اى افرغ الدمع بالبكاء او اطلب
فراغه بذلك فالسين والتاء اما زائدتان وهو الاظهر او للطلب وقوله من عين قد امتلأت
من المحارم من الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية وامتلاء العين من المحارم كناية عند الفقهاء
عن كثرة النظر بها لما لا يجوز شرعا وعند الصوفية واهل الحب رؤية الاغيار بها ولذلك
يقال للعارف اذب عينيك بدمع الندامة اذا نظرت لغير ذلك الجمال واقصر نظرك على
كمال الكبير المتعال ولم يزل السلف الصالح يبكون على ما حصل منهم والبكاء على الخيبة معظم
العزم حتى قال بعضهم لو لم يبك الانسان الا على ما ضاع من عمره النفيس من غير طاعة لكفاه
وقال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا افضل الصلاة واتم التسليم طوبى
لمن بكى على خطيئته وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء وقيل فى قوله تعالى فيهما عينان تجريان
انهما لمن له فى الدنيا عينان تجريان وقوله والزم حمية الندم اى والزم حماية الندم لك عن المحارم
ويحتمل والزم الندم الحامى لك عن عقاب المحارم والمراد من الندم التوبة المستكملة للشروط الشرعية
وانما عبر بالندم لانه العمدة فى التوبة ولذلك ورد الندم توبة وَخالف النفس والشيطان
الخ اى اذا امرتك نفسك والشيطان بشئ او نهتك نفسك والشيطان عن شئ فخالفهما لانهما
عدواك وقوله واعصهما اشار به الى انه لا يكفى مجرد مخالفتهما لانه قد يخالفهما الى ما يرضيانه
بل لا بد من عصيانهما وان خصت المخالفة بالمكروه والعصيان بالمحرم كان من عطف المغاير
وان ابقيت المخالفة على عمومها وخص العصيان بالمحرم كان من عطف الخاص على العام للاهتمام
بذلك الخاص وانما قدم المص النفس على الشيطان لانها اضر منه وفتنتها اعظم من فتنته اذ
هى عدو فى صورة صديق والانسان لا يتنبه لمكايد الصديق وايضا هى عدو من داخل بخلاف
الشيطان فانه عدو ظاهر وقد قيل الخروج عن النفس هو النعمة العظمى لانها اعظم حجاب

Digitized by Google

بين الشخص وبين الله تعا وقد سئل بعض الاشياخ عن الاسلام فقال ذبح النفوس بسيف المخالفة
وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشئ مثل مخالفة النفس والهوى وبالجملة فمخالفة النفس رأس
العبادة واول مراتب السعادة وانظر فعل الشيطان مع ابيك وقد اقسم له انه لمن الناصحين فكيف بك
وقد اقسم انه ليغوينك وقوله وان هما محضاك النصح فاتهم اى وان هما اخلصا لك النصح فيما ابديا
لك كأن يقولا لك تمتع بهذه الشهوة لكي تتوجه الى الطاعة فارغ القلب او يقولا لك ارفق على نفسك
في العبادة لتدوم عليها او اكثر من العبادة لتفوز بالدرجات العلى او نحو ذلك فاتهمهما بان تنسبهما
الى الخيانة لان مرادهما بذلك الخديعة والمكر وقد تقدم ان اداة الشرط وهي هنا ان من خواص الفعل
فقوله وان هما اصله وان محضا حذف الفعل فانفصل الضمير والفعل المذكور تفسير للمحذوف
على حد قوله تعا وان احد من المشركين استجارك وعبر المص بان التي للشك اشارة الى ان اخلاصهما
النصح امر مشكوك فيه بل لا يفرض الا كما يفرض المحال اذ لا يصدر منهما الا الغش ولذلك قيل ان
الشيطان يفتح للانسان تسعا وتسعين بابا من الخير ليوقعه في باب من الشر ولا تطع منهما
الخ هذا البيت تاكيد للبيت قبله ومعناه انه اذا تخاصم العقل مع النفس وجعلا الشيطان حكما
او تخاصم العقل مع الشيطان وجعلا النفس حكما فلا تطع واحدا من النفس والشيطان
لا الخصم ولا الحكم لان كلا منهما يدعو الى الشر واما العقل فيدعو الى الخير فاذا تخاصم العقل
مع احدهما كان الحكم مع خصم العقل لانه من ناحيته فلا يحكم الا بما هو على مراده وقيل صورة
كون احدهما خصما والآخر حكما ان احدهما يزين لك الاقدام على المعصية وانت تمتنع من ذلك
لما تعلم من سوء العاقبة فقد صار خصما لك ثم بعد الاقدام على المعصية يزين احدهما لك البقاء
عليها وانت تريد الخروج منها فيضرب لك اجلا بعد اجل كما يفعله الحكام فقد صار حكما في ذلك
ومما تقرر علم ان الخصم قد يكون النفس والحكم الشيطان وبالعكس ومن في قوله منهما للتبعيض
والضمير فيه عائد للنفس والشيطان ولا في قوله ولا حكما زائدة لتاكيد النهي وقوله فانت تعرف
كيد الخصم والحكم اى لانك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس وكيد النفس والشيطان اشد
استغفر الله الخ لما كان المص معترفا بانه غير عامل بقوله وقد قال تعا كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون استغفر من ذلك حيث قال استغفر الله الخ والمقصود من قوله استغفر الله الانشاء وهو
يطلب مفعولين ثانيهما مجرور بمن كما هنا ويجوز حذف من نحو استغفر الله ذنبا اى من ذنب
وقوله من قول بلا عمل اى من قول مصحوب بعدم العمل او متلبس بعدم العمل فالباء للملابسة او المصاحبة
ومن للتعدية او للتعليل وذلك كأن يأمر ولا يأتمر وينهى ولا ينتهي وظاهر كلام المص ان الاستغفار
من القول المذكور ووجهه بعضهم بان المتبادر من الامر والنهي ان يكون الشخص مؤتمرا بما امر به منتهيا
عما نهى عنه فان لم يكن كذلك في الواقع كان امره ونهيه رياء ونفاقا فيحتاج للاستغفار منه
وبعضهم جعل الاستغفار منصبا على القيد فقط اعني عدم العمل لان القول في ذاته طاعة

ولا تطع منهما خصما ولا حكما
فانت تعرف كيد الخصم والحكم

استغفر الله من قول بلا عمل
لقد نسبت به نسلا لذي عقم

فلا يحتاج للاستغفار منه وعدم العمل ترك طاعة فيحتاج للاستغفار منه وهذا هو الموافق لمذهب
اهل السنة من انه لا يتوقف الامر والنهى على العمل بهما لان عدم الامر والنهى معصية وعدم العمل
معصية اخرى وتقليل المعاصى مطلوب ما امكن ولذلك قالوا يجب على مدير الكاس الانكار على الجلاس
ويجب على الزانى بامرأة ان يامرها بستر وجهها ومن هذا يعلم ان العالم الذى لا يعمل بعلمه خير من
الجاهل واما قول صاحب الزبد وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن محمول على علماء اهل
الكتاب الذين غيروا وبدلوا وكتموا الحق وقيل ان تعذيبه من قبل عباد الوثن ليس لكونه اسوء حالا منهم
بل للاسراع بتطهيره وقوله لقد نسبت به نسلا لذى عقم مستانف استئنافا بيانيا لانه واقع فى جواب سؤال
مقدر فكانه قيل لهم تستغفر من ذلك القول فقال لقد نسبت به نسلا لذى عقم اى لقد نسبت بهذا القول نسلا
وهو الذرية لشخص صاحب عقم بضم القاف كما هو لغة فى العقم بسكونها وليس جمع عقيم لان اضافة
ذى اليه تمنع من ذلك لا يقال ان المصنف لم يقع منه نسبة نسل لذى عقم فكيف يقول لقد نسبت به
نسلا الخ لانا نقول المعنى على التشبيه اى كانى قد نسبت به نسلا الخ ووجه ذلك ان المتبادر من
الامر والنهى ان يكون الامر والناهى مؤتمرا منتهيا فذلك القول يتضمن نسبة العمل الى القائل فاذا
كان بلا عمل فقد اشبه نسبة النسل لذى العقم وهو الذى لا يولد لمثله وذلك كذب يستغفر منه
فكذا ما اشبهه وهو الذى يؤيد ان الاستغفار من القول المذكور وفى ذكر فضل الاستغفار طول
يخرجنا عن المقصود وما احسن قول القائل ولو ان فرعون لما طغى وقال على الله افكا وزورا
اناب الى الله مستغفرا لما وجد الله الا غفورا امرتك الخير الخ هذا البيت مبين للبيت قبله
وامر يتعدى لمفعولين ثانيهما بنفسه تارة كما هنا وبالباء تارة اخرى كما فى قولك امرت زيدا بكذا
ومراده بالامر ما يشمل النهى كما فى قولهم امر السلطان ان لا يؤذى احد احدا وان يجامل فى المعاملة
فاندفع ما يقال لم خص الامر بالذكر مع انه سبق منه امر ونهى والمراد امرتك بفعل الخير ونهيتك
عن تركه والخير ما له عاقبة محمودة وقوله لكن ما ائتمرت به اى لكن ما عملت به وقوله وما استقمت
اى بفعل المامورات وترك المنهيات لان الاستقامة هى الاعتدال وعدم الاعوجاج وذلك
يكون بفعل المامورات وترك المنهيات وقد امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بها فى سورة هود واخواتها
قال تعالى فاستقم كما امرت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود واخواتها وقيل قال ذلك لما فيها من
الاخبار عن اهلاك الامم الماضين وقوله فما قولى لك استقم اى فما ثمرة قولى لك استقم حيث
لم استقم والاستفهام انكارى بمعنى النفى اى لا ثمرة له ولا فائدة له لانه لا ينفع غالبا الا اذا استقام
القائل ولذلك قيل فى هذا المعنى يا ايها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى كيما يصح به وانت سقيم ابدأ بنفسك فانهها
عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم فهناك يسمع ما تقول ويشتفى بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتاتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم فان قيل لم يتقدم منه امر بالاستقامة

Digitized by Google

حتى يظهر قوله فما قولى لك استقم اجيب بانه تقدم ضمنا لانه يعلم من كلام السابق
ولا تزودت قبل الموت الخ المراد بالتزود هنا العمل وانما عبر بالتزود نظرا لكون الموت سفرا
طويلا محتويا على الاهوال والمشاق والسفر المذكور يناسبه التزود قال تعالى وتزودوا فان
خير الزاد التقوى والذى عليه المحققون من المفسرين ان المراد بالتزود اخذ الزاد الذى هو
ما يوصلهم لمقصودهم والمراد بالتقوى فى هذه الآية ما يتقى به ذل السؤال وقوله نافلة اى مستقلة
فاندفع ما يقال ان الفرائض مشتملة على النوافل فلا يتم قوله ولا تزودت قبل الموت نافلة مع
كونه كان يفعل الفرائض وقد اشتهر ان النافلة يجبر بها ما نقص من الفرائض لكن نقل القرطبى
فى التذكرة عن الشافعى رضى الله تعالى عنه ان ذلك فيما نقص من الفرائض سهوا واما ما نقص منها
عمدا فلا يجبر بالنافلة وان كثرت جدا وقوله ولم اصل سوى فرض ولم اصم انما خص الصلاة والصوم
بالذكر لانهما محض عبادة بدنية وانما سكت عن الايمان لانه لا يتنفل به وفى كلامه الحذف من
الثانى لدلالة الاول اى ولم اصم سوى فرض لا يقال يبعد انه لم يقع منه صلاة السنن كالوتر وغيره
وصوم السنن كصوم عاشوراء وغيره لانا نقول انما نفى ذلك تنزيلا لما فعله من النوافل منزلة
العدم لاتهامه نفسه فى الاخلاص فيه وما قيل من انه كان اذا صلى نافلة نذرها او صام نفلا نذره
فهو بعيد ظلمت سنة من الخ هذا تخلص للشروع فى المقصود وهو مدحه صلى الله عليه وسلم
ولم يشرع فيه الا بعد الوعظ والاستغفار والندم تاهيلا لمدح هذا الجناب الشريف ولما اخبر عن
نفسه بما اخبر من كثرة التفريط واخبر بانه لم يتزود من النافلة حكم بانه ظلم سنة سيد المرسلين
اى جار فيها ووضعها فى غير موضعها لان الظلم هو الجور ووضع الشئ فى غير محله والسنة
لغة الطريقة وشرعا الطريقة المسلوكة فى الدين من غير افتراض ولا وجوب ومن واقعة على
نبى وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وقوله لحيى الظلام اى انار الليل المظلم بالصلاة فالمراد بالظلام
المظلم والمراد باحيائه انارته بالصلاة اذ العبادة كما تؤثر النور فى وجه العابد تؤثره فى زمنها
ولا يخفى ان فى كلامه استعارة تصريحية تبعية او استعارة مكنية فيكون قد شبه الانارة
بالاحياء بجامع النفع فى كل واستعار الاحياء للانارة واشتق من الاحياء بمعنى الانارة احيى
بمعنى انار او شبه الظلام بمعنى الليل المظلم بميت يحيى تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ
المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الاحياء وقوله الى ان اشتكت قدماه الضر من ورم
اى واستمر احياؤه صلى الله عليه وسلم للظلام الى ذلك فهو غاية فى الاحياء لكن لا منه وهذه الغاية
واشتكاء القدمين كناية عن شدة الالم الحاصل لهما من كثرة القيام على وجه المبالغة والورم
ازدياد الحجم على غير اقتضاء طبيعى وسبب ورم القدمين من كثرة القيام انصباب المواد التى
فى اعالى الجسم اليهما لطول القيام فانه صلى الله عليه وسلم وان لم يكن يزيد بالليل على اثنى عشر ركعة
لكن كان يطيل القيام فيها وقد روى المغيرة انه قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه

ولا تزودت قبل الموت نافلة
ولم اصل سوى فرض ولم اصم

ظلمت سنة من احيى الظلام الى
ان اشتكت قدماه الضر من ورم

Digitized by Google

فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا
وفي رواية انه قال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا فانزل الله تعالى طه ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى وفي هذا البيت مزيد التعريض لنفسه فكانه يقول لها ما بالك في هذا التقصير
وعدم الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كثرة عبادته وغلبة طاعته ولهذا اختار هذه التقصير من بين
الصفات وخاصية هذا البيت والاربعة بعده ان من ثقل عليه قيام الليل وغلب عليه النوم والكسل
ولا زالت نفسه تمتد لراحة الدنيا فليكتب هذه الابيات في لوح ويجعله عند رأسه فيتزين لدخ
العمل الصالح وتحدثه نفسه بامور الآخرة   وشد من سغب الخ عطف على احيى الظلام الخ فهو
عطف على الصلة فيكون صلة وانما اتى بذلك نظرا لقوله في البيت السابق ولم اشتك عقب قوله
ولم أصل سوى فرض وبهذا ظهر حكمة تخصيصهما فيما تقدم والشد العصب والربط والسغب
بسين مهملة وغين معجمة الجوع ومن الداخلة عليه للتعليل اي عصب وربط من اجل جوع وقوله
احشاءه مفعول لشد والاحشاء جمع حشا وهو كما في الصحاح ما انضمت عليه الضلوع وقيل
القلب وقيل الامعاء وفائدة هذا الشد انضمام الاحشاء على المعدة فتنهد الحرارة بعض خمود
لان المعدة اذا امتلأت بالطعام اشتغلت الحرارة بهضمه واذا اخلت عن الطعام طلبت
الحرارة رطوبة الجسم فيتألم الانسان فبالشد تضعف تلك الحرارة وقد روى الشد مسلم عن
انس قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا مع اصحابه يحدثهم وقد عصب
بطنه بعصابة فقالوا من الجوع وقوله وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الادم عطف ايضا على
الصلة والطي اللف والكشح الخاصرة والمترف الناعم من الترف وهو النعومة المفرطة والادم
الجلد اي ولف تحت الحجارة خاصرة ناعمة الجلد نعومة مفرطة وفائدة هذا الطي ان برودة
الحجر تخفف حرارة الباطن وقد روى البخاري الطي عن جابر قال مكث صلى الله عليه وسلم لا يذوق
طعاما ثلاثا وهم يحفرون الخندق فقالوا يا رسول الله ان هاهنا كدية من الجبل قد عجزت معاولنا
عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رشوها بالماء فرشوها به ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذ المعول ثم قال بسم الله فضرب ثلاثا فصارت كثيبا قال جابر فحانت مني التفاتة فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا واستشكل ما ذكر من الشد والطي بقوله
صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني لان من هذا حاله لا يعصب احشاءه ويطوي كشحه
تحت الحجارة من الجوع واجيب بان معنى الحديث أبيت مستحضرا جلال ربي فيعطيني
قوة الطاعم والشارب والمراد بذلك انه ضمن له قوة بدنه ونضارة جسمه حتى ان من رآه
لا يظن به جوعا ولا عطشا كما اشار الى ذلك الناظم بقوله مترف الادم فهو من قبيل الاحتراس
وحينئذ فحصول الجوع له صلى الله عليه وسلم لا ينافيه الاطعام في الحديث   وراودته الجبال الخ
لما كان قد يتوهم من قوله وشد من سغب الخ انه صلى الله عليه وسلم كان فقيرا من المال دفع ذلك التوهم

وشد من سغب احشاءه وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الادم

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فاراها ايما شمم

بقوله وراودته الجبال الخ والمراودة المطالبة يقال راوده أى طلب منه ان يكون على مراده ونسبة المراودة للجبال مجاز لان الله هو الذى خيره فى ذلك ويحتمل ان يكون حقيقة اذ لا مانع من ان يخلق الله فيها ادراكا وتراوده حقيقة وأل فى الجبال للعهد الذهنى والمعهود ذهنا هو جبال مكة كما تدل عليه الاحاديث الصحيحة فقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاذا شبعت حمدتك واذا جعت تضرعت اليك ودعوتك وروى ان جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب ان تكون لك هذه الجبال ذهبا وفضة تكون معك حيثما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وقوله الشم أى المرتفعة وهى جمع اشم مشتق من الشمم وهو الارتفاع وقوله من ذهب أى ان تكون من ذهب فهو خبر لتكون المحذوفة وليس حالا خلافا لبعضهم لانها لم تكن من ذهب حين المراودة وانما طلبت منه ان تكون كذلك وقوله عن نفسه اى من اجل نفسه فعن للتعليل وقوله فأراها أيما شمم اى فأراها شمما ايما شمم أى شمما عظيما اى اعراضا شديدا علما منه بأن ما عند الله خير وأبقى

وأكدت زهده فيها الخ التاكيد التقوية والزهد ترك الشئ وقلة الرغبة فيه والضمير المجرور فى راجع للجبال التى تكون من ذهب وبعضهم جعله راجعا للدنيا والاول اولى لعدم تقدم ذكر الدنيا وان كانت معلومة من المقام والضرورة شدة الحاجة ولا يخفى ان زهده فيها مفعول مقدم وضرورته فاعل مؤخر وانما اكدت ضرورته زهده فيها لان الاعراض عن الشئ وقلة الرغبة فيه مع شدة الاحتياج اليه دليل جلى وبرهان قطعى على الزهد فى ذلك الشئ وقوله ان الضرورة الخ مستأنف استئنافا بيانيا لكونه واقعا فى جواب سؤال مقدر فكأنه قيل له كيف تؤكد ضرورته زهده فيها مع ان الضرورة تقتضى الاقبال عليها وعدم الاعراض عنها فقال ان الضرورة الخ وقوله لا تعدو على العصم اى لا تتعدى عليها يقال عدى عليه اى تعدى عليه وفى كلامه حذف مضاف اى على ذوى العصم وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هذا ان قرئ العصم بكسر العين وفتح الصاد كما هو المشهور على انه جمع عصمة فان قرئ العصم بفتح العين وكسر الصاد كما استصوبه ابن مرزوق على ان اصله عصيم بمعنى معصوم حذفت ياؤه للضرورة فلا حذف فى كلامه وعلم من ذلك الفرق بين ضرورة من عصمه الله تعالى وضرورة غيره لان ضرورة من عصمه الله تعالى لا تدعوه الى احسن الاشياء فضلا عن اخسها وضرورة غيره تدعوه الى اخس الاشياء حتى انها تبيح له تناول ما لا ينبغى تناوله ولو كان محرم الاصل كالميتة وفى كلام المص اشارة الى جواز وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد وهو الحق خلافا لمن منعه معللا بان الزهد فى الشئ فرع عن التعلق به لكن قد عيب على هذا البيت والذى بعده فى اثبات الضرورة له صلى الله عليه وسلم مع انه لم يثبت له عليه الصلاة والسلام الميل لها فضلا عن الضرورة وما احسن قوله فى الهمزية مستقل دنياك ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء

وأكدت زهده فيها ضرورته ... ان الضرورة لا تعدو على العصم

وكيف تدعو الخ استفهام انكارى بمعنى النفى اى لا تدعو الخ والدعا الطلب والميل وقوله الى
الدنيا متعلق بتدعو والدنيا صفة فى الاصل ثم نقلت الى الاسمية فجعلت اسما لهذه الدار التى نحن
فيها وقد تطلق على اعراضها وزخارفها من المال والجاه وما اشبههما وهذا هو المراد هنا وقوله
ضرورة من اى ضرورة نبى او رسول فمن واقعة على نبى او رسول وقد تقدم الكلام على الضرورة
وقوله لولاه لم تخرج الدنيا من العدم ببناء الفعل وهو تخرج للمفعول او للفاعل لكن اقتصر
بعضهم على الاول اى لولا وجوده صلى الله عليه وسلم لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد
فوجوده صلى الله عليه وسلم علة فى وجودها فلو كانت ضرورته تدعو الى الدنيا لكان وجوده
معلولا لوجودها وهو خلفه والاصل فى ذلك ما رواه الحاكم والبيهقى من قول الله تعالى لادم لما
سأله بحق محمد ان يغفر له ما اقترفه من صورة الخطيئة وكان رأى على قوائم العرش مكتوبا
لا اله الا الله محمد رسول الله سألتنى بحقه ان اغفر لك وقد غفرت لك ولولاه ما خلقتك
فوجود آدم عليه السلام متوقف على وجوده صلى الله عليه وسلم وآدم ابو البشر وقد خلق الله
لهم ما فى الارض وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك كما هو نص القرآن قال تعالى خلق لكم ما فى الارض
جميعا وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واذا كانت هذه الامور انما خلقت لاجل البشر
وابو البشر انما خلق لاجله صلى الله عليه وسلم كانت الدنيا انما خلقت لاجله فيكون صلى الله عليه وسلم هو السبب فى وجود
كل شئ   محمد الخ اى الممدوح محمد فهو خبر مبتدأ محذوف على قراءته بالرفع ويصح فيه النصب على انه
مفعول لفعل محذوف اى امدح محمدا ويجوز الجر على انه بدل من الموصول الذى فى قوله وكيف تدعو الى
الدنيا ضرورة من الخ وقوله سيد الكونين اى اشرف اهل الكونين فهو على تقدير مضاف والمراد بالكونين
الدنيا والآخرة وقوله والثقلين اى الانس والجن وانما سميا ثقلين لانهما ثقلا الارض او لثقلهما
بالذنوب والعطف فى ذلك من عطف الخاص على العام وكذلك العطف فى قوله والفريقين
ونكتته التصريح به فى مقام المدح ونصف البيت اليا من الثقلين فزيادة بعض الناس لفظ خير
قبل الفريقين خطأ وقوله من عرب ومن عجم بيان للفريقين والعرب بضم العين وسكون الراء
لغة فى العرب بفتحهما والمراد بالعجم جميع غير العرب   نبينا الخ يجرى فى قوله نبينا اوجه
الاعراب الثلاثة كما تقدم فى محمد والاضافة فى نبينا للتشريف المضاف اليه وقوله الآمر الناهى
اى عن الله تعالى وهذا يستلزم كونه رسولا فهو فى قوة ان يقول الرسول وقوله فلا احد ابر منه فى
قول لا منه ولا نعم اى اذا امر ونهى فلا احد اصدق منه فى الامر والنهى فقد عبر عن النهى بقول لا
وعن الامر بقول نعم ويحتمل انه كنى بلا عن الخبر المنفى وبنعم عن الخبر المثبت اما مطلقا او عن
الثواب والعقاب وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم اصدق الناس فى الخبر ولا فى قوله ولا نعم
زائدة لتاكيد النفى وما ورد من انه لم يقل لا قط محمول على انه لم يقل لا فى شئ سئل عنه من
حوائج الدنيا بل ان كان عنده شئ اعطاه للسائل وان لم يكن عنده شئ سكت او وعده

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم

نبينا الآمر الناهى فلا احد ابر فى قول لا منه ولا نعم

وَبَالغ بعضهم حتى قال ما قال لا قط الا فى تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعما
وهذا باعتبار الغالب والا ففى صحيح البخارى ان الاشعريين جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه
ان يحملهم فقال والله لا احملكم الى اخر الحديث وهذا البيت والذى بعده خاصيتهما التخلص من
الوقوع فى الشدائد فمن واظب على قراءتهما خلص من الوقوع فى الشدائد ومن وقع فى شدة قبل
قراءتهما وكرر قراءتهما فى جوف الليل وتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم رفعت عنه تلك الشدة

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لكل هول من الاهوال مقتحم

هو الحبيب الخ الضمير راجع لمحمد او لنبينا والحبيب اما بمعنى محب فيكون اسم فاعل او بمعنى محبوب
فيكون اسم مفعول وعلى كل فالمراد هو الحبيب لله او لامته لانه اعظم محب لله وافضل محبوب له
وهو ايضا محب لامته ومحبوب لها اذ من شرط كمال الايمان ان يكون احب من المال والولد والنفس
فقد قال عمر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانت احب الى من مالى وولدى والناس
اجمعين دون نفسى فقال له عليه الصلاة والسلام لا يكمل ايمانك حتى اكون احب اليك من نفسك
التى بين جنبيك فقال عمر رضى الله عنه انت احب الى من نفسى فقال له عليه الصلاة والسلام قد كمل اذا
ايمانك وهذا ترق لسيدنا عمر فى الحال ببركته صلى الله عليه وسلم او ان ذلك كان كامنا فى نفسه غير انه لم
يتنبه لذلك الا بعد ان نبهه صلى الله عليه وسلم وهذا هو اللائق بالادب لكنه بعيد جدا وقوله الذى ترجى
شفاعته لكل هول من الاهوال مقتحم اى الذى تتوقع شفاعته وهى طلب الخير للغير عند كل هول فاللام بمعنى
عند والهول هو الامر المخوف حال كون ذلك الهول بعض الاهوال المفزعة موصوف ذلك الهول بانه مقتحم فيه اى
واقع فيه الناس فهو من باب الحذف والايصال فحذف الجار واتصل الضمير والاقتحام هو الوقوع فى الشئ
كرها يقال اقتحم زيد الامر اذا وقع فيه كرها وانما عبر بالرجاء مع ان شفاعته صلى الله عليه وسلم مقطوع
بها اشارة الى انه لا ينبغى للشخص ان ينهمك فى المعاصى ويتكل على الشفاعة وله صلى الله عليه وسلم
شفاعات منها شفاعته فى فصل القضاء حين يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو للنار لشدة
الهول وهذه هى الشفاعة العظمى وتسمى المقام المحمود لانه يحمده عليها الاولون والاخرون وهى
مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى دخول جماعة الجنة بغير حساب بعد قيامهم
من قبورهم لقصورهم وهذه مختصة به صلى الله عليه وسلم ايضا ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى
جماعة استحقوا النار ان لا يدخلوها بل يدخلون الجنة وكذلك هذه مختصة به صلى الله عليه وسلم
ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى جماعة دخلوا النار ان يخرجوا منها وهذه غير مختصة به صلى الله عليه وسلم
بل تكون لغيره ايضا من العلماء والاولياء ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى رفع درجات ناس فى الجنة
وهذه لم يثبت اختصاصها به صلى الله عليه وسلم لكن جوزه النووى ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تخفيف
العذاب عن بعض الكافرين كعمه ابى طالب على القول بان الله لم يحيه فآمن به صلى الله عليه وسلم وهو
المشهور والذى يجب اهل البيت يقول بان الله احياه وآمن به صلى الله عليه وسلم والله قادر على كل شئ
ولا ينافى شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تخفيف العذاب عن بعض الكافرين قوله تعالى لا يخفف عنهم

لان

لان المنفى انما هو تخفيف عذاب الكفر فلا ينافى انه يخفف عنهم عذاب غير الكفر على احد الاجوبة
فى ذلك   دعا الى الله الخ اى دعا الى دين الله كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك وهو الاسلام ففى
كلام المص حذف مضاف والمفعول محذوف اى عباده وهو شامل للملائكة فقد دعاهم صلى الله عليه
وسلم تشريفا لهم وتعريفا لما لم يكونوا يعرفونه لانهم اذا عرفوا من آدم عليه السلام فلم يكونوا يعرفونه
فليعرفوا منه صلى الله عليه وسلم ما لم يكونوا يعرفونه بالطريق الاولى وقوله فالمستمسكون به مستمسكون
بحبل غير منفصم اى كما قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والمراد من الحبل السبب كما هو احد اطلاقيه والفصم بالفاء القطع من غير ابانة
بخلاف القصم بالقاف فانه القطع مع الابانة ونفى الاضعف يستلزم نفى الاقوى فكونه غير
منفصم يستلزم كونه غير منقصم وانما لم يقل فالمجيبون له الخ وان كان هو المناسب للدعاء
تنبيها على ان مجرد الاجابة بالقول ونحوه لا يكفى فى النجاة من المهالك بل لا بد من الاستمساك به
صلى الله عليه وسلم كما يفعل من يصعد من مهوى فى تعلقه بالحبل والتزامه وان قصر فى الاستمساك
ولو لحظة هوى وفائدة هذا البيت حفظ الايمان والامان من سلبه بان يقال بعد كل صلاة
عشر مرات مفتتحة بالصلاة والسلام على النبى بصيغة مخصوصة وهى اللهم صل وسلم على نبيك
البشير الداعى اليك باذنك السراج المنير   فاق النبيين الخ اى زاد صلى الله عليه وسلم على النبيين
وكذا على غيرهم بالطريق الاولى فى خلق بفتح الخاء وسكون اللام وهو الصورة والشكل وفى خلق
بضمهما وهو ما طبع عليه الانسان من الخصال الحميدة كالعلم والحياء والجود والشفقة والحلم
والعدل والعفة وامثال ذلك فقد اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم ما تفرق فى غيره من تلك الخصال
وقد ذكر بعضهم ان من تمام الايمان ان يعتقد الانسان انه لم يجتمع فى احد من المحاسن الظاهرة
والباطنة مثل ما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم واعترض على الناظم بان مقتضى كلامه انه صلى الله عليه
وسلم فاق النبيين فى بعض الخلق بفتح الخاء وسكون اللام وبعض الخلق بضمهما لان كلا منهما نكرة
وهى فى سياق الاثبات لا تعم وهذا ليس بمدح تام لانه يحتمل بعد ذلك ان يساويهم فى البعض الاخر
ويحتمل ان يفوقوه فيه وعلى هذا فان كان ما فاقوه فيه مثل ما فاقهم فيه حصلت المعادلة وان
كان اكثر انعكس ما قصده المص من المدح واجيب بان المراد فى خلقهم وفى خلقهم فهما مضافان
فى المعنى فيعمان على ان النكرة فى سياق الاثبات قد تعم ولما لم يلزم من كونه فاقهم فى ذلك نفى
مقاربتهم له نفاها بقوله ولم يدانوه اى لم يقاربوه وقوله فى علم ولا كرم اى ولا غيرهما وانما
اقتصر المص عليهما لان العلم رأس الفضائل والكرم رأس الفواضل ولا يرد على ذلك ما ورد من
النهى عن التفضيل بين الانبياء كقوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا بين الانبياء لانه محمول على تفضيل
يؤدى الى التنقيص وليس فى ذلك تنقيص لاحد من النبيين لانا نعتقد انهم متصفون بالكمال
والنبى اكمل قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض قال ابن عباس المراد بالبعض الاول

دعا الى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم

Digitized by Google

محمد صلى الله عليه وسلم وكلهم من رسول الله الخ هذا البيت كالدليل للبيت قبله والجار والمجرور متعلق بقوله ملتمس والاضافة في رسول الله للعهد والمعهود هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من قوله ملتمس آخذ وان كان الالتماس معناه في الاصل الطلب وقوله غرفا من البحر او رشفا من الديم اي حال كون بعض الملتمسين مغترفا من البحر وبعضهم مرتشفا من الديم فهو اشارة الى اختلاف احوال الملتمسين فاولوا العزم مثلا اكثر التماسا من غيرهم فأو في ذلك للتنويع والتقسيم والغرف مصدر غرف بمعنى اخذ والبحر ضد البر سمي بذلك لعمقه واتساعه والرشف المص والديم جمع ديمة وهي المطر الدائم يوما وليلة من غير رعد والمراد من البحر والديم هنا علمه وحلمه صلى الله عليه وسلم فكل منهما استعارة تصريحية وكل من الغرف والرشف ترشيح وانما عبر في جانب البحر بالغرف وفي جانب الديم بالرشف لان الغرف مناسب للبحر لكثرته دون الديم لانها تجري على وجه الارض فلا يجتمع منها ماء غالبا حتى يغترف وواقفون الخ عطف على قوله ملتمس لكن نظر في احدهما للفظ كل وفي الآخر لمعناه ومعنى كونهم واقفين لديه عند حدهم انهم ثابتون عنده صلى الله عليه وسلم في العلم والحكم عند الحد الذي حد لهم من ذلك فلا يتجاوزونه واما هو صلى الله عليه وسلم فلم يزل يترقى بعد ذلك فنهاية مراتبهم في العلم والحكم مبدأ ما اوتيه صلى الله عليه وسلم منهما فوقفوا لديه صلى الله عليه وسلم ووقفوا في الغاية عند مبدأ غيره وقوله من نقطة العلم او من شكلة الحكم بيان لحدهم والمعنى على التشبيه والاضافة في الموضعين على معنى من اي الذي هو كنقطة من العلم وكشكلة من الحكم والمراد من العلم والحكم علم الرسول وحكمه كما قاله بعض الشارحين وقيل المراد بهما علم الله وحكمه وحاصل المعنى على الاول انهم ثابتون لديه صلى الله عليه وسلم في العلم والحكم عند حدهم الذي هو كالنقطة من علم الرسول او كالشكلة من حكمه صلى الله عليه وسلم وحاصل المعنى على الثاني انهم ثابتون لديه في العلم والحكم عند حدهم الذي هو كالنقطة من علم الله او كالشكلة من حكمه تعالى فعلمهم بالنسبة لعلمه صلى الله عليه وسلم كنقطة من علم الله وحكمهم بالنسبة لحكمه صلى الله عليه وسلم كشكلة من حكمه تعالى وهذا ابلغ في مدحه صلى الله عليه وسلم من الاول لكن الاقرب الاول وأو على كل فأو للتنويع والتقسيم وانما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لان النقطة تميز الحروف المشتبهة الصور والعلم خاصته التمييز لانه صفة تقتضي تمييزا لا يحتمل النقيض بوجه والشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع زوال اللبس والاختلال والحكمة فائدتها وضع الشئ في المكان الذي يستحقه على اكمل وجه لئلا يختل النظام فهو الذي تم الخ مفرع على قوله فاق النبيين الخ لكن على اللف والنشر المشوش لان معناه يرجع للخلق بضمتين وصورته ترجع للخلق بفتح الخاء وسكون اللام فان المراد من معناه كمالاته الباطنية كما هو المراد من الخلق بضمتين والمراد بصورته صفاته الظاهرية كما هو المراد بالخلق بفتح الخاء وسكون اللام وقوله ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم اي ثم اختاره حبيبا خالق الخلق والنسم بفتح النون المشددة جمع نسمة

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر او رشفا من الديم

وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم او من شكلة الحكم

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

بفتحات وهي الانسان وانما خص الوصف المذكور من بين اوصافه تعالى تنبيها على انه تعالى
خلقه على تلك الصورة ووفقه لتلك الاخلاق الحميدة ومن ذلك يعلم ان ثم ليست للترتيب في
الصفات كما قال بعضهم بل للترتيب في الذكر والاخبار ويمكن حمل كلام بعضهم على ذلك
بان يحمل على تقدير مضاف والاصل للترتيب في ذكر الصفات   منزه الخ اي وهو منزه الخ
وقوله عن شريك اي عن كل شريك لانه نكرة في سياق النفي معنى فان المعنى لا يوجد له شريك
والنكرة في سياق النفي ولو معنى تعم وقوله في محاسنه اي صورة ومعنى وقد تنازعه كل من
منزه وشريك والمحاسن جمع محسن على القياس وقيل جمع حسن على غير قياس واعترض على المص
بان النبيين مشاركون له صلى الله عليه وسلم في المحاسن كالنبوة والرسالة فكيف يقول منزه
عن شريك في محاسنه واجيب بان ما عندهم من المحاسن مثل النقطة او الشكلة كما يدل
عليه ما ذكره سابقا في العلم والحكم وح فلا مشاركة وقوله فجوهر الحسن الخ مفرع على قوله منزه
عن شريك الخ والمراد من جوهر الحسن ذاته وحقيقته وقوله فيه اي الكائن فيه وقوله غير منقسم
اي بينه وبين غيره لاختصاصه به بخلاف يوسف فانه اعطي شطر الحسن وانما لم يفتتن به
صلى الله عليه وسلم كما افتتن بيوسف عليه السلام لان جماله صلى الله عليه وسلم ستر بجلاله فلم يمكن
احد ان يتامل فيه حتى يفتتن به   دع ما ادعته النصارى الخ هذا البيت احتراس عما يوهمه قوله
منزه عن شريك في محاسنه من شموله لصفات الاله فدفع ذلك بهذا البيت وفيه اشارة الى قوله
صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى المسيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله والمراد بما
ادعته النصارى في نبيهم قولهم بانه اله لانهم يقولون بان الله اله وعيسى اله ومريم اله وبعض
فرقهم يقول بانه ابن الله كما قال تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله والنصارى هم قوم عيسى وسموا
بذلك لانهم نصروه والاضافة في نبيهم للرد عليهم في دعواهم الالوهية لمع انهم يسلمون انه
نبيهم والنبي ليس الها فلا تنافي الاضافة ان سيدنا محمدا نبيهم ايضا خلافا لما قد يتوهم من ظاهر
الاضافة من انه صلى الله عليه وسلم ليس نبيا لهم وقوله واحكم بما شئت مدحا فيه اي احكم بما شئت
من مما يدل على شرفه وعلو شانه وعظم جاهه من جهة المدح فيه صلى الله عليه وسلم ذاتا وصفات اخذا من
قوله وانسب الخ وقوله واحتكم اي زاع الحكمة في مدحك له صلى الله عليه وسلم بان تاتي بالمدح اللائق
بجنابه الشريف وقدره المنيف دون غير اللائق بذلك الجناب فليس قوله واحتكم حشوا كما قيل لانه
افاد انه وان جاز لك مدحه صلى الله عليه وسلم بما شئت من غير ما ادعته النصارى في نبيهم يتعين عليك مراعاة
الحكمة في مدحه صلى الله عليه وسلم ومن هذا يعلم انما يقع من المتغزل بابيات مشتملة على صفات الاحداث
لا يجوز حمله على النبي صلى الله عليه وسلم لان ذلك اساءة ادب لكونه لا يليق بالجناب الشريف ولذلك
لم يقع مثل هذا من احد من مداحه صلى الله عليه وسلم كحسان والمصنف وابن رواحة   وانسب الى ذاته الخ
هذا البيت تفصيل لما اجمله في قوله واحكم بما شئت مدحا الخ ويؤيد ذلك ما في بعض النسخ من التعبير بالفاء

منزه عن شريك في محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف
وانسب الى قدره ما شئت من عظم

بدل الواو وبعض الشارحين حمل قوله ولحكم بما شئت الخ على ان المراد انك تحكم بصحة ما شئت
مما سمعته من جهة المدح الكائن من غيرك وحمل قوله وانسب الى ذاته الخ على ان المراد انك تباشر
المدح وتنشئه والاول اقرب كما لا يخفى وقوله ما شئت من شرف اى الذى شئت من صفات
الشرف كتناسب الاعضاء والبياض المشرب بحمرة ونظافة الجسم وطيب العرق وفصاحة اللسان
وبلاغة القول ووفور العقل وذكاء اللب وغير ذلك وقوله وانسب الى قدره ما شئت من عظم
اى وانسب الى كماله الذى شئته من صفات العظم كالكرم والعفو والصفح والحلم والعلم وامثال
ذلك ومن فى الموضعين لبيان الجنس وخص الذات بالشرف لمناسبته لها فى العلو وخص القدر
بالعظم لمناسبته له فى عدم النهاية

فان فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

فان فضل رسول الله الخ هذا البيت تعليل للبيت
قبله فكانه قال لان فضل رسول الله الخ وقوله ليس له حد اى ليس له غاية ومنتهى لانه صلى الله عليه
وسلم لم يزل يترقى فى الكمال كل لحظة قال سيدى على وفا ويشير لهذا قوله تعالى وللآخرة خير لك
من الاولى لان معناه الاشارى وللحظة المتأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة لانه صلى الله عليه وسلم
يترقى فى المتأخرة الى كمالات زائدة عما ترقى اليه فى المتقدمة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبى فاستغفر الله اى انه لتتراكم الانوار على قلبى فاستغفر الله مما قبل ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
لابى الحسن الشاذلى لما رآه فى النوم وسأله عن معنى هذا الحديث انه غين انوار لا غين اغيار يا مبارك
وقوله فيعرب عنه ناطق بفم اى فيفصح عن فضله صلى الله عليه وسلم متكلم بلسان فمعنى يعرب يفصح
وهو بالنصب فى جواب النفى والضمير راجع لفضل رسول الله ومعنى ناطق متكلم والمراد من الفم
اللسان وعبر عنه بالفم لانه محله فهو مجاز مرسل من باب اطلاق اسم المحل على الحال فيه وقوله بفم
بعد ناطق للتأكيد على حد قولك سمعت باذنى ونظرت بعينى او للاشارة الى التعميم فى الناطق
فيشمل العربى والعجمى كما قيل به فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
امثالكم فان كلا من قوله فى الارض بعد دابة وقوله يطير بجناحيه بعد طائر للتعميم فيهما

لو ناسبت قدره آياته عظما
احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

لو ناسبت الخ كان المص ادعى ان آياته لم تناسب قدره فى العظم وذكر هذا البيت استدلالا على
ذلك فانه اشارة الى قياس استثنائى نظمه هكذا لو ناسبت آياته قدره فى العظم لكان
من جملة آياته ان يحيى اسمه دارس الرمم حين يدعى به لكن لم يكن من آياته ان يحيى اسمه دارس
الرمم حين يدعى به فلم تناسب آياته قدره فى العظم وهو المطلوب لان الواقع ان قدره صلى الله عليه وسلم
اعظم من آياته حتى من القرآن المتلو بخلاف القرآن غير المتلو وهو المعنى القائم بذاته تعالى
فانه اعظم منه لان القديم افضل من الحادث وما شاع على الالسنة من ان كل حرف من القرآن
افضل من محمد وآل محمد فكلام باطل ولا يصح حمله على القرآن القديم لانه ليس بحرف ولا صوت فلا
لمن زعم ذلك وقد ذكر المص الشرطية وحذف الاستثنائية والنتيجة ووجه الملازمة فى الشرطية
ان الاحياء المذكور لعظم آية وبه تكون الآيات مناسبة لقدره صلى الله عليه وسلم اى يكون مجموعها

بواسطة

بواسطة كون الاحياء المذكور منه مناسبا لقدره الشريف لا لكل فرد منها لانه لا يلزم من
جعل الاحياء المذكور منها ان يكون كل فرد منها مناسبا لقدره صلى الله عليه وسلم لا يقال كيف
لم يجعل الاحياء من آياته صلى الله عليه وسلم مع جعله من آيات عيسى عليه السلام لانا نقول الكلام
في احياء اسمه دارس الرمم حين يدعى به وهذا كما لم يجعل من آياته صلى الله عليه وسلم لم يجعل من
آيات عيسى عليه السلام وانما الذى جعل من آيات عيسى احياؤه الموتى باذن الله ولا يخفى ان
قدره مفعول مقدم وآياته فاعل مؤخر والمراد من قدره كمال قربه من الله تعالى والمراد بآياته اعلام
نبوته كالمعجزات وقوله عظما منصوب على نزع الخافض كما اشرنا اليه ويصح ان يكون تمييزا بل هو
الاولى لان النصب على نزع الخافض سماعى لكن كثر فى كلام المؤلفين حتى جرى مجرى القياسى وقوله
احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم اى احيى الله بسبب اسمه دارس الرمم حين يدعى به كأن يقال يا الله
بمحمد احى هذا الميت فاسناد الاحياء الى اسمه مجاز عقلى وصلة يدعى محذوفة اى به والظرف
متعلق بقوله احيى ودارس الرمم مفعول احيى فهو منصوب وجوز بعضهم ان يكون مرفوعا على
انه نائب فاعل يدعى ودعاؤه باسمه كأن يقال يا ميت احى باسم محمد صلى الله عليه وسلم ودارس بمعنى
مدروس واضافته لما بعده من اضافة الصفة للموصوف اى الرمم المدروسة والرمم جمع رمة وهى
الشئ البالى والمدروسة التى زيد فى بلائها وخاصية هذه الابيات التى اولها محمد سيد الكونين
الى آخر هذا البيت شدة قلب الغازى فى سبيل الله فانه يكتبها ويمحوها بالماء الموجود فى شهر برمودة
ويشربها فانه بعد ذلك لا يخاف من الحرب ولا يزول وكذلك من كتبها بماء ورد وزعفران وشربها
فان الله يثبته عند سؤال منكر ونكير لم يمتحنا الخ اى لم يختبرنا بشئ تعجز عنه عقولنا ولا
تهتدى لوجهه لشدة رغبته فى هدايتنا بل اتى بالحنيفية الواضحة فلم نتردد فيما اتانا به ولم نتحير
فيه فالامتحان الاختبار وما واقعة على شئ والعى بالامر العجز عنه وعدم الاهتداء لوجهه والعقول
جمع عقل وهو قوة يميز بها بين المصالح والمفاسد والحرص على الشئ شدة الرغبة فيه والارتياب
الشك والهيام التحير ولا يخفى ان قوله حرصا علينا على تقدير مضاف اى حرصا على هدايتنا
وهو مفعول لاجله وقد كان صلى الله عليه وسلم يضرب الامثال بالمحسوسات ليتضح ما يخفى ادراكه على بعض
العقول فان قيل كيف يصح قول المص لم يمتحنا بما تعيى العقول به مع ان فى القرآن المتشابه الذى
لا يعلم تاويله الا الله اجيب بان المراد لم يمتحنا فيما كلفنا به بما تعيى العقول به وح فلا يرد المتشابه
لانه لا يتعلق به تكليف لا يكلف الله نفسا الا وسعها على ان التحقيق ان الوقف على قوله تعالى والراسخون
فى العلم فهم يعلمون تاويله ويعلمونه لغيرهم اعيى الورى الخ لما اخبر المص فيما تقدم بعجز الناس
عن التعبير بفضائله صلى الله عليه وسلم بقوله فان فضل رسول الله ليس له حد الخ اخبر هنا بعجز
العقول عن ادراك كمالاته بقوله اعيى الورى الخ والاعياء الاعجاز والورى الخلق وقوله فهم معناه
اى ادراك حقيقته صلى الله عليه وسلم مع ما خصه الله به من المعارف الالهية والاسرار الربانية ولسناد

لم يمتحنا بما تعيى العقول به
حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

اعيى الورى فهم معناه فليس يرى
فى القرب والبعد فيه غير منفحم

واسناد الاعياء الى العلم مجاز عقلي لان الذى اعياهم هو الله تعالى وقوله فليس يرى الخ تفريع على قوله اعيى الورى الخ وفي ليس ضمير الشان وهو مفسر بما بعده كما هو القاعدة ويرى بالبناء للمفعول وهي بصرية وفي القرب والبعد متعلق بيرى وفيه متعلق بمنفحم وفي بمعنى عن والضمير المتصل بها راجع لعلهم معناه وقوله غير منفحم نائب فاعل يرى والمنفحم العاجز وحاصل المعنى انه اعجز الخلق فهم حقيقته فليس يبصر شخص غير عاجز عنه في القرب والبعد منه صلى الله عليه وسلم والمتبادر ان المراد القرب والبعد بحسب المكان اى فليس يرى في المكان القريب والمكان البعيد عنه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن ادراكه ويحتمل ان المراد القرب والبعد بحسب الزمان اى فليس يرى في الزمان القريب والزمان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن ادراكه ويحتمل ايضا ان المراد القرب والبعد في المعنى فاهل الباطن الناظرون له صلى الله عليه وسلم في عالم الشهود تضعف بصائرهم عن ادراكه صلى الله عليه وسلم لقوة اشراقه عليه الصلاة والسلام مع قربهم منه صلى الله عليه وسلم واهل الظاهر الناظرون له صلى الله عليه وسلم في عالم الحس لا يدركون الا شخصا مصورا وجسما مقدرا لبعدهم منه صلى الله عليه وسلم كالشمس الخ اى هو كالشمس الخ فهو خبر لمبتدا محذوف والمقصود تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس في انه لا يحاط بكنهه وحقيقته في حالتى القرب والبعد كما وضح ذلك الناظم بقوله تظهر للعينين الخ لانه قصد بذلك بيان وجه الشبه وقوله من بعد اى في حالة البعد فمن بمعنى في وبعد بضمتين كما هو لغة في بعد بضم الباء وسكون العين وقوله صغيرة اى حال كونها صغيرة بقدر المرآة مثلا فهو حال من فاعل تظهر وقوله وتكل الطرف بضم التاء وكسر الكاف من تكل وسكون الراء من الطرف اى وتعيى البصر وتضعفه لقوة شعاع نورها وهذا هو الاقرب وقيل لعظم جرمها فانه قيل انها قدر كرة الارض مائة مرة ونيفا وستين مرة فلا يمكن الطرف ان يحيط بها وقوله من امم اى في حالة القرب فمن بمعنى في والامم بفتح الهمزة القرب والمراد القرب منها فرضا فهو فرضي فقط واما بعدها فهو واقع مطلقا وقيل ان البعد يكون في حال طلوعها وغروبها والقرب يكون في غير ذلك والاول اقرب ولذلك اقتصر عليه بعض الشارحين وكيف يدرك الخ هذا البيت في قوة التعليل لقوله اعيى الورى فهم معناه الخ وكيف للاستفهام الانكارى وهو بمعنى النفى اى لا يدرك الخ واحترز بقوله في الدنيا عن الاخرة فانهم يدركون فيها حقيقته صلى الله عليه وسلم لانه يحصل لهم اذ ذاك الانتباه ويكمل نور ابصارهم وبصائرهم فيدركون الحقائق والدقائق والاسرار فيظهر لهم قدره صلى الله عليه وسلم ومنزلته ولذلك قد رواح على رؤية الحق تعالى فعدمها له تعالى في الدنيا العدم قوامهم وكونها عارضة للفناء فاذا رزقوا قوى قوية مثبتة راوا الباقي بالباقي والمراد بحقيقته صلى الله عليه وسلم قدره ومنزلته وقوله قوم نيام اى قوم غافلون عن النظر في حقيقته وهذا وصف لازم لا مخصص كما يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والمراد بالقوم جميع الورى وقوله تسلوا عنه بالحلم بضم اللام كما هو لغة في الحلم بسكونها اى اكتفوا

طالت ... المنفصل ... وقطع النظر ...

فوقها ... في الدنيا حقيقته ... تسلوا عنه بالحلم

عن النظر فى حقيقته تفصيلاً بما يشبه الحلم مما ادركوه بالخبر جملة كذا يؤخذ من كلام بعض الشارحين ويحتمل انه على ظاهره من انهم اكتفوا عن النظر فى حقيقته بما يرونه فى منامهم ان صحت لهم رؤيته فى النوم وقد اقتصر على هذا بعض الشارحين والاصح ان رؤيته صلى الله عليه وسلم فى النوم حق وان رؤى على غير هيئته التى كان عليها فى الدنيا لحديث من رآنى فقد رآنى حقا وقيل لا تكون حقا الا ان رؤى على هيئته الشريفة فمبلغ العلم فيه الخ هذا البيت مفرع على قوله اعيى الورى فهم معناه الخ فيترتب على ذلك ان ما يبلغه علم الناس فى حقه صلى الله عليه وسلم انه بشر لا اله ولا ملك وانه خير مخلوقات الله كلهم انسا وجنا وملكا وغيرهم وقوله فيه اى فى حقه من حيث الذات ومن حيث الصفات وقوله انه بشر راجع للذات وقوله وانه خير خلق الله كلهم راجع للصفات فعلم من ذلك العجز عن ادراك الكنه فى الجانبين والبشر اسم لبنى آدم سموا بذلك لبدو بشرتهم وهى ظاهر الجلد وخير اصله اخير حذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال ثم نقلت حركة الياء للخاء فصار خير فهو افعل تفضيل ولذلك لا يثنى ولا يجمع واما قوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار فالمجموع فيه خير مخفف خيّر بالتشديد والخلق بمعنى المخلوقات على سبيل المجاز المرسل بحسب الاصل لكن صار حقيقة عرفية وكل آى اتى الرسل الخ اى وكل المعجزات التى اتى بها الرسل الكرام لاممهم فلم تتصل بهم الا من معجزاته صلى الله عليه وسلم او من نوره الذى هو اصل الاشياء كلها فالسموات والارض من نوره والجنة والنار من نوره ومعجزات الانبياء من نوره وهكذا فالآى بمعنى المعجزات جمع آية بمعنى المعجزة والرسل بسكون السين ويقال فى غير النظم رسل بضمها جمع رسول والكرام جمع كريم وقوله بها متعلق باتى والضمير راجع للآى وانما للحصر والمراد بنوره معجزاته وسميت نورا لانه يهتدى بها ويصح حمله على النور المحمدى الذى هو اصل المخلوقات كلها كما حمله عليه بعض الشارحين ومن للابتداء والباء للالصاق ولا يقال كيف تكون المعجزات التى اتى بها الرسل الكرام لاممهم من نوره صلى الله عليه وسلم مع انهم متقدمون عليه فى الوجود لانا نقول هو صلى الله عليه وسلم متقدم على جميع الانبياء من حيث النور المحمدى فانه شمس فضل الخ هذا البيت تعليل للبيت قبله والمعنى على التشبيه اى فانه كالشمس فى الفضل وقوله هم كواكبها اى الرسل كواكب الشمس والمعنى على التشبيه ايضا اى مثل كواكبها ووجه التشبيه فيهما ان الشمس جرم مضئ بذاته والكواكب اجرام غير مضيئة بذاتها لكنها صقيلة تقبل الضوء فان كانت الشمس تحت الارض فاضاء نورها من جوانبها فيطلب الصعود لان النور يطلب مركز العلو فيصادف اجرام الكواكب الصقيلة المقابلة له فيرتسم فيها فتضئ فى الظلمات وتظهر انوار الشمس فيها للناس من غير ان ينقص من نور الشمس شئ فنوره صلى الله عليه وسلم لذاته ونور سائر الانبياء ممتد من نوره من غير ان ينقص من نوره شئ فيظهرون ذلك النور فى الكفر الشبيه بالظلم فلذلك قال المص يظهرن انوارها للناس فى الظلم وكما ان الشمس اذا بدت لم يبق اثر للكواكب فكذلك شريعته صلى الله عليه وسلم لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع كما يشير لذلك قوله فى بعض النسخ حتى اذا طلعت

فمبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم

وكل آى اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم

فانه شمس فضل هم كواكبها يظهرن انوارها للناس فى الظلم

Digitized by Google

فى الافق عم هداها العالمين ولحيت سائر الامم وظاهر هذا البيت انه صلى الله عليه وسلم مرسل للامم السابقة لكن بواسطة الرسل فهم نواب عنه صلى الله عليه وسلم وبهذا قال الشيخ السبكى ومن تبعه اخذا من قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والذى عليه الجمهور انه صلى الله عليه وسلم مرسل لهذه الامة دون الامم السابقة فالمسئلة خلافية والحق الاول اكرم بخلق نبى الخ اى ما اكرم خلق نبى الخ فاكرم فعل تعجب لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر وفاعله ظاهر وهو الخلق بفتح الخاء وسكون اللام لكن دخلت عليه الباء الزائدة لتحسين اللفظ وقوله زانه خلق اى حسنه خلق بضم الخاء واللام بمعنى زاده حسنا قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وقوله بالحسن مشتمل بالبشر متسم اى متصف بالحسن فاشتماله به من اشتمال الموصوف بالصفة متصف بالبشر وهو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة بشاشة الوجه وطلاقة والابتسام الانصاف ولا يخفى ان قوله بالحسن متعلق بمشتمل وهو بالجر على انه صفة لنبى فهو من باب الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة وكذا يقال فى قوله بالبشر متسم وحاصل المعنى ما احسن صورة نبى حسنه خلق متصف بالحسن متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه كالزهر فى ترف الخ صفة رابعة لنبى وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالزهر فى الترف وبالبدر فى الشرف راجع الى صورته الشريفة وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالبحر فى الكرم وبالدهر فى الهمم راجع الى خلقه الكريم والزهر نور النبات بفتح النون والترف بفتح التاء المثناة الفوقية والراء المهملة النعومة قال انس ما مسست حريرا ولا ديباجا الين من كف النبى صلى الله عليه وسلم والبدر هو القمر ليلة كماله وهى ليلة اربعة عشر وانما سمى فى تلك الليلة بدرا لانه يبدر الشمس بالطلوع والشرف بفتح الشين المعجمة والراء المهملة العلو وشرف البدر على سائر الكواكب الليلية وشرف النبى صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق وكرم البحر مذكور فى قوله تعالى وهو الذى سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وكرم النبى صلى الله عليه وسلم مذكور فى الاحاديث الكثيرة منها حديث انس قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام اى لاجل الاسلام شيئا الا اعطاه اياه قال فسأله رجل غنما بين جبلين فاعطاه اياها فاتى قومه فقال يا قوم اسلموا فوالله ان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر والدهر الزمن والهمم جمع همة وهى العزم على الشئ والارادة له ونسبة الهمم الى الدهر على عادة العرب فانهم يجعلون للدهر عزمات وارادات ويشبهون الممدوح به فى تلك العزمات والارادات وسبب ذلك ان الحادثات الدقيقة انما تقع فى الدهر فينسبونها اليه على سبيل المجاز العقلى كقولهم نهاره صائم وليله قائم ولقد غلا اى تجاوز الحد من قال له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجل من الدهر له راحة لو ان معشار عشرها على البر كان البر اندى من البحر ووجه الغلو اى مجاوزة الحد انه اثبت للممدوح هما صغرى وكبرى وجعل همته الكبرى لا منتهى لها وجعل همته الصغرى اجل من الدهر اى من هم الدهر والمصنف جعل هم النبى مثل هم الدهر فيلزم من ذلك ان هم الممدوح اجل من همه صلى الله عليه وسلم وهو باطل وبعضهم نسب

اكرم بخلق نبى زانه خلق بالحسن مشتمل بالبشر متسم

كالزهر فى ترف والبدر فى شرف والبحر فى كرم والدهر فى همم

هذين

هذين البيتين لحسان يمدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم وعليه فلا غلو لانه صلى الله عليه وسلم كان كذلك وهذا
ابلغ في مدحه صلى الله عليه وسلم من كلام الناظم لكن لم يوجد ذلك فيما جمع من شعر حسان   كانه وهو فرد الخ
صفة خامسة لنبي وكأن للتشبيه والضمير اسمها وجملة وهو فرد حال من المفعول في تلقاه فالواو للحال
ومن جلالته اي من اجل جلالته فهو تعليل للتشبيه المستفاد من كأن وحين تلقاه ظرف لما هو معنى كأن
من التشبيه وقوله في عسكر وفي حشم خبر كان وتقدير البيت كانه حين تلقاه وهو فرد في عسكر وفي
حشم من اجل جلالته وقصد المص تشبيهه صلى الله عليه وسلم وهو منفرد بنفسه اذا كان في عسكر وفي
حشم له هيبة ووقار فكذلك وهو منفرد فيكون له ايضا هيبة ووقار من اجل جلالته والجلالة العظمة
والعسكر الجيش والحشم بفتح الحاء والشين المعجمة الخدم والخطاب في تلقاه لكل من يصلح للخطاب وحكي
ان بعضهم رأى في المنام ان الصديق رضي الله عنه يزف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا البيت والذي بعده
كانما اللؤلؤ المكنون الخ صفة سادسة لنبي وقد جرى المص في البيت السابق وهو قوله كالزهر
في ترف الخ على ما جرت به العادة في التشبيه وجرى في هذا البيت على عكسه لانه شبه اللؤلؤ
المكنون في صدفه بكلامه وثغره صلى الله عليه وسلم اللذين يبرزان من معدني منطقه
ومبتسمه والاصل ان يشبه كلامه وثغره صلى الله عليه وسلم اللذان يبرزان من معدني
منطقه ومبتسمه باللؤلؤ المكنون في صدفه بجامع الحسن في كل فالمص عكس التشبيه كما في قول
الشاعر وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح وفي ذلك اشارة الى ان الفرع
لقوة وجه الشبه فيه صار اصلا والاصل لضعف وجه الشبه فيه صار فرعا ويسمى التشبيه المقلوب
وهو ابلغ في المدح واللؤلؤ هو الدر المسمى بالجوهر والمكنون المصون وفي صدفه متعلق بالمكنون
والصدف المحار الذي يتولد فيه وهو وعاء له يحفظه حتى ينشق عنه كما ان القلب وعاء للكلام
النفسي حتى يبرزه اللسان وكما ان الشفتين المنضمتين على الثغر كالوعاء له وانما قيد اللؤلؤ
بالمكنون في صدفه لانه يكون في الصدف احسن منظرا منه خارج الصدف والاضافة في
معدني منطق منه ومبتسم للبيان اي من معدنين هما منطق منه ومبتسم ويصح ان تكون
من اضافة المشبه به للمشبه اي من منطق ومبتسم شبيهين بالمعدنين والمنطق محل النطق وهو
راجع لكلامه صلى الله عليه وسلم والمبتسم بفتح السين محل الابتسام لا بكسرها خلافا لبعض الشارحين
وهو راجع لثغره صلى الله عليه وسلم ومعنى البيت كانما اللؤلؤ المصون في صدفه كلامه وثغره صلى الله
عليه وسلم اللذان يبرزان من معدني منطق منه ومبتسم وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة
الاول اي ومبتسم منه   لا طيب يعدل الخ لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما اتصف به من المحاسن
قبل مفارقة الدنيا مدحه بما اتصف به من المحاسن بعدها فقال لا طيب الخ والطيب ما يتطيب
به من مسك ونحوه والترب بسكون الراء لغة في التراب والضم الجمع والاعظم جمع عظم
وطوبى اما مصدر بمعنى التطيب او اسم لشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها

وعلى الاول فهو بدل من اللفظ بفعله وهو طاب والاصل طاب المنتشق والملتثم فحذف الفعل
واتى بالمصدر بدلا من التلفظ به وزيدت اللام لتبيين الفاعل وعلى الثانى فهو مبتدأ خبره
ما بعده وعلى كل فيحتمل انه اخبار وانه دعاء، وحاصل المعنى لا طيب يساوى التراب الذى جمع
الجسد الشريف وهو تراب قبره صلى الله عليه وسلم تطيبا او البجرة التى فى الجنة لمنتشق منه وملتثم
على التفسيرين السابقين فى طوبى ولما كان الطيب يستعمل على وجهين تارة يستعمل بالشم
وتارة يستعمل بالتضمخ اشار للاول بقوله منتشق وللثانى بقوله وملتثم والمراد بالملتثم هنا
المعفر موضع اللثام وهو الوجه وليس المراد المقبل اخذا له من الالتثام وهو التقبيل لان تقبيل
القبر الشريف وكذا ما فيه من التراب مكروه ومعلوم ان طيب التراب المذكور انما سرى له من
طيبه صلى الله عليه وسلم الذى هو على انواع الطيب ولذلك قال انس ما شممت عنبرا ولا مسكا
ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان اطيبية ذلك التراب يحتمل انها باعتبار
ما عند الله تعالى ويحتمل انها باعتبار ما عند غيره ايضا لكن لا يدرك ذلك الا من كشف له الغطاء
من الاولياء المقربين لان احوال القبر من الامور التى لا يدركها الا من ذكرنا فاندفع ما يقال لو
كان التراب المذكور من الطيب لزم ان يدرك طيبه كل احد كالمسك فانه يدرك طيبه كل احد على
انه لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراك كل احد له لجواز انتفاء شرط او وجود مانع وعدم الادراك
لا يدل على انتفاء المدرك الا ترى ان المزكوم لا يدرك رائحة المسك مع انها قائمة به وقد قال
عليه الصلاة والسلام القبر اول منزل من منازل الآخرة فاما روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النار ولا شك ان قبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة بل افضلها وقد قال ايضا
عليه الصلاة والسلام ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة وكل من القبر والمنبر داخل
فى حكم ما بينهما اما القبر فللخبر العام الذى ذكر واما المنبر فلقوله صلى الله عليه وسلم فى آخر الحديث
ومنبرى على حوضى والحوض من الجنة واذا تقرر كون هذا المكان من الجنة لم يبق عند العاقل المصدق
بالشريعة امتراء فى انه لا طيب يعدله وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الاول اى وملتثم منه كما
تقدم فى البيت السابق   ابان مولده الخ الابانة الكشف والاظهار والمولد مصدر ميمى
يصلح لان يراد به الولادة او زمانها او مكانها وعلى كل من الاحتمالات الثلاث لا بد من تقدير مضاف
والاصل ابان آيات مولده وعن للتعدية والطيب الخلوص عما لا ينبغى فى النسب والعنصر بضم
العين المهملة وسكون النون وضم الصاد هو الاصل والمراد به آباؤه الذين تناسل هو منهم وقوله
يا طيب الخ نداء للطيب على سبيل التعجب لان العرب اذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب
اى يا طيب مفتتح الخ احضر ليتعجب منك والمراد بالمفتتح بفتح التائين المثناتين من فوق آدم
عليه السلام وبالمختتم كذلك سيدنا عبد الله خلافا لما قاله بعض الشارحين من ان المراد بالمفتتح
هاشم وبالمختتم النبى صلى الله عليه وسلم لان افتتاح عنصره ليس بهاشم بل بآدم وختمه ليس بالنبى صلى الله عليه وسلم

أبان مولده عن طيب عنصره ۞ يا طيب مبتدأ منه ومختتم

بل

بل نسبتنا عبد الله واذا تعجب من طيب المفتتح والمختتم لزم أن يتعجب من طيب ما بينهما وفي
بعض النسخ بدل للمفتتح المبتدا والضمير في قوله منه راجع للعنصر وفي كلامه الحذف من الثاني
لدلالة الاول اى ومختتم منه كما في البيتين قبله وحاصل معنى البيت اظهرت وكشفت آيات
مولدك عن خلوص آبائه صلى الله عليه وسلم عما لا ينبغي في النسب يا طيب مفتتح الخ لحضر ليتعجب
منك ومن آيات مولده صلى الله عليه وسلم ما ذكروه عن آمنة انها قالت لقد اخذني الطلق واني
لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه يوم الاثنين فسمعت وجبة اى سقطة هالتني ورأيت
كأن جناح طير ابيض مسح فؤادي فذهب رعبي وكل وجع لحقني وكنت عطشى فاذا بشربة
بيضاء فشربتها فاصابني نور عال الى آخر الحديث وقد ذكره بطوله القسطلاني يوم الخ
اى هو يوم الخ فهو خبر مبتدا محذوف والضمير راجع لمولده بمعنى زمان الولادة فقط وان كان
محتملاً فيما تقدم للحدث وللزمان وللمكان وقوله تفرس فيه الفرس اى ظهر لهم بطريق الفراسة
بكسر الفاء وهي قوة يدرك بها الانسان المعاني اللطيفة بسبب المخايل الظاهرة بخلاف الفراسة بفتح
الفاء فانها الحذق في ركوب الخيل والفرس بضم الفاء وسكون الراء اهل مملكة فارس وكانوا
مجوساً يعبدون النار بعد دفع كتابهم حين بدلوه وانما سموا فرساً لانه وُلد لابيهم بضعة عشر رجلا
كلٌّ منهم شجاع فارس فسموا الفرس لذلك وقوله انهم بالاشباع وقوله قد انذروا اى اعلموا
بالبناء للمجهول وقوله بحلول البؤس والنقم اى بنزول البؤس والنقم بهم والجار والمجرور متعلق
بانذروا والحلول من حل يحل بالضم او بالكسر اذا نزل والبؤس هو الشدة المؤثرة في القلب الهم
والحزن والنقم جمع نقمة وهي العقوبة والمراد بالبؤس والنقم ما حصل لهم من خراب ملكهم وتشتيت
امرهم وتفريق قبائلهم وتمزيقهم كل ممزق كما دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصل المعنى
ان يوم ولادته صلى الله عليه وسلم يوم ظهر للفرس فيه انهم انذروا بنزول الشدة والعقوبات بهم حيث
قارنه ما سيذكره الناظم من الارهاصات المؤسسة لنبوته صلى الله عليه وسلم وبات ايوان كسرى الخ
عطف على قوله تفرس الخ اى وبات في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ايوان كسرى الخ والايوان كديوان
بناء يبنى طولا غير مسدود الوجه يعده الملك لجلوسه فيه لتدبير ملكه وقد كان سمك ذلك الديوان
مائة ذراع في مثلها ومكث في بنائه نيفا وعشرين سنة ولهذا كان يظن انه لا يهدمه الا نفخة
الصعق وقد اراد هارون الرشيد هدمه لما بلغه ان تحته مالاً عظيماً فعجز عنه فابقاه على حاله
وكسرى بكسر الكاف لقب لكل من ملك الفرس والمراد به هنا انوشروان بن قباد بن فيروز
وقوله وهو منصدع اى والحال انه منشق شقا بينا اشرف به على الهدم لا لخلل في بنائه بل ليكون
آية من آياته صلى الله عليه وسلم ومع انصداعه سقط منه اربعة عشر شرافة من شرافاته وكانت اثنين
وعشرين وقد روى انه لما ارتج ايوان كسرى وسقط منه الاربع عشرة شرافة احزنه ذلك
فوجه الى النعمان ملك العرب يستفسره عن سر ما بدى فرفع النعمان الخبر الى سطيح وقد اشرف

يوم تفرس فيه الفرس انهم
قد انذروا بحلول البؤس والنقم

وبات ايوان كسرى وهو منصدع
كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم

Digitized by Google

والنار خامدة الانفاس من اسف عليه والنهر ساهي العين من سدم

على الضريح وهو القبر فقال يكون سبي وسبايات ويموت ملوك وملكات بعدد الشرافات
ثم قضى على سطيح وقوله كشمل اصحاب كسرى بفتح الشين اى جالهم وقوله غير ملتئم خبر بات
وحاصل المعنى وصار ايوان كسرى والحال انه منصدع غير ملتئم كشمل اصحاب كسرى فانه
بات ايضا غير ملتئم بل تفرق ولم يتفق لاحد مثل ما اتفق لكسرى فى كثرة جيوشه واعوانه ولم
يزل الوانى تفرق وتشتت حتى جاءت بشائر الاسلام والنار خامدة الانفاس الخ
يجوز رفع الجزئين على الابتداء والخبر والعطف حينئذ من عطف الجمل لان هذه الجملة معطوفة
على جملة قوله بات ايوان كسرى الخ ويجوز رفع الاول على انه معطوف على ايوان ونصب الثانى على
انه معطوف على غير ملتئم وهكذا يقال فى قوله والنهر ساهي العين الخ على لغة من اعرب المنقوص
نصبا كاعرابه رفعا وجرا والعطف ح من عطف المفردات والمراد من النار نار الفرس التى كانوا
يعبدونها وكان لها خدمة يوقدونها ولم تخمد قبل تلك الليلة بالف عام وفى عبارة بعضهم بالفى عام
ومعنى كونها خامدة الانفاس كونها منطفئة اللهب مع بقاء الجمر فخمود النار انطفاء لهبها
مع بقاء جمرها واما الهمود فانطفاء لهبها مع جمرها والانفاس جمع نفس بفتح الفاء والمراد به
هنا لهب النار على طريق الاستعارة التصريحية وقوله من اسف اى من اجل اسف فمن للتعليل
والاسف بفتح الهمزة والسين شدة الحزن وقوله عليه متعلق باسف والاظهر ان الضمير المجرور
بعلى راجع للايوان وجوز بعض الشارحين ان يكون راجعا الى النبى صلى الله عليه وسلم ووجه
ذلك بان ولادته صلى الله عليه وسلم سبب فى ترك عبادتها وهذا من حسن التعليل تعريفا لهم
وهو ان يدعى لحكم علة مناسبة لكنها غير موافقة للواقع كما فى قوله وما نزل الغيث الا لكى
يقبل بين يديك الثرى وقوله والنهر ساهي العين قد عرفت اعرابه والمراد بالنهر نهر الفرات الذى
كان به قوامهم وكان قد ضل الطريق ووقع فى سماوة وهى بادية بين دمشق والعراق والمراد
بكونه ساهي العين انه ساكن العين التى هى مادته عن الجرى على سبيل الاستعارة ويحتمل ان فى
الكلام استعارة بالكناية فيكون قد شبه النهر بالانسان ساهي العين تشبيها مضمرا فى النفس وطوى
لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو ساهي العين وقوله من سدم اى من اجل سدم فمن
للتعليل والسدم بفتح السين والدال الحزن وهذا من حسن التعليل ايضا وبعضهم جعل اثبات
الاسف للنار والسدم للنهر مجازا عقليا لتنزيل كل منهما منزلة العاقل وقد عرفت انه من
حسن التعليل فلا حاجة لذلك وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الاول اى من سدم عليه كما
تقدم فى نظائره وساء ساوة الخ اى وساء اهل ساوة الخ فهو على تقدير مضاف على
حد قوله تعالى واسئل القرية اى اهلها وساوة اسم لمدينة من مدن الفرس وهى بين همدان والرى
وقوله ان غاضت بحيرتها فاعل بساء ومعنى غاضت بضاد معجمة قيل وبصاد مهملة غار ماؤها
وذهب بالمرة حتى ان لهب النار ينبع من قعرها كانما طبخت ارضها وكانت هذه البحيرة بركة عظيمة

وساء ساوة ان غاضت بحيرتها ورد واردها بالغيظ حين ظمى

Digitized by Google

تسير فيها السفن للبلاد التى على ساحلها وكان طولها ستة اميال فى مثلها عرضا وقيل ستة فراسخ فى مثلها عرضا وقال البكرى كان طولها عشرة اميال وعرضها ستة وكان حولها بيع وكنائس فخربت ومن ذلك يعلم ان التصغير فيها ليس للتحقير وقوله ورد واردها الخ اى وان رد واردها الخ فهو معطوف على مدخول ان فى قوله ان غاضت بحيرتها والباء فى قوله بالغيظ للملابسة او المصاحبة اى ملابسا للغيظ او مصاحبا له والجار والمجرور متعلق برد وقوله حين ظمى ظرف لواردها اى الذى يردها ويأتى اليها ليستقى من مائها حين عطش وحاصل المعنى واحزن اهل المدينة المسماة بساوة امران احدهما غيض مائها والثانى رد الذى يردها ليستقى منها بالغيظ حين عطش كأن بالنار الخ لا يخفى ان بالنار خبر كأن مقدم وما بالماء اسمها مؤخر والاصل كأن ما بالماء بالنار وما اسم موصول بمعنى الذى وقوله من بلل بيان لها وقوله حزنا اى للحزن فهو علة لقوله كأن بالنار ما بالماء من بلل وقوله وبالماء ما بالنار من ضرم فيه ما تقدم فيما قبله اى وكأن بالماء ما بالنار من ضرم والضرم الالتهاب وفيه الحذف من الثانى لدلالة الاول اى حزنا وحاصل المعنى ان النار التى خمدت تلك الليلة صارت كأن بها ما بالماء من البلل فصارت مبتلة لحزنها وان الماء الذى غاض تلك الليلة صار كأن فيه ما بالنار من الضرم فكان ما بكل من نار فارس وماء بحيرة ساوة انتقل للآخر من الحزن وخص الناظم من اوصاف الماء البلل دون البرودة مثلا ومن اوصاف النار الاضطرام دون الحرارة مثلا لان البلل هو الذى يخرج النار عن حقيقتها بخلاف البرودة فانها لا تخرجها عن حقيقتها قال الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابرهيم والاضطرام هو الذى يخرج الماء عن حقيقته بخلاف الحرارة فانها لا تخرجه عن حقيقته فانه يقال ماء حار ولا يقال ماء مضطرم لان الاضطرام يستلزم غاية اليبس فان قيل الجمادات كلها لا توصف بالكفر بل منقادة منخضعة لله قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فكيف يقول الناظم حزنا واللائق ان يكون ذلك فرحا اجيب بان النار تحزن على نفسها من اجل انها لا توقد والماء يحزن على نفسه من حيث انه لا يجرى فكل منهما شبيه بالحزين لاجل ذلك هذا ان كان المراد حزن ذاتهما كما هو المتبادر وان كان المراد حزن اهلهما فلا اشكال لان اهلهما يحزنون على تغيير ملكهم وتشتيت امرهم والجن تهتف الخ اى وصارت الجن تهتف فى الجبال والاودية فمن ذلك ما جاء انه حين ولد صلى الله عليه وسلم هتف هاتف على الحجون وهو ينشد ويقول فاقسم ما انثى من الناس انجبت ولا ولدت انثى من الناس واحدا كما ولدت زهرية ذات مفخر مجنبة لوم القبائل ملبدم ومنها ان هاتف سواد بن قارب انشد ابياتا ثلاث ليال فيها الحث على المجئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظيم مدحه والجن هم اولاد ابليس كما ان البشر اولاد آدم وقيل الجن اولاد الجان فابليس ابو الشياطين والجان ابو الجن والقول الاول اقوى والهتف قيل الصوت مطلقا وقيل الصوت

الخفي وقوله والانوار ساطعة اي والانوار التي خرجت معه صلى الله عليه وسلم عند ولادته لامعة ظاهرة
ففي الحديث عن آمنة رضي الله تعالى عنها انها قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضاء له قصور الشام
فولدته نظيفا ما به قذر والى ذلك يشير عم العباس بقوله وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق وقوله والحق يظهر من معنى ومن كلم اي والحق
الذي هو امره صلى الله عليه وسلم من نبوته ورسالته يظهر من معنى كالانوار ومن كلم كهتف الجن ففي
ذلك مع قوله والجن تهتف والانوار ساطعة لف ونشر مشوش عموا وصموا الخ هذا
البيت واقع في جواب سؤال مقدر فكان شخصا قال له اذا كان الحق يظهر من معنى ومن كلم
فما بال الكفار يجحدون نبوته صلى الله عليه وسلم فاجاب المص بانهم عموا وصموا الخ فالضمير راجع
للكفار فلكونهم لم ينتفعوا بما شاهدوه من المعنى ولا بما سمعوه من الكلم حيث جحدوا نبوته صلى
الله عليه وسلم مع كون الحق يظهر من معنى ومن كلم كانهم عموا عن مشاهدة المعنى كالانوار وصموا
عن سماع الكلم كهتف الجن ففي ذلك مع قوله والحق يظهر من معنى ومن كلم لف ونشر مرتب وقوله
فاعلان البشائر لم تسمع اي فاظهار البشائر به صلى الله عليه وسلم كهتف الجن لم تسمع لهم سماع
قبول وهذا مرتب على قوله وصموا وانما قال لم تسمع بالتاء الفوقية لان المضاف اليه اكسب المضاف
التانيث وقوله وبارقة الانذار لم تشم اي ولامعة الانذار به صلى الله عليه وسلم اي تخويفهم به كالانوار
لم تنظر لهم نظر قبول فالمراد بالبارقة اللامعة وهي في الاصل اسم للسيف اللامع يقال بيده بارقة
اي سيف لامع والمراد بقوله لم تشم لم تنظر يقال شام البرق نظر اليه وهذا مرتب على قوله عموا
ففي ذلك مع قوله عموا وصموا لف ونشر معكوس من بعد ما اخبر الخ متعلق بقوله عموا
وصموا وفي ذلك غاية التقبيح بهم حيث جحدوا من بعد ما علموا حقيقة الحال من كاهنهم الذي
كانوا يصدقونه ويتبعونه فيما يقوله وما مصدرية فيؤول الفعل بعدها بمصدر والاقوام
مفعول مقدم وكاهنهم فاعل مؤخر والكاهن من كان له تابع من الجن يخبره بخبر السماء لاسترقه
السمع فيحدثهم بذلك لكن يزيد على الكلمة الحقة مائة كذبة وقوله بان دينهم المعوج لم يقم اي بان
ما هم عليه من الدين المعوج لاشتماله على عبادة الاصنام لا قيام له مع وجوده صلى الله عليه وسلم
والمراد انه اخبرهم بما يفيد ذلك لانه اخبرهم بانه يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهاب
دينهم المعوج وبعد ما عاينوا الخ اي ومن بعد ما عاينوا الخ فهو معطوف على بعد في قوله
من بعد ما اخبر الخ فيقرأ لفظ بعد بالجر نظرا لذلك ويصح قراءته بالنصب نظرا للمحل الجار
والمجرور وما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف والتقدير عاينوه اي شاهدوه وابصروه
وقوله في الافق بسكون الفاء كما هو لغة في الافق بضمها والمراد به هنا السماء لا حقيقته التي
هي اطراف السماء المماسة للارض لعدم وجود الشهب في ذلك وقوله من شهب بيان لما عاينوه
والشهب جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة وليس هو النجم كما قد يتوهم لانه لا ينقض ولا يسقط

عموا وصموا فاعلان البشائر لم * تسمع وبارقة الانذار لم تشم

من بعد ما اخبر الاقوام كاهنهم * بان دينهم المعوج لم يقم

وبعد ما عاينوا في الافق من شهب * منقضة وفق ما في الارض من صنم

وقوله

Digitized by Google

وقوله منقضة اى ساقطة من السماء على الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع من الملائكة
ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم يكن للكفار عهد بمثل ذلك وان كان لهم به عهد في الجملة وذلك
ان الشياطين كانوا يسترقون السمع من السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات
بسقوط الشهب عليهم ولما ولد صلى الله عليه وسلم زيد في حراسة السماء فمنعوا من سائرها بسقوط الشهب
عليهم بكثرة لكن كانوا يقعدون في مقاعد قريبة من السماء بحيث يسمعون صريف الاقلام اى صوت اقلام
الملائكة التي تكتب ما يقع في العالم ولما بعث صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك بالشهب ايضا كما قال
الله تعالى حكاية عنهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وقوله
وفق ما في الارض اى مثل ما في الارض في الانقضاض والسقوط لان اصنام الدنيا اصبحت
منكوسة تلك الليلة وما موصولة بمعنى الذي وقوله من صنم بيان لما اى من جنس الصنم الصادق
بالكثير والصنم والوثن بمعنى واحد وقيل الصنم ما كان مصورا والوثن ما كان غير مصور
وقيل الصنم ما كان من حجر والوثن ما كان من غيره كنحاس   حتى غدا الخ اى ولم تزل الشهب
تنقض الى ان غدا الخ فهو غاية لمحذوف وحتى بمعنى الى وغدا بمعنى صار وقوله عن طريق الوحي متعلق
بمنهزم الواقع اسما لغدا وطريق الوحي هو السماء والوحي الكلام الخفي والكتاب والاشارة والرسالة
والالهام الى غير ذلك والمنهزم الهارب وقوله من الشياطين بيان لمنهزم مشوب بتبعيض وقوله
يقفو اثر منهزم اى يتبع اثر هارب آخر وحاصل المعنى ولم تزل الشهب تنقض الى ان صار هارب
من الشياطين عن السماء التي هي طريق الوحي يتبع اثر هارب آخر وهلم جرا   كأنهم هربا الخ
الضمير للشياطين وهربا حال اى في حال كونهم هاربين والابطال جمع بطل وهو الشجاع القوي
جدا وسمي بطلا لبطلان همم الشجعان عند ملاقاته او لان الدماء تبطل عنده فلا يؤخذ بثارها
وابرهة بالصرف للضرورة والا فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ومعناه بلسان الحبشة
ابيض الوجه والمراد به هنا ملك اليمن والعسكر الجيش كما تقدم والحصى حجارة صغيرة صلبة
والراحتان بطنا الكف وقوله رمي بالبناء للمجهول صفة لعسكر ويتعلق به كل من قوله بالحصى
وقوله من راحتيه والمقصود تشبيه الشياطين في حال هربهم من الشهب بابطال ابرهة او بالعسكر
الذي رمي بالحصى من راحتيه صلى الله عليه وسلم وللمصراع الاول اشارة الى قصة اصحاب الفيل والمصراع
الثاني اشارة الى غزوة بدر على ما رواه البخاري من ان رمي الحصى كان في غزوة بدر او الى غزوة حنين
على ما رواه مسلم من ان رمي الحصى كان في غزوة حنين ولا مانع من تعدد الرمي واشار بقوله رمي
بالبناء للمجهول الى ان النبي صلى الله عليه وسلم وان باشر الرمي ظاهرا لكن الرامي حقيقة هو الله قال تعالى وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولما رماه صلى الله عليه وسلم في وجوه الاعداء لم يبق منهم احد الا دخل
التراب في عينيه وانهزموا جميعا فتبعهم المسلمون يأسرونهم ويقتلونهم وحاصل قصة اصحاب الفيل ان ابرهة
رأى الناس يتجهزون ايام الموسم للحج فقال اين يذهبون فقيل يحجون بيت الله بمكة قال وما هو

حتى غدا عن طريق الوحي منهزم
من الشياطين يقفو اثر منهزم

كأنهم هربا ابطال ابرهة
او عسكر بالحصى من راحتيه رمي

قيل من الحجارة فقال والمسيح لابنين لكم بيتا خيرًا منه فبنى لهم كنيسة من الرخام الاسود
والاحمر والاصفر وحلاها بالذهب والفضة وانواع الجواهر واراد صرف الحج اليها ومنع
الناس من الذهاب الى مكة فلما اشتهر الخبر عند العرب خرج رجل من كنانة مغضبا وتغوط
فيها ولطخ قبلتها بالعذرة ولحق بارضه فاغضب ذلك ابرهة وحلف لينقضن الكعبة حجرا
حجرا وكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه فيله فلما قدم اليه الفيل خرج في ستين
الفا فلما بلغ المُغَمَّس بضم الميم الاولى وفتح الغين المعجمة وتشديد الميم الثانية مفتوحة او مكسورة
امر ابرهة رجلا بالغارة الى مكة فمضى اليها واستاق ابل قريش وغنمهم فهموا بقتاله ثم عرفوا
انهم لا يطيقون قتاله فتركوه ثم لما تهيأ ابرهة لدخول مكة برك الفيل فضربوه في رأسه ليقوم
فأبى فوجهوه الى غير مكة فقام يهرول ثم وجهوه الى مكة فبرك ثم ارسل الله عليهم الطير الابابيل
مع كل طائر ثلاثة احجار حجر في منقاره والآخران في رجليه فذهبوا هاربين يتساقطون بكل طريق
وكان الحجر يصيب رأس الرجل فيخرج من دبره ومن اسفل مركوبه والى هذه القصة اشار سبحانه
وتعالى بقوله الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة   نبذا به الخ اى نبذ النبي صلى الله
عليه وسلم نبذا الخ فنبذا مصدر منصوب بفعل محذوف من لفظه او منصوب بقوله رمى في البيت قبله
فيكون العامل فيه موافقا له في المعنى كما في قولك جلست قعودا وقوله به اى بالحصى وهو متعلق
بنبذا وقوله بعد تسبيح ببطنهما اى تسبيح الحصى في بطن الراحتين الشريفتين يعني الكفين وظاهر
كلام المص ان الحصى المرمى به سبح في كفيه صلى الله عليه وسلم وكأن الناظم وقف على ذلك او انه قصد
التسبيح الثابت في غير ذلك كما رواه انس حيث قال اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبح
في كفه حتى سمعنا التسبيح ثم وضعه في يد ابي بكر فسبح ايضا ثم في يد عمر فسبح ايضا ثم في ايدينا
فما سبح وبذلك اندفع ما اعترض به بعضهم على المص من انه لم يثبت ان الحصى الذي رمى به في
يوم بدر او حنين سبح في كفه قبل ان يرمى به وقوله نبذ المسبح من احشاء ملتقم اى كنبذ المسبح
الذي هو يونس عليه السلام من احشاء الملتقم له والاحشاء ما انضمت عليه الاضلاع وقيل الامعاء
والملتقم له هو الحوت قال الله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه
الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم اى فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه
الى البحر وركوبه السفينة بلا اذن من ربه فلولا انه كان من الذاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة فالقيناه
من بطن الحوت بوجه الارض بالساحل من يومه او بعد ثلاثة او سبعة ايام او عشرين او اربعين يوما
وهو عليل كالفرخ الممعط وقال تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
اى فنادى في الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت بان لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين في ذهابي من بين قومي من غير اذن ومراد المص التشبيه به في ان كلا امر خارق للعادة

وفي

Digitized by Google

وفي كلامه من المحسنات البديعية الاستتباع لانه بعد أن تكلم على انقضاض الشهب على الشياطين
وتشبيههم في حال هربهم بابطال ابرهة او بالعسكر الذي رمي بالحصى من راحتيه الشريفتين
استتبع الكلام على تسبيح الحصى بكفيه صلى الله عليه وسلم وحقيقة الاستتباع ان يتضمن كلام سيق
لمعنى معنى آخر كما في قول ابن نباتة ولا بد لي من جهلة في وصاله فمن لي بخل اودع الحلم عنده
فانه سيق للاخبار بكونه حليما وضمنه الشكاية بانه ليس في الاخوان من يصلح لايداع الحلم عنده

جاءت لدعوته الاشجار الخ اي اتت لطلبه الاشجار الخ فالمجيء الاتيان والدعوة الطلب
والاشجار جمع شجرة وقوله ساجدة حال من الاشجار والمراد بالسجود هنا معناه اللغوي وهو
الخضوع وجملة قوله تمشي الخ اما حال من الاشجار فتكون حالا مترادفة او من الضمير في ساجدة
فتكون حالا متداخلة وقوله على ساق متعلق بتمشي والساق ما تحت الفروع من الشجرة وقوله بلا قدم
صفة للساق او متعلق بتمشي واشار بذلك لما روي ان اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم آية
فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها حتى
قطعت عروقها ثم جاءت تجر عروقها في الارض فوقفت بين يديه وقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فامرها فرجعت ودلت عروقها في منبتها فاستوت فيه وفي
بعض الروايات فقال الاعرابي ائذن لي أن اسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا أن يسجد
لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فائذن لي أن اقبل يديك ورجليك فاذن له وانما لم يأذن
له صلى الله عليه وسلم بالسجود ايذانا بان السجود لا يكون الا لله لان مكانه من الدين عظيم لما فيه
من غاية الخضوع ومن ذلك ما رواه مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يقضي
حاجة الانسان فنظر فلم يجد شيئا يستتر به واذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق الى احداهما
فاخذ ببعض اغصانها فقال انقادي معي باذن الله فانقادت معه حتى اتى الشجرة الاخرى
فاخذ ببعض اغصانها فقال انقادي معي باذن الله فانقادت معه حتى اذا كان بالمنصف
مما بينهما لأم بينهما وقال التئما علي باذن الله فالتأمتا ثم بعد انقضاء حاجته افترقتا فقامت
كل واحدة منهما على ساق

كأنما سطرت الخ هذا البيت لبيان اعتدالها في مشيها القويم
وسلوكها السنن المستقيم والمعنى كأنما سطرت تلك الاشجار في حال مشيها سطرا للذي كتبته
فروعها وهو الخط البديع اي الذي لم يعهد مثله المرسوم في اللقم بفتح اللام والقاف اي
وسط الطريق لكونها مشت مشي استقامة فلما لم يكن في مشيها ميل ولا عوج شبه مشيها
على ذلك الوجه بتسطير الكاتب سطرا مستقيما ليكتب عليه وعلم من ذلك أن ما في قوله لما
كتبت موصولة والعائد محذوف ومن للبيان والاضافة في قوله بديع الخط من اضافة الصفة
للموصوف وقد شبه اثر فروعها في الارض المفيد للمعتبر كالاعرابي السابق بالخط الدال على
اللفظ المفيد للمتدبر للمعاني على طريق التصريح

مثل الغمامة الخ اي هي مثل الغمامة الخ

فهو بالرفع خبر لمبتدا محذوف ويصح قرائته بالنصب على انه حال من الاشجار اى حال كونها مثل
الغمامة الخ والمراد انها مثلها فى الانقياد له صلى الله عليه وسلم معجزة وآية لرد المعارض فقد انقاد له
عليه الصلاة والسلام الاعالى والاسافل فالاشجار من الاسافل والغمامة من الاعالى لانها
السحابة وقوله انى سار سائرة اى فى اى موضع سار هى سائرة او كيف سار هى سائرة فانى بمعنى
فى اى موضع او بمعنى كيف وعلى كل فسائرة بالرفع خبر لمبتدا محذوف ويصح نصبه على انه حال
من الغمامة وجملة قوله تقيه الخ خبر ثان على الاول وحال ثانية على الثانى وقوله حر وطيس اى الشمس حر
الشبيهة بالوطيس فى الحرارة فالوطيس فى كلام المص مستعار للشمس على طريق الاستعارة التصريحية
وان كان فى الاصل هو التنور وقوله للهجير اى عند الهجير فاللام بمعنى عند وهو ظرف
لحر وطيس او لقوله تقيه والهجير والهاجرة بمعنى واحد وهو وسط النهار اذا كان حارا
وقوله حمى يصح جعله فعلا ماضيا فتكون الجملة صفة لوطيس او فى موضع الحال من الهجير اى
حال كونه قد حمى وتكون حالا مؤكدة لما علمت من معنى الهجير ويصح جعله اسم فاعل بمعنى حامى
فيكون نعتا للوطيس او للهجير ويكون وصفا كاشفا وهذا البيت اشارة الى ما روى من ان
ابا طالب خرج الى الشام ومعه النبى صلى الله عليه وسلم فى اشياخ من قريش الى ان اشرفوا على
بحيرا الراهب وكان فى صومعته فنزلوا عنده وحطوا رحالهم وكانوا يمرون به قبل ذلك
فلا يخرج اليهم وفى هذه المرة خرج اليهم وجعل يتخللهم حتى جاء للنبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا
سيد العالمين هذا رسول الله الذى يبعثه رحمة للعالمين فقال له اشياخ قريش وما علمك
بهذا فقال انكم حين اشرفتم من مكة والغمامة تظله فوق رأسه ولم يبق حجر ولا شجر الا خر له ساجدا
ولا يسجدان الا لنبى وانى لاعرفه بخاتم النبوة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان
صلى الله عليه وسلم فى رعاة الابل فارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما جلس وكانوا قد سبقوا
الى فئ الشجرة مالت عليه فقال انظروا الى فئ الشجرة مال اليه اقسمت بالقمر الخ اى اقسمت
برب القمر الخ لان اهل الشرع يمنعون الحلف بغير الله تعالى وان جرت عليه عادة الادباء لكن
محل المنع فى حقنا واما فى حقه تعالى فله ان يحلف بما شاء من مخلوقاته لانها من آثاره قال
تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها الآية وانما عبر بالماضى دون المضارع اشارة الى انه قسم
مطوى عليه منذ عقل وقوله المنشق اى الذى انشق آية له صلى الله عليه وسلم لان اهل مكة سألوه
آية فاراهم انشقاق القمر فلقتين فكانت فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهدوا فقال كفار قريش قد سحرنا محمد فابعثوا الى اهل الآفاق حتى ننظر هل رأوا
مثل هذا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر فنزل قوله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وجملة قوله انه الخ جواب
القسم والضمير الاول للقمر المنشق والضمير الثانى للنبى صلى الله عليه وسلم وقوله من قلبه متعلق بنسبة

وقدمه عليها للاهتمام ومن بمعنى الباء والمراد بالنسبة المناسبة والمشابهة في الانشقاق
اما انشقاق القمر فقد علمته واما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع اربع مرات وقد جمعها بعضهم في قوله
وشق صدر للمصطفى وهو في دار بني سعد بلا مرية كشفه وهو ابن عشر في ليلة معراج وعند البعثة
وزيد خامسة عند عشرين سنة لكنها لم تثبت وقوله مبرورة القسم اى ان القسم عليها مبرور
فيه يقال بر في يمينه اذا صدق فيها والمتبادر انه صفة للنسبة لكن جعلوه صفة لموصوف محذوف
دل عليه السياق والتقدير يمينا مبرورة القسم وفيه شئ لان اليمين بمعنى القسم فيصير
التقدير قسما مبرور القسم ولا يخلو عن ركة الا ان يقال انه من باب الاظهار في مقام
الاضمار وقد علمت ما فيه الغنية عن ذلك ‏ وما حوى الغار الخ اى واذكر ما حوى الغار الخ
او واقسمت بما حوى الغار الخ وعلى الثاني فجواب القسم معلوم مما قبله والغار نقب في الجبل
وكان في جبل ثور باسفل مكة وقوله من خير ومن كرم بيان لما حوى الغار وظاهره ان المراد
نفس الصفتين من غير تقدير مضاف وعليه فما باقية على معناها كما ذكره بعضهم والاظهر
جعله على حذف مضاف اى من ذي خير ومن ذي كرم وعلى هذا فما بمعنى من لان ما لغير العاقل
ومن للعاقل والمراد بالخير الاخلاق الحميدة وبالكرم الجود فهما متغايران تغاير الاعم والاخص
وكل منهما لكل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن ابي بكر ويحتمل ان الاول للنبي صلى الله عليه وسلم والثاني
لابي بكر وعلى هذا فانما خصه بالكرم لانه آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله ولذلك
لما اتيا الى الغار تقدم ابو بكر في الدخول لاحتمال ان يكون فيه ما يؤذي فيتلقاه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم يجد شيئا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر ابي بكر
وكان هناك جحر فيه حيات وافاعي فخشي ابو بكر ان يخرج منه شئ يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فالقمه
قدمه فجعلت الحيات والافاعي تضربنه وتلسعنه ولم يتحرك مخافة ان يوقظ النبي صلى الله عليه وسلم
فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا بكر ما يبكيك فاخبره فتفل عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده لكن كان يعاوده ذلك حتى كان سبب موته على المشهور وفي بعض
التواريخ انه مات بسم آخر لانه اكل مرة مع اعرابي فقال له الاعرابي ارفع يدك يا خليفة رسول الله
فان هذا الطعام فيه سم سنة وانا وانت نموت في يوم واحد وكان ذلك وقوله وكل طرف الخ
اى والحال ان كل طرف الخ فالواو للحال والطرف بسكون الراء هو البصر وقوله عنه اى عما حوى
الغار وقوله عمي يحتمل جعله فعلا وجعله اسما وقد لبث النبي وابو بكر في الغار ثلاث ليال وجاء
الكفار حول الغار ينظرون فاعماهم الله تعالى قال ابو بكر نظرت الى اقدامهم فوق رؤسنا فقلت
يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما وفي
التنزيل ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ‏ فالصدق والخ
اى فذو الصدق والخ فهو على حذف مضاف او يؤول الصدق بالصادق او يجعل من باب المبالغة

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمي

فالصدق في الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من ارم

Digitized by Google

وقوله والصديق اى فى الغار ففيه الحذف من الثانى لدلالة الاول وقوله لم يرما بكسر الراء
اى لم يبرحا واصله لم يريما حذفت منه الياء تبعا لحذفها فى اسناده الى المفرد كما فى قولك زيد
لم يرم فان اصله يريم حذفت منه الياء مع الجازم لالتقاء الساكنين وقوله وهم يقولون الخ
اى والحال انهم يقولون الخ والضمير راجع للكفار المعلومين من السياق وجملة قوله ما بالغار من
ارم مقول القول وارم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنى احد وهو مبتدا خبره الجار والمجرور قبله
ومن زائدة وانما قالوا ذلك لانهم رأوا حوم الحمام حول الغار ونسج العنكبوت على فمه فظنوا
انهما ليسا فيه كما اشار اليه الناظم بالبيت بعد هذا وذلك انه تقدم رجل منهم فنظر حمامتين
على فم الغار فقال ليس فى الغار شئ رأيت حمامتين على فم الغار فعرفت انه ليس فيه احد فقال
رجل آخر ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم بالغار اى وما حاجتكم به ان فيه لعنكبوتا
اقدم من ميلاد محمد ظنوا الحمام الخ هذا البيت كالتعليل لما قبله كما علمت وقوله على خير البرية
متعلق بقوله لم تنسج او بقوله لم تحم وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الاول او بالعكس وقوله
لم تنسج بكسر السين وضمها راجع للعنكبوت وقوله ولم تحم بضم الحاء راجع للحمام ففيه لف ونشر
مشوش وسبب ظنهم ذلك ان هذين الحيوانين متى احسا بالانسان فرا منه ولم يعلموا ان الله تعالى
يحفظ من شاء من عباده بمن شاء من خلقه وقاية الله الخ اى حفظ الله لهما من الكفار
اغناهما عن مضاعفة من الدروع بان يلبس الشخص درعا فوق درع للحفظ من العدو وان
تنسج الدرع حلقتين وتلبس للحفظ من العدو فالمراد بالمضاعفة من الدروع ان يلبس الشخص
درعا فوق درع وقيل ان تنسج الدرع حلقتين وقوله عن عال من الاطم اى واغنت عن عال
من الحصون التى يتحصن فيها من العدو فالاطم بضم الهمزة والطاء بمعنى الحصون جمع اطمة وهى
الحصن وفى هذا البيت اشارة الى قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا الاية
ما ضامنى الدهر يوما الخ هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها ما سامنى الدهر ضيما الخ والمعنى
على الاول ما ظلمنى الدهر فى يوم الخ وعلى الثانى ما ارادنى وقصدنى الدهر بظلم الخ وعلى كل فلا بد
من تقدير مضاف اى اهل الدهر والا فالدهر لا يظلم ولا يريد الظلم وان جرت عادة العرب بنسبة
الظلم اليه لوقوعه فيه وقوله واستجرت به اى طلبت منه ان يجيرنى من ذلك فالسين والتاء
للطلب وقوله الا ونلت جوارا منه اى الا واعطيت جوارا بكسر الجيم وضمها اى حمى وحفظا
من الرسول وقوله لم يضم بالبناء للمجهول اى لم يحتقر بل يحترم قوله ما ضامنى الخ هو الذى
بعده فائدتهما ان من كان مسجونا او خائفا من سلطان وداوم على قراءتهما سبع عشرة مرة
بعد كل صلاة فان الله يفرج عنه همه ويجعل له من امره مخرجا ولا التمست الخ معطوف
على قوله ما ضامنى الدهر الخ والالتماس عند بعضهم اسم للطلب من المساوى والمراد منه هنا
الطلب بخضوع وذلة وقوله غنى الدارين اى دارى الدنيا والآخرة والغنى فى الاول بالكفاية

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله اغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الاطم

ما سامنى الدهر ضيما واستجرت به الا ونلت جوارا منه لم يضم

ولا التمست غنى الدارين من يده الا استلمت الندى من خير مستلم

Digitized by Google

وفي الثانية بالسلامة من العذاب وقوله من يد اي من نعمة فالمراد من اليد هنا النعمة وقيل
المراد منها الذات الكريمة وقوله الا استلمت اي الا اخذت فالمراد بالاستلام هنا الاخذ
كما في قولهم استلمت معروفه على سبيل التجوز لانه في الاصل اللمس باليد او الفم كما في قولهم استلمت
الحجر وقوله الندى بفتح النون مع القصر وهو العطاء والكرم وقوله من خير مستلم بفتح اللام
اي من خير مستلم منه فصلته محذوفة والمستلم منه هو الماخوذ منه وانما كان صلى الله عليه وسلم
خير مستلم منه لانه لا يرد سائله وبيده خير الدنيا والآخرة فان قيل اخباره من نيل غنى الدنيا
منه صلى الله عليه وسلم صحيح لانه مشاهد في الحس بخلاف اخباره عن نيل غنى الآخرة منه صلى الله
عليه وسلم فانه غير مشاهد في الحس فكيف يصح اخباره عنه اجيب بانه مشاهد بقوة يقين الايمان
وفي هذا البيت والذي قبله براعة المطلب وهي كما قاله الزنجاني في كتاب المعيار ان يلوح بالطلب
بالفاظ عذبة خالية عن الاجحاف مقترنة بتعظيم الممدوح تشعر بما في النفس دون كشفه وقيود
هذا الحد كلها موجودة في هذين البيتين   لا تنكر الوحي الخ هذا شروع في مبدا الوحي وقوله
من رؤياه حال من الوحي ومن للابتداء اي لا تنكر الوحي حال كونه مبتدأ من رؤياه في النوم
فان بدأ الوحي كان بالرؤيا الصالحة في النوم وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل
فلق الصبح وقوله ان له قلبا الخ تعليل لما قبله اي ان له صلى الله عليه وسلم قلبا له اليقظة الدائمة
حتى اذا نامت عيناه الشريفتان لم ينم قلبه لانه مهبط الوحي وقد شق وطهر من التعلق بغير الله
وملئ حكمة وايمانا فصارت اليقظة الدائمة من صفاته فحسن ان يخاطب بما يتعلق بالوحي
وقد ورد في الصحيحين ان عيني تنامان ولا ينام قلبي لا يقال يشكل على ذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم نام مع اصحابه في الوادي فلم يوقظهم الا حر الشمس لانا نقول نظر القلب انما هو فيما
غاب عن المشاهد ومشاهدة طلوع الشمس من وظيفة العين وقد كانت اخذت حظها من
النوم وهذا البيت والذي بعده فائدتهما الخفة من المرض من كتبهما في صحيفة فخار وسقاها بشراب
العرقسوس وشربهما على الريق فانه يخف باذن الله تعالى   وذاك الخ لما كان البيت
المتقدم يوهم ان الوحي من رؤياه في النوم دائم دفع ذلك بقوله وذاك الخ واسم الاشارة راجع
للوحي من رؤياه في النوم وقوله حين بلوغ من نبوته اي حين وصول الى نبوته فالبلوغ بمعنى
الوصول ومن بمعنى الى والمعنى والوحي من رؤياه في النوم كائن وحاصل حين الوصول الى نبوته وحكمة
ذلك الاستئناس بملاقاة الملك في النوم ليطيق ذلك في اليقظة بعد اذ لو جاءه في اليقظة ابتداء
لامكن ان لا يطيق ملاقاته فلما استانس بذلك اتاه في اليقظة وقوله فليس الخ تفريع على قوله
وذلك حين بلوغ الخ وينكر بالبناء للمفعول وحال محتلم نائب فاعل والضمير في قوله فيه للحين المذكور
وفي بعض النسخ منه بدل فيه والضمير عليه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بحال المحتلم الوحي من رؤياه
في النوم لان المحتلم هو النائم وحاله ما يراه في نومه والحاصل ان ذلك انما كان في ابتداء النبوة

لا تنكر الوحي من رؤياه ان له
قلبا اذا نامت العينان لم ينم

وذاك حين بلوغ من نبوته
فليس ينكر فيه حال محتلم

Digitized by Google

وقد نبئ على رأس أربعين سنة وذلك حد مبدأ النبوة وإذا كان كذلك فلا ينكر الوحي من
رؤيا مع كانت مرتبته صلى الله عليه وسلم أعلى المراتب وكان مقتضى ذلك أن لا يكون الوحي
إليه في النوم لأن الوحي في النوم أدنى من الوحي في اليقظة تبارك الله الخ هذا البيت استدلال
على ما قبله ومعنى تبارك الله تنزه الله وتعالى ارتفع عما يقوله الكافرون علوا كبيرا وما وحي
بمكتسب أي ليس وحي وإن قل بمكتسب لأحد بسعيه فيه بأن يحصله بأسبابا لأن أكثر الشيء بتحصيله
بأسبابه التي جرت العادة الغالبة بحصوله عقبها وإذا لم يكن مكتسبا بل بتخصيص الله به من
يشاء من عباده فلا ينكر وقوعه في الرؤيا كما لا ينكر وقوعه في اليقظة فإن فعل الفاعل المختار
لا يختص بحالة دون الأخرى فالذي عليه أهل الحق أن الوحي ليس مكتسبا خلافا لمن زعم ذلك
وهم الفلاسفة فإنهم زعموا أنه مكتسب بالخلوة والرياضة وهو كفر صراح فيجب الإيمان بأن
ذلك بمحض فضل الله قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته ومثل الوحي الولاية فليست مكتسبة
أيضا بل بفضل الله يؤتيه من يشاء وقوله ولا نبي على غيب بمتهم أي ولا نبي من الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام بمتهم على أخبار غيب أي على الأخبار بأمر غائب فهو على تقدير مضاف والغيب
بمعنى الغائب وهو صفة لموصوف محذوف وإنما لم يكن النبي متهما على الأخبار بالغيب لأن الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب كسائر المعاصي ولا يرد قوله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك ونحو ذلك لأن ما يقع
منهم من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن المقرب أعلى درجة من البار فإذا فعل البار حسنة
يراها المقرب سيئة ومثلوا ذلك بما إذا تصدق البار برغيف وأبقى عنده رغيفا آخر
فإن هذا حسنة عنده لكن يراها المقرب سيئة لكون الأولى عنده أن يتصدق بالرغيفين معا
وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم وإلى قوله تعالى وما ينطق عن
الهوى إن هو إلا وحي يوحى والحاصل أن الأنبياء معصومون من الكبائر وصغائر
الخسة بإجماع ومن صغائر غير الخسة على ما عليه المحققون والراجح أنهم معصومون منها
قبل النبوة وبعدها خلافا للمجوزها عليهم قبل النبوة ولما وقع منهم محامل فأما قصة آدم
وهي أنه أكل من الشجرة وقد نهاه الله عنها فمحمولة على أنه قد تأول النهي مع أنه وإن كان منهيا ظاهرا
هو مأمور باطنا لحكمة يعلمها الله تعالى فهي معصية لا كالمعاصي وأما قول إبراهيم عليه الصلاة
والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم هذا ربي فقد ذكره مجاراة لهم أي هذا ربي
بزعمكم وغرضه بذلك التوصل لبطلانه بلزوم المحال ولذلك قال فلما أفل قال لا أحب الآفلين
فكأنه قال لو كان ربا لما أفل لكنه أفل فليس برب وأما ما صدر من إخوة يوسف عليه الصلاة
والسلام فلا يرد لأنه قد اختلف في نبوتهم فعلى القول بعدم نبوتهم لا إشكال وعلى القول
بنبوتهم فيؤول ما صدر منهم بما أول به قصة آدم وأما هم يوسف بزليخا فهو أمر جبلي

لَا اختيارى له حتى يكون مذموما والرغبة فى النساء محمودة اذ عدمها يدل على العنة وحى
ولما هم يوسف بمقتضى الجبلة امتنع لكونه رآى برهان ربه وذلك معنى قوله تعالى وهم بها
لولا ان رآى برهان ربه واما قصة داود عليه الصلاة والسلام وهى انه خطر بباله ان
مات وزيره فى الحرب تزوج بزوجته لما علم من حسنها فارسل الله اليه ملكين فى صورة رجلين
لختصما اليه الى آخر القصة المذكورة فى سورة ص فلا ترد ايضا لان ما وقع منه ليس معصية
لكنه غير لائق بمقامه ولذلك عوتب عليه وبكى حتى نبت العشب من دموعه وذكر بعض المفسرين
ان جماعة من الناس حقيقة تسوروا قصره ليقتلوه فلما رآهم خاف كما قال الله تعالى ففزع
منهم وانما خاف لما تقرر فى العرف من انه لا يتسور دور الملوك من غير اذنهم الا ذو ريبة فلما
رأوه مستيقظا خافوا من فعلهم فاخترعوا خصومة لا اصل لها زعما منهم انما قصدوا لاجلها
دون ما توهمه ثم ادعى واحد منهم على الاخر كما اخبر الله تعالى فقال داود فى الجواب لقد ظلمك
بسؤال نعجتك الخ وحمل الآية على هذه القصة اولى لان الملائكة لا يظلم بعضهم على بعض
فيكون كلامهم كذبا ويستحيل صدور الكذب من الملائكة اه من القسطلانى ببعض تغيير
واختصار وهذا البيت والذى بعده فائدتهما الكتابة للمصروع بين عينيه والكتابة فى
خرقة زرقا ويجعل فتيلة ويحرق طرفها بالنار ويجعل تحت انف المصروع فمتى حصل الدخان
فى انف المصروع صاح فيخرج صارخا ويمحى الذى بين عينيه فيذهب الصارع ولا يعود ابدا
واذا لخرج العارض فاكتب البيتين حرزا مع شئ من القرآن وعلقهما على المصاب فانك ترى
العجب   كم ابرأت الخ اى كثيرا من المرات ابرأت الخ فكم خبرية بمعنى كثيرا او مميزها محذوف
وقوله وصبا بكسر الصاد اى مريضا ويجوز فتح الصاد اى مرضا لكن على تقدير مضاف اى ذا
مرض والاول اولى وهو مفعول لابرأت وجعله بعضهم تمييزا لكم وجعل مفعول
ابرأت محذوفا وقوله باللمس اى بسبب اللمس وقوله راحته فاعل بابرأت واشار بذلك الى
ما روى من ان عين قتادة اصيبت يوم احد ووقعت على وجنته فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ان لى امرأة احبها واخشى انها ان رأتنى على هذه الحالة قذرتنى وارتفع حبى
من قلبها فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم عينه بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا
فكانت احسن عينيه ومن ان محمد بن حاطب احترقت يده بالنار فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فمسح عليها
فبرئت من ساعتها ومن ان شرحبيل الجعفى كانت بكفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة
فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى لم يبق لها اثر وغير ذلك من وقائع كثيرة
وقوله واطلقت اى وحلت راحته وقوله اربا بفتح الهمزة وكسر الراء بوزن فرحا اى ذا ارب وحاجة
وهى اعم من ان تكون عطاء او شفاء او خلوصا من اثم وبعضهم ضبطه بضم الهمزة وفتح الراء
وفسره بالعقد وقوله من ربقة اللمم اى من عقدة الجنون فالربقة بكسر الراء وسكون الموحدة العقدة

كم ابرأت وصبا باللمس راحته
وأطلقت اربا من ربقة اللمم

Digitized by Google

واللمم بفتح اللام الجنون ويصح تفسيره بالذنوب والمعاصي وفي الكلام استعارة تصريحية
حيث شبه تعلق الجنون او الذنوب والمعاصي بالانسان بالحبل الذي فيه عرى تربط فيها
اعناق الغنم لئلا تذهب واستعير لفظ المشبه به وهو الربيقة للمشبه واشار بذلك الى
ما روي من ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم بابن لها به جنون فمسح بيده المباركة صدره
فثع ثعة بالمثلثة والعين المهملة اي قاء قيئة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود وبرئ لوقته
واحيت السنة الشهباء الخ اي ولخصبت السنة الشهباء الخ ففيه استعارة تصريحية
تبعية لانه شبه الاخصاب بالاحياء واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاحياء بمعنى
الاخصاب احيت بمعنى اخصبت او استعارة بالكناية وتخييل لانه شبه السنة الشهباء
بانسان ميت تشبيها مضمرا في النفس وحذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو
الاحياء ولا يخفى ان السنة مفعول مقدم ودعوته فاعل مؤخر والشهباء صفة السنة وهي المجدبة
سميت بذلك لانها تشبه الفرس الشهباء وهي التي يغلب بياضها على سوادها وانما اشبهتها
لغلبة بياض الارض فيها لعدم النبات على سوادها بالنبات وقوله دعوته اي بالسقيا وقوله
حتى حكت غرة في الاعصر الدهم غاية لقوله واحيت الخ وغرة بالنصب على انه مفعول لحكت وغرة
كل شئ احسنه والاعصر جمع عصر وهو الزمن والدهم بضم الدال والهاء جمع ادهم وهو الاسود
لسواد الارض فيه بالزرع شديد الخضرة حتى يرى انه اسود فتلك السنة لكثرة خصبها وجدبها حتى
كأنها غرة في تلك الاعصر واشار بذلك الى ما رواه الشيخان عن انس ان رجلا دخل المسجد يوم
جمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يخطب فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت
السبل فادع الله يغيثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اغثنا ثلاثا وما نرى في السماء من
سحاب ولا قزعة بفتح القاف والزاي اي قطعة سحاب فطلعت سحابة ثم امطروا والله ما رأينا الشمس سبعا
ثم دخل رجل في الجمعة الاخرى ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يخطب فقال يا رسول الله هلكت الاموال
وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا فرفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا الخ فاقلعت
اي انكشفت وخرجنا نمشي في الشمس وسئل انس اهو الرجل الاول قال لا ادري   بعارض الخ
اي احيت السنة الشهباء دعوته بعارض الخ فالجار والمجرور متعلق باحيت ويصح تعلقه بحكت
والمراد بالعارض السحاب الذي ارسله الله تعالى بسبب دعوته صلى الله عليه وسلم وقوله جاد اي جاد
هذا العارض وهو السحاب بالمطر الكثير وفي قوله جاد نوع احتراس لان العارض قد يكون
ممسكا وقد يكون الاحتراس في قوله واحيت وقوله او خلت اي او ظننت وأو بمعنى الواو وانما
عبر بأو ليستقيم الوزن وبعضهم جعلها بمعنى الى فالمعنى الى ان ظننت كما في قول الشاعر
لأستسهلن الصعب او ادرك المنى   فما انقادت الآمال الا لصابر   فأو فيه بمعنى الى والمعنى
الى ان ادرك المنى وقوله البطاح بالنصب على انه مفعول اول لقوله خلت وجملة قوله بها سيب من اليم

وأحيت السنة الشهباء دعوته حتى حكت غرة في الأعصر الدهم

بعارض جاد أو خلت البطاح بها سيب من اليم أو سيل من العرم

أو سيل

أو سيل من العرم سدّت مسدّ المفعول الثاني والبطاح جمع ابطح وهو الوادي المتسع الذي فيه دقاق الحصى والضمير في قوله بها راجع للبطاح والسّيب الجري واليم البحر ومن الداخلة عليه ابتدائية والعرم بفتح العين وكسر الراء في الاصل اسم لما يمسك الماء من بناء وغيره وهو اسم للوادي ومن الداخلة عليه للابتداء وهذا ماخوذ من قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم اي سيل الوادي المسدود بالسدّ الذي بنته بلقيس وهو بناء عظيم محكم على ما ذكره اهل التفسير والتاريخ وانما خص اليم بالسيب والعرم بالسيل لان ماء اليم لكثرته يجري في الارض المنبطحة الى اسفل والى فوق وماء العرم غالبا انما يقع في اعلى الارض فلا يجري الا سائلا واو الثانية للتخيير فالمعنى انت بالخيار فاما ان تشبه الماء الكائن على سطح الارض بسيب البحر واما ان تشبهه بسيل السدّ او للتشكيك فالناظر يتشكك في الماء الكثير الكائن على سطح الارض هل هو سيب من البحر او سيل من السدّ   دعني الخ لما ذكر الناظم جملة من معجزاته صلى الله عليه وسلم قدّر ان العدو المعاند والكافر الجاحد قال له كفّ عن ذكر هذه الآيات التي لا نسلمها فاجابه بقوله دعني الخ كانه يقول له كيف تنكرها ولا تسلمها وقد ظهرت ظهورا تاما وقوله ووصفي آيات اي ذكري لها بالنظم الخ مما يأتي وهو معطوف على الياء من دعني او مفعول معه اي اتركني وذكري آيات او مع ذكري آيات والمراد بالآيات المعجزات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وهو مفعول لوصفي وقوله له متعلق بمحذوف صفة لآيات اي آيات كائنة له صلى الله عليه وسلم او متعلق بقوله ظهرت الواقع صفة للآيات ووصفها بذلك كاشف لان الظهور لازم لكل آية من آياته صلى الله عليه وسلم ويصح ان يكون احترازا عما ثبت بالآحاد فكانه يقول للمنكر آيات الا الاما لا يمكن انكاره لثبوته بالتواتر واما ما ثبت بالآحاد فلا لانه يمكن انكاره وقوله ظهور نار القرى اي ظهرت ظهورا مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذي هو الضيافة وقوله ليلا ظرف لظهور نار القرى وقوله على علم اي على جبل وقد جرت عادة الكرام من العرب بايقاد تلك النار على الجبل ليهتدي الضيفان الى منازلهم والتنكير في الليل والعلم للنوعية اي ليلا حالكا اي شديد السواد على علم شامخ اي مرتفع او للتعظيم   فالدرّ الخ لما كان قد يقال اذا كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم فما فائدة وصفك لها بهذا النظم اجاب بانها وان كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظاهرة ظهورا تاما يزداد ظهورها بذكرها ويزداد حسنها بنظمها ولا ينقص قدرها منثورة لانه ذاتي لها فلا يفارقها سواء كانت نثرا او نظما نعم لم يحصل من زيادة الالتذاذ بسماعها منظومة ينقص مع الاخبار بها منثورة لان ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف واستدل على ذلك بامر محسوس يدرك فيه ما ذكر بقوله فالدرّ الخ اي فالدرّ المعلوم حسنه وهو اللؤلؤ يزداد حسنا والحال انه منتظم في السلك لترتيبه وتنزيله في المنازل المناسبة وليس ينقص قدرا حال كونه غير منتظم لان حسنه ذاتي له فلا يفارقه

سواء كان منظوما او غير منظوم نعم الحسن الحاصل عند نظمه لما يحصل له من الترتيب
والتناسب ينقص عند عدم نظمه لما علمت من ان ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف
وكل من قوله حسنا وقوله قدرا تمييز محول عن الفاعل والتقدير في الاول يزداد حسنه وفي
الثاني وليس ينقص قدره وقد علم مما تقرر ان الواو في قوله وهو منتظم واو الحال وان قوله غير
منتظم حال من فاعل ينقص وفائدة قوله وليس ينقص قدرا غير منتظم الاحتراس الرافع لما
يتوهم من ان ازدياد الحسن بالنظم يوجب نقص القدر عند عدم النظم فما تطاول آمالي الخ لما كان
قوله دعني ووصفي الخ قد يوهم ان آماله تطاولت بالمديح الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم
من الصفات دفع ذلك بقوله فما تطاول الخ والفاء عاطفة ويحتمل ان ما نافية وتطاول فعل ماض
وآمالي فاعل والمديح منصوب بنزع الخافض والمعنى على هذا فلم تتطاول آمالي بالمديح الصادر مني
الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الاخلاق والشيم لعلمي باليأس من ذلك والعجز عما
هنالك ويحتمل ان ما استفهامية فتكون للاستفهام الانكاري وهي مبتدأ وتطاول مصدر مرفوع
على انه خبر ما الاستفهامية فانها مبتدأ كما علمت وآمالي مضاف اليه والمديح منصوب بنزع الخافض
مثل ما مر على الوجه الاول والمعنى على هذا فما فائدة تطاول آمالي بالمديح الى تمام ما فيه صلى الله
عليه وسلم من كرم الاخلاق والشيم مع انها لا انتهاء لها وما ذكرناه من ان المديح منصوب بنزع
الخافض على النسخ التي فيها آمالي بالاضافة لياء المتكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين وفي بعض
النسخ آمال بلا ياء وعليه شرح القسطلاني وجعل المديح مجرورا لانه مضاف اليه لكن على تقدير
مضاف اي آمال صاحب المديح والتطاول في الاصل مد العنق والآمال جمع أمل وهو الرجاء وقد
شبه الآمال بذي عنق يتطاول اي يمد عنقه الى ما يريد ادراكه تشبيها مضمرا في النفس
وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو التطاول ففي كلامه استعارة بالكناية
وتخييل والمدح هو الثناء الحسن وقوله الى ما فيه اي الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم وهو
متعلق بتطاول وقوله من كرم الاخلاق والشيم بيان لما فيه والاضافة في ذلك من اضافة
الصفة للموصوف اي من الاخلاق والشيم الكريمة والاخلاق جمع خلق بضمتين وهو الطبيعة
والشيم بكسر الشين المشددة وفتح الياء جمع شيمة وهي الخلق بضمتين فعطف الشيم على الاخلاق
من قبيل عطف المرادف وهو في مقام المدح سائغ وايضا قد يكون كرم الاخلاق عن استعمال
وتكلف فرفع ذلك بقوله والشيم فهو احتراس فكأنه قال كرم اخلاقه صلى الله عليه وسلم من كرم
طباعه لا بالاستعمال والتكلف لذلك من غير ان يكون طبيعة وهذا البيت الى آخر قد تنكر
العين خاصيتها لمن كان لا يحسن العبادة ولمن كان الكون لا يستقيم له حجة فليكتب هذه الابيات في
صحيفة بماء ورد وزعفران ويمحيها ويشربها عند ارادة النوم وقيامه من النوم فانه يصير فصيح
اللسان وتقوى حجته ويرزقه الله القوة على العبادة باذن الله تعالى آيات حق الى آخره

فما تطاول آمالي المديح الى ما فيه من كرم الاخلاق والشيم

آيات حق من الرحمن محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم

اى من معجزاته صلى الله عليه وسلم آيات حق الخ فآيات مبتدا خبره مقدر قبله وهو الجار والمجرور
واضافة آيات لحق من اضافة الموصوف للصفة اى آيات موصوفة بانها حق وجميع ما سيأتى
الى قوله فى البيت الثانى عشر وكالميزان معدلة صفات للآيات وما يقع بين الصفات
من متعلقاتها ومقصود المص بالذات مدح النبى صلى الله عليه وسلم لكن لما ذكر ان من معجزاته
صلى الله عليه وسلم الآيات الحق التى هى القرآن استطرد بذكر صفاتها وقوله من الرحمن اى
من عند الرحمن لا من عند محمد كما زعم كفار قريش وقوله محدثة اى احدثها الله تعالى كما جاء
فى التنزيل قال تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين وقال تعالى
ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون وفى بعض النسخ محكمة بدل محدثة
وقد جاء بها التنزيل ايض قال تعالى كتاب احكمت آياته وقوله قديمة استشكل بانه ينافى قوله
محدثة على النسخة الاولى لان الشئ لا يكون محدثا وقديما معا والا ادى الى اجتماع النقيضين
وهو محال واجيب بانها محدثة باعتبار الالفاظ قديمة باعتبار المعانى فهى محدثة قديمة
باعتبارين لا باعتبار واحد حتى يؤدى الى اجتماع النقيضين وهذا الجواب مبنى على ان
الالفاظ التى نقرأها تدل على الكلام القديم الذى هو صفة قائمة بذاته تعالى كما قال السنوسى
وغيره من المتقدمين لكن ناقش فى ذلك العلامة ابن قاسم واختار انها تدل على معنى
مسا و للمعنى الذى تدل عليه الصفة القديمة مثلا اقيموا الصلاة يدل على طلب اقامة الصلاة
وبحيث لو كشف عنا الحجاب لفهمنا من الكلام القديم مثل هذا المعنى ويمكن ان يكون المراد
ان هذه الالفاظ تدل على الصفة القديمة بطريق اللزوم العرفى لا العقلى لانه يلزم عرفا من
ان يكون له تعالى كلام لفظى بمعنى انه خلقه فى اللوح المحفوظ ان يكون له كلام نفسى فان كل
من اسند له كلام لفظى لزم عرفا ان يسند له كلام نفسى اذ هو يدل عليه كما قال الاخطل
ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا وبهذا كله ظهر قوله صفة
الموصوف بالقدم فليس المراد ان الالفاظ التى نقرأها صفة الموصوف بالقدم الذى هو الله
تعالى لانها حادثة بل المراد ان معناها صفة له تعالى وهو مبنى على ما مر والا فمعنى الالفاظ التى
نقرأها منه ما هو قديم كمدلول قوله تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم ومنه ما هو حادث كمدلول
قوله تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فبعضه قديم وبعضه حادث وبالجملة
ففى هذه المسئلة نزاع طويل والحاصل ان الالفاظ التى نقرأها الحادثة لها دلالتان دلالة بالوضع
وهى التى اعتبرها العلامة ابن قاسم فان المدلول بهذه الدلالة مساو للمدلول الذى تدل عليه
الصفة القديمة ودلالة بالالتزام العرفى لا العقلى وهى التى اعتبرها السنوسى وغيره من
المتقدمين فان المدلول بهذه الدلالة هو الصفة القديمة فكل من المسلكين صحيح كما فى حواشى
الكبرى

لم تقترن الخ اى لانها قديمة من حيث معناها على ما فيه فقد لولا انها متقدمة على ما

لم تقترن بزمان وهى تخبرنا عن المعاد وعن عاد وعن ارم

والزمان حادث والقديم لا يقترن بالحادث لانه لو اقترن به لكان حادثا وقوله وهي
آي هذه الايات وقوله تخبرنا عن المعاد اي عن عود الخلق بعد انعدامهم فالمعاد بمعنى
عود الخلق الى الله تعالى في الدار الآخرة بعد انعدامهم في دار الدنيا وذلك كقوله تعالى وهو
الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وقوله تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده وقوله وعن عاد اي وتخبرنا
عن قبيلة عاد التي بعث اليها هود عليه الصلاة والسلام وذلك كقوله تعالى حكاية عنهم يا هود
ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك الآية وسميت هذه القبيلة باسم ابيها وهو عاد
ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكان عمره الف سنة ومائتي سنة ورأى من صلبه اربعة آلاف
ولد وتزوج الف امرأة وكان كافرا يعبد القمر ثم انه يقال للاولين منهم عاد الاولى ولمن بعدهم
عاد الاخرى ويقال لهم ايضا ارم تسمية لهم باسم جدهم ارم وقيل ان ارم اسم ارضهم وبلدهم
التي كانوا فيها وقيل انها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة واخرى من ذهب في صحن
عدن لما سمع بذكر الجنة وما فيها وجعل فيها قصورا من الذهب والفضة واساطينها
اي واعمدتها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها انهارا مطردة واصنافا من الشجر واتم
بناءها في ثلثمائة سنة وعند كمالها ارتحل اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم
وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فاهلكتهم وقد اطنب المؤرخون في صفتها وهذا
خلاصة خبرها وقوله وعن ارم بكسر الهمزة وفتح الراء المهملة اي وتخبرنا عن ارم وذلك
كقوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد
عرفنا ان ارم تسمى عاد الاخرى وارم في الآية عطف بيان على عاد ايذانا بانهم غير عاد
الاولى لكن قضية سياق الآية ان المراد بارم البلد وهو احد الاقوال السابقة وانما
كرر المص عن في الثلاثة لانها انواع مختلفة فلا يحسن جمعها في واحد ولان لكل اخبارا
تخصه وقيل كررها للوزن وحسنه ان مقام المدح يحسن فيه الاطناب   دامت لدينا الخ
اي استمرت عندنا فتسبب عن ذلك انها فاقت كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا صلى الله عليه وعليهم وسلم
وقوله اذ جاءت ولم تدم تعليل لقوله ففاقت كل معجزة من النبيين اي اذ جاءت عنهم ولم تستمر
بل لم تظهر على ايديهم الا مرة واحدة وذلك حين التحدي ثم لم تظهر بعد ذلك واليه اشار صلى الله عليه
وسلم بقوله ما من نبي من الانبياء الا وقد اوتي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما
كان الذي اوتيت وحيا يتلى وهو باق على الدوام وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
فشريعته باقية الى يوم الدين فناسب ان تكون معجزته كذلك والمعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي
وهو دعوى النبوة او الرسالة وهي مأخوذة من الاعجاز لانها تعجز الخصوم عن ان يأتوا بمثلها
وقد نظم بعضهم اقسام الخارق للعادة فقال   اذا ما رأيت الامر يخرق عادة
فمعجزة ان من نبي لنا صدر   وان بان منه قبل وصف نبوة   فالارهاص سمه تتبع القوم في الاثر

دامت لدينا ففاقت كل معجزة   من النبيين اذ جاءت ولم تدم

وان جاء يوماً من ولي فانه الكرامة في التحقيق عند ذوي النظر وان كان من بعض العوام صلحوا
فكنوه حقا بالمعونة واشتهر ومن فاسق ان كان وفق مراده يسمي بالاستدراج فيما قد استقر
والا فيدعى بالاهانة عندهم وقد تمت الاقسام عند الذي اختبر وزاد بعضهم السحر وقيل انه غير
خارق لانه معتاد عند تعاطي اسبابه محكمات الخ اي والايات المذكورة محكمات الخ ومعنى
محكمات متقنات النظم في البلاغة والفصاحة بحيث لا يقدر البشر على الاتيان بمثلها فدل
ذلك على انها من عند الله قال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
وكلهم قد عجزوا عن معارضته قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله وقد كان كثير من الكفار يسلم لما يدرك من فصاحته الفائقة او ان معنى محكمات ذوات
حكمة ويصح فيها فتح الكاف لان الله لحكمها اي اتى بها ذات حكمة وكسرها لانها دالة على الحكم قال
تعالى يس والقرآن الحكيم قال الزمخشري اي ذي الحكمة لانه ناطق بها وقد كان كثير من الكفار يسلم
بمجرد سماع ما يتضمن المعاني الكثيرة من بعض آيات القرآن في الفاظ قليلة كما كان كثير منهم يسلم
لما يدرك من فصاحته الفائقة لان مثل ذلك لا يمكن ان يكون من كلام البشر وقوله فما تبقين من
شبه لذي شقاق بضم التاء من تبقين لانه من ابقى اي فما تترك تلك الآيات المحكمات شبها لصاحب
شقاق وهو الكافر لانه مشاق الدين اذ هو في شق والاسلام في شق بل تزيلها فمن زائدة في المفعول
والشبه جمع شبهة وهي ما يظن دليلا وليست بدليل وان شئت قلت كلام مزخرف الظاهر
فاسد الباطن والشقاق المخالفة للحق والحاصل ان الكافر اذا ادعى امرا مخالفا للحق واقام
عليه شبها كان القرآن هادما لتلك الشبه ومزيلا لها لما تضمنه من الحكم والفوائد وانما قال
من شبه بصيغة الجمع ولم يقل من شبهة بصيغة المفرد وان كان المقرر ان عموم المفرد اشمل
فانه اذا انتفى الواحد انتفى الجنس كله جمعه ومفرده بخلاف نفي الجمع فانه لا يستلزم نفي
الواحد تنبيها على ان طرق الباطل شتى فكانه يقول ان هذه الايات لا تبقين شيئا من انواع
الشبه الكثيرة المختلفة الانواع فما من احد تعرض له شبهة الا ويجد شفاءها منها في القرآن فانه
الشفاء من كل داء والنجاة عند تفرق الادواء وقوله وما تبغين من حكم بفتح التاء من تبغين
اي ولا تطلبن حكما بفتحتين يعني حاكما يحكم على ذلك المخالف للحق بانه على خلاف الصواب لظهور
براهينها عليه فمن زائدة في المفعول كالتي قبلها فهي زائدة في الموضعين كما ان ما نافية في الموضعين
ما حوربت الخ اي ما حورب الآتي بها وهو النبي صلى الله عليه وسلم في الزمن الماضي الا كان
النبي صلى الله عليه وسلم هو الغالب ورجع اشد الاعادي عداوة اليها ملقي السلاح وسلم له صلى الله عليه
وسلم اما بدخوله في الاسلام واما بتركه المحاربة من اجل شدة بلاغتها فاسناد المحاربة اليها
مجاز لان المحارب الآتي بها لا هي ويحتمل ان المراد بالمحاربة المعارضة فيكون المعنى ما عورضت
في الزمن الماضي بان اراد احد ان يأتي بمثلها بحسب ظنه الا عجز وعاد اليها اشد الاعادي عداوة

محكمات فما تبقين من شبه لذي شقاق وما تبغين من حكم

ما حوربت قط الا عاد من حرب اعدى الاعادي اليها ملقي السلم

Digitized by Google

مستسلما منقادا من اجل شدة بلاغتها فقد شبه المعارضة بالمحاربة بجامع عدم الانقياد
في كل واستعار المحاربة للمعارضة واشتق منها حوربت بمعنى عورضت على طريق الاستعارة
التصريحية التبعية وقط ظرف بمعنى الزمن الماضي وعاد من اخوات كان فترفع الاسم وتنصب
الخبر فاعدى الاعادي اسمها وملقى السلم خبرها واليها متعلق بعاد وكذا قوله من حرب
ومن فيه للتعليل فهي بمعنى من اجل وذكر بعضهم انها للابتداء وحقيقة الحرب بفتحتين
سلب المال لكن المراد به هنا الشدة اى شدة بلاغتها مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم وارادة
اللازم لانه يلزم من سلب المال الشدة ويحتمل ان المراد به سلب الحجة التي هي كالمال لان الشخص
يحامي على حجته ان تدحض وتضمحل فيفتضح كما يخاف على ماله ومعنى اعدى الاعادي اشد الاعادي
عداوة والاعادي جمع اعداء وهو جمع عدو فالاعادي جمع الجمع ومعنى السلم بفتحتين السلاح
او الاستسلام والانقياد وفي التنزيل والقوا اليكم السلم اى الاستسلام والانقياد
ردت بلاغتها الخ اى ابطلت بلاغتها دعوى معارضها الاتيان بمثلها ابطالا مبالغا فيه فاذا
ادعى المعارض الاتيان بمثلها في ظنه ابطلت بلاغتها دعواه كما وقع لمسيلمة الكذاب حيث
عارض القرآن لما ادعى النبوة واراد ان يأتى بقرآن يشبه القرآن فقال في معارضة سورة
النازعات والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا فافتضح لا بارك الله فيه والبلاغة
هي المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة التي هي الخلو من الحشو والتعقيد والغرابة وقوله رد الغيور
اى ردا مثل رد الشخص الغيور الذى هو شديد الغيرة على النساء والاضافة في ذلك من اضافة
المصدر لفاعله وقوله يد الجاني مفعول للمصدر الذى هو الرد وقوله عن الحرم متعلق بالمصدر
المذكور والحرم بضم الحاء المهملة وفتح الراء جمع حرمة فكونه غيورا يقتضي ان يرد ويدفع يد
الجاني عنهن وان لم يكن عن محارمه بمقتضى طبعه فكيف برده يد الجاني عن حرمه هو كامرتروا
وغيرهما فرده عنها اشد من رده عن غيرها وظاهر كلام المص ان اعجاز القرآن للبشر عن الاتيان
بمثله بسبب ما اشتمل عليه من البلاغة التي لم يصلوا اليها وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم
وهو قول الجمهور والقول الثاني انه من جنس مقدورهم لكن الله تعالى صرفهم عن الاتيان بمثله
ولذلك يسمى بقول الصرفة وهو ادخل في الاعجاز لان عجزهم عما هو من جنس مقدورهم ادخل
في قيام الحجة عليهم من عجزهم عما هو ليس من جنس مقدورهم لكن يلزم عليه ان اعجاز القرآن
ليس بنفسه بل بالصرفة فيكون غير معجز بنفسه فالحق القول الاول لها معان الخ اى لتلك
الآيات معان كثيرة لا نهاية لها بل يمد بعضها بعضا كما اشار اليه بقوله كموج البحر في مدد اى
مثل موج البحر في كونه يمد بعضه بعضا اذ ما من موجة الا وبعدها موجة وهكذا واشار بذلك
الى قول بعضهم اقل ما قيل في العلوم التي في القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه اربعة وعشرون
الف علم وتسعمائة علم وما حكى عن بعضهم من انه قال لكل آية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر

ردت بلاغتها دعوى معارضها
رد الغيور يد الجاني عن الحرم

لها معان كموج البحر في مدد
وفوق جوهره في الحسن والقيم

وقول

وقول علي كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير الفاتحة قال بعض العارفين
ويظهر وجه ما قاله رضي الله عنه من خمسة كنوز الاول معنى الحمد لله رب العالمين فيحتاج فيه الى
بيان معنى الحمد وما يتعلق به ومعنى لفظ الجلالة وما يتعلق به من التنزيه ومعنى الرب ومعنى العالم
على جميع انواعه وامدلينه الثاني معنى الرحمن الرحيم فيحتاج فيه الى بيان معنى هذين الاسمين وما يليق
بهما من الجلالة وحكمة اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين فيحتاج في ضمن ذلك الى بيان جميع
الاسماء الثالث معنى مالك يوم الدين فيحتاج الى بيان هذا اليوم وما فيه من المواطن والاهوال
الرابع معنى اياك نعبد واياك نستعين فيحتاج فيه الى بيان المعبود وجلاله والعبادة وكيفيتها
وصفاتها وادائها على اختلاف انواعها والعابد وصفته والاستعانة وكيفيتها الخامس
معنى اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة فيحتاج فيه الى بيان الهداية وانواعها والصراط
المستقيم وعقباته وصراط المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق
بهذا النوع وقوله وفوق جوهره في الحسن والقيم عطف على قوله كموج البحر في مدد لي ولها
معان فوق الجوهر المستخرج من البحر في حسنها البديع وفي قدرها وشرفها وفوق ملازم للنصب
على الظرفية وان كانت مجازية ونحوه في التنزيل قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم والضمير في جوهره
للبحر والمراد بجوهره الدر المستخرج منه والحسن ضد القبح والقيم بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة
والمراد بها هنا ما لها من القدر والشرف مجازا لانها في الاصل ما قطع به المقومون وبذلك
اندفع ما قد يقال ان معانيها قديمة على ما تقدم والقديم لا يوصف بان له قيمة ووجه الاندفاع ان
المراد بالقيمة القدر والشرف لا المعنى الاصلي وفي هذا البيت الجمع ثم التفريق وهو ان يدخل
شيئين في معنى واحد ثم يفرق بينهما فقد ادخل هنا معاني القرآن والبحر في المدد والكثرة ثم
فرق بينهما بان حسنها وقدرها يزيدان على حسن جوهره وقيمه   فلا تعد ولا تحصى هذا
البيت مفرع على البيت قبله فالسطر الاول مفرع على السطر الاول والثاني على الثاني وقوله عجائبها
اي معانيها العجيبة والعجائب جمع عجيبة وهي الشيء العديم النظير او قليله وقوله ولا تسام بضم التاء
وفتح السين المهملة بعدها الف لينة وفي آخره ميم اي لا توصف وقوله على الاكثار اي مع الاكثار
منها الذي لا غاية له فعلى بمعنى مع وقوله بالسأم بتشديد السين المهملة وفتح الهمزة اي الملل والجار
والمجرور متعلق بتسام وحاصل المعنى انه اذا كان لها معان كموج البحر في الكثرة التي لا غاية لها وفوق
جوهره في الحسن والقدر والشرف ترتب على ذلك انها لا تعد ولا تحصى معانيها العجيبة لعدم
تناهيها ولا توصف بالملل مع الاكثار منها لحسنها فغيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما
يليق به من الحسن والبلاغة يوصف بالملل مع الاكثار منه فيمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد
بخلاف آيات القرآن كما ورد في الحديث فقارئها لا يملها وسامعها لا يمجها بل الاكباب على
تلاوتها يزيدها حلاوة ويوجب لها محبة وطلاوة   قرت بها الخ اي سكنت واطمأنت

فلا تعد ولا تحصى عجائبها ولا تسام على الاكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

بتلك الآيات عين قاريها بابدال الهمزة ياء ساكنة لحصول السرور لها فان عين الحزين
تكون مضطربة وعين المسرور تكون ساكنة فقرت من القرار بمعنى السكون وقيل من القر
بضم القاف وهو البرد والمعنى عليه بردت بدمعة الفرح ولم تسخن بدمعة الحزن عين قاريها
والضمير المضاف اليه عائد على الآيات التى هى الالفاظ ان فسر قاريها بتاليها فان فسر بقاصدها
من قرأت اليه اذا قصدت اليه كان الضمير المذكور عائدا على المعانى وقوله فقلت له اى فلما قرت عينه
بقراءة الفاظها او بقصد معانيها قلت لقاريها بمعنى تاليها او قاصدها وقوله لقد ظفرت
بحبل الله فاعتصم اى والله لقد فزت بما يوصلك الى الله فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله
او امتنع باتباع اوامره واجتناب نواهيه من الوقوع فى المخالفة المؤدية الى عقاب الله تعالى
نعوذ بالله من المخالفة فاللام موطئة للقسم وقد للتحقيق والحبل استعارة تصريحية مرشحة
لانه شبه القرآن بالحبل بجامع ان كلا سبب يتوصل به الى الاشياء فالقرآن يتوصل به الى ثوابه
والحبل يتوصل به الى امور محسوسة واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر الاعتصام ترشيح لانه
يناسب المستعار منه وكذلك قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة تصريحية
مرشحة لانه شبه فيه الايمان بالعروة واستعير العروة للايمان والاستمساك ترشيح لانه يناسب
المستعار منه ان تتلها الخ اى ان تقرأها الخ وقوله خيفة اى خوفا فيكون مفعولا لاجله
او خائفا فيكون حالا وقوله من حر نار لظى اى التى هى جهنم وقوله اطفأت الخ جواب الشرط
وقوله نار لظى فيه اظهار فى مقام الاضمار لضرورة النظم وقوله من وردها بكسر الواو وسكون
الراء اى من موردها فمن للتعليل والورد بمعنى المورود وهو المحل الذى يورد منه الماء وقوله
الشبم بفتح الشين المعجمة المشددة وكسر الموحدة اى البارد وفى الكلام استعارة بالكناية
حيث شبه الآيات بالماء تشبيها مضمرا فى النفس بجامع الحياة بكل اذ الماء به حياة الاشباح
والآيات بها حياة الارواح او بجامع اطفاء الحرارة بكل فالماء يطفئ حرارة العطش والآيات
تطفئ حرارة نار جهنم اعاذنا الله منها بمنه وكرمه وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من
لوازمه وهو الورد والشبم ترشيح لانه يناسب المشبه به وحاصل المعنى ان تقرأها خوفا
من حر نار لظى او خائفا منه اطفأت عنك بتلاوتها نار لظى من اجل موردها البارد والشاهد
لذلك ما فى مسلم اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيمة شفيعا لاصحابه كأنها الحوض الخ
اى كأن الآيات المذكورة ماء الحوض الخ ففيه مجاز بالحذف او انه عبر باسم المحل واراد الحال
فيكون فيه مجاز مرسل وجملة قوله تبيض الخ حال من الحوض على حذف المضاف السابق او بمعنى الماء
على ما علمت وقوله الوجوه اى ذو الوجوه فهو على تقدير مضاف او انه عبر بالوجوه عن الذوات من باب
التعبير باسم الجزء وارادة الكل وقوله به اى بالحوض وقوله من العصاة اى حال كونهم بعض العصاة
فمن للتبعيض ويحتمل انها بيانية وقوله وقد جاؤه الخ اى والحال انهم قد جاؤه الخ فالواو للحال

إن تتلها خيفة من حر نار لظى
أطفأت حر لظى من وردها الشبم

كأنها الحوض تبيض الوجوه به
من العصاة وقد جاؤه كالحمم

وكالصراط وكالميزان معدلة
فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

والضمير الفاعل راجع للعصاة والضمير المفعول راجع للحوض وقوله كالحمم اى حال كونهم كالحمم
بضم الحاء المهملة وفتح الميم اى مثل الفحم فالحمم جمع حممة بمعنى فحمة ووجه تشبيهها بالحوض المذكور
ان الآيات تشفع فى تاليها وقد جاء مسود الوجه من المعاصى فيبيض وجهه بشفاعتها كما ان
الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يصب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفحم فى السواد
الذى اصابهم من النار فيعودون بيضا كالقراطيس ثم يدخلون الجنة ومراده بالحوض نهر الحياة
لان تلك صفته لما فى الخبر من اغتسال الجهنميين فى نهر الحياة ففى خبر الصحيحين فيخرجون منها اى
من النار فيلقون فى ماء الحياة وفى رواية فيصب عليهم ماء الحياة وفى هذا البيت التلميح للخبر السابق
وكالصراط الخ اى وهذه الآيات كالصراط استقامة وانما حذف ذلك اعنى استقامة لدلالة
المعنى عليه والمراد بالصراط الدين الذى لا اعوجاج فيه وهو دين الحق والمراد به الجسر الممدود على متن
جهنم الذى هو ادق من الشعرة واحد من السيف وواسع فى حق ناس ضيق فى حق آخرين على الخلاف فى
ذلك يسير الناس عليه الى الجنة على قدر اعمالهم فانه خط مستقيم لا اعوجاج فيه بالنسبة لكل بعض من ابعاضه
الثلاثة لا بالنسبة لجملته لانه قد ورد انه الف سنة صعود والف سنة استواء والف سنة هبوط وقوله
وكالميزان معدلة اى وكالميزان من جهة العدل فمعدلة بمعنى عدل لا تمييز فان قيل ليس من لوازم الميزان
العدل اجيب بان ال فى الميزان للعهد والمعهود هو الميزان الذى يكون فى يوم القيمة ومن لوازمه العدل
او المعهود هو الميزان المستقيم ولو كان فى الدنيا وليست للاستغراق فيشمل كل ميزان وقوله فالقسط
من غيرها فى الناس لم يقم اى فالقسط بكسر القاف الذى هو العدل المأخوذ من غيرها لم يقم فى الناس
فان قيل العدل المأخوذ من غيرها قد يقوم فى الناس كالمأخوذ من السنة او الاجماع او القياس اجيب بان
ذلك مأخوذ منها ايضا اما المأخوذ من السنة فلقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا واما المأخوذ من الاجماع والقياس فلان مستندهما الكتاب والسنة والمراد بالناس الخصوص
والا لزم ان لا يكون فى اهل التوراة وغيرهم من اهل الكتب السماوية عدل وهو باطل لا تعجبن
الخ الموصوف الآيات بما ذكره استشعر شخصا قال له على وجه التعجب اذا كانت الآيات بالمنزلة التى
وصفت فكيف انكرها كثير من الكفار فقال له لا تعجبن الخ اى لا ينبغى التعجب لانه اذا ظهر السبب
بطل العجب وهاهنا قد ظهر السبب وهو الحسد فانه هو الذى دعا الى انكارها تجاهلا واظهار الجهل
مع علمه فى الواقع بما اشتملت عليه من انواع الاعجاز وقوله لحسود متعلق بتعجبن ومعنى الحسود ذو الحسد
وقوله راح ينكرها اى ذهب ينكر كونها من عند الله واصل راح سار بالعشى ثم استعمل فى الذهاب والمراد
انه انكر ما اتضحت دلالته حتى صار كالاشياء المحسوسة بحاسة البصر فى نصف النهار الذى هو اول وقت
الرواح وقوله تجاهلا اى حال كونه متجاهلا اى مظهر الجهل فانكاره ليس لجهله حقيقة بل لحسده
وان كان قد اظهر الجهل وقوله وهو عين الحاذق الفهم اى والحال انه عين الحاذق بالذال المعجمة اى الماهر الفهم
بفتح الفاء وكسر الهاء اى الشديد الفهم وح فانكارها عنادا دعاه اليه الحسد فلا عجب لانكارها الحسد واشار بقوله

لا تعجبن لحسود راح ينكرها
تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

Digitized by Google

الفهم الى ان حذقه ليس ناشئا عن طول التجارب والتكرار لكونه كان بليد الطبع بل حذقه مع كونه طبعها
بالاصالة ولا شك انه يحصل بالتمرين مع كونه فادها بحسب الاصالة اما لا يحصل مع كونه بليدا بحسب الاصالة
وبهذا التحرير ظهر ان الفهم ليس معناه الحاذق كما زعم بعضهم   قد تنكر الخ لما ادعى ان انكارها
للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة ما ثبت ذلك بامرين محسوسين الاول انكار العين ضوء
الشمس من اجل الرمد القائم بها والثاني انكار الفم طعم الماء من اجل السقم القائم به فكذلك انكار
الايات من اجل الحسد القائم بالمنكر فهاتان الجملتان مسبقتان للتعليل وكلامه على حذف مضافيهما
والتقدير قد ينكر ذو العين الخ وقد ينكر ذو الفم الخ لان المنكر في الحقيقة انما هو صاحب كل منهما
يا خير من يمم الخ لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه به مخبرا عنه على وجه الغيبة اقبل عليه بالخطاب فقال يا خير من
يمم الخ اى يا خير كريم قصد العافون وهم الطالبون للمعروف ساحته وهي حريم داره الواسع حال كونهم
ساعين سعيا مسرعين في المشي ليحصلوا حاجتهم اقرب وقت وحال كونهم راكبين فوق ظهور النوق
التي ترسم الارض وتؤثر فيها لحصول الحادث سريعا وقصد بذلك الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم
والتوطئة لذكر صفاته والعافون جمع عاف وهو طالب المعروف والساحة حريم الدار الواسع وسعيا
بمعنى ساعين والمتون جمع متن وهو الظهر والاينق جمع ناقة واصله انوق قدموا الواو على النون فصار
اونق ثم قلبوها ياء فصار اينق وهذا جمع قلة وجمع الكثرة نياق والرسم بضم الراء المشددة وضم
السين جمع رسوم وهي الناقة التي تؤثر في الارض من شدة الوطء عليها ومن هنا الى آخر قوله
وجل مقدار الخ خاصيتها لمن خاف ان يلومه السلطان على جناية وقعت منه فليكتبها على جلد جمل
ويجعله منشورا على صدره تحت الثياب ويدخل على السلطان وهو يقول الله اكبر ثلاثا فانه لا يكلمه
ابدا ومن وقع بينه وبين زوجته خصومة او بين احد من احبابه فليكتبها في جلد اسد ويجعلها في كور
عمامته ويدخل على حبيبه وهو صامت فان حبيبه يبدؤه بالكلام ويكون محبا له واياك ان تفعل هذا الحرام
فاتق الله   ومن هو الخ اى ويا من هو الخ فهو معطوف على المنادى في البيت قبله واجاز بعضهم ان يكون
معطوفا على من في قوله يا خير من الخ والاول هو الظاهر وعليه فمن هنا واقعة عليه صلى الله عليه وسلم وخرج
بخلافه على الثاني فانها عليه واقعة على جنس متعدد يشمل النبيين والملائكة وقوله الآية الكبرى لمعتبر
اى الآية الكبرى التي هي اكبر الآيات لمتامل ومتفكر لانه صلى الله عليه وسلم بعث بالسنن التي لا تحصى
وبالعلوم التي لا تستقصى الى قوم مغمورين في الجهالة والضلالة قد بلغ من جهلهم وضلالهم
ان يعبدوا الاصنام فدلهم على الله وارشدهم الى ما لا ينال الا بتخصيص من المولى الوهاب فمن تامل
ذلك عرف انه الآية الكبرى اى الدليل الاعظم على ان ما جاء به حق قال تعالى وانك لتهدي الى صراط
مستقيم وقوله ومن هو الخ اى ويا من هو الخ فهو معطوف على المنادى في البيت قبله ويحتمل انه معطوف
على من على ما قاله بعضهم كما علمت في نظيره وقوله النعمة العظمى لمغتنم اى النعمة العظمى التي هي اعظم النعم
للمريد ان يغتنم ما عند الله من السعادة الابدية لانه صلى الله عليه وسلم انقذ الخلائق من النار ومن الدخول

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

يا خير من يمم العافون ساحته
سعيا وفوق متون الاينق الرسم

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

في نار

في دار البوار بالبيان الواضح والبرهان الناصح فمن اراد أن يغتنم فهو صلى الله عليه وسلم النعمة العظمى
له ولسائر العالمين قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين   سريت الخ كانه قال ومن معجزاتك
سريت الخ ومعنى سريت سرت ليلا لان السرى هو السير ليلا وسرى واسرى بمعنى وقال السهيلي سرى لازم
واسرى متعد لكن كثر حذف مفعوله فظن اهل اللغة انهما بمعنى فالمفعول في قوله تعالى سبحان الذى اسرى
بعبده محذوف والتقدير اسرى البراق بعبده فحذف المفعول استغناء عنه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم
لانه المقصود بالخبر او حذف لقوة الدلالة عليه وقوله من حرم اى حرم مكة وقوله ليلا اى في ليل
فان قيل اذا كان معنى سريت سرت ليلا ومعنى اسرى بعبده جعله ساريا اى سائرا ليلا فما فائدة قوله
بعد ذلك ليلا اجيب بان فائدته في النظم والآية التاكيد كما قاله الجوهري او الاعلام بانه في جزء
من الليل كما قاله الزمخشري بقرينة تنكيره لانه للتقليل ولو لم يذكر لاحتمل ان يكون ذلك في الليل كله
وليس كذلك قال الزمخشري ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اى بعضه وانما خص الليل
بذلك دون النهار لانه وقت تفريغ البال وقطع العلائق وقيل لان الله تعالى لما محى آية الليل وجعل آية
النهار مبصرة انكسر خاطر الليل فجبر بان اسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قيل افتخر النهار على الليل
بالشمس فقيل لا تفتخر فان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج بشمس الارض في الليل الى السماء وقيل لانه
سراج والسراج انما يوقد في الليل وقيل لانه سمي بدرا في قوله طه فان الطاء بتسعة والهاء بخمسة
وذلك اربعة عشر فكانه تعالى قال يا بدر وهذا يناسب قول الناظم كما سرى البدر ولله در القائل حيث قال
قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل على بهجة النهار المنير قال لا استطيع تغيير رسمي هكذا الرسم في طلوع
البدور انما زرت في الظلام لكيما يشرق الليل من اشعة نوري وقوله الى حرم اى حرم بيت المقدس وقوله
كما سرى البدر اى مثل سير البدر الذي هو القمر ليلة كماله وهي ليلة اربعة عشر سمي بذلك لانه يبادر بالشمس
في الطلوع ووجه التشبيه انه صلى الله عليه وسلم نور مبين كالبدر واتم وقد قطع مسافة عظيمة في ليل
مظلم كما يسري البدر المنير في ليل مظلم مع سرعة السير وكمال الانارة والداجي اسم لليل المظلم يقال دجى
الليل اى اظلم فهو داج اى مظلم فقوله من الظلم   تكملة اى من بين الظلم بضم الظاء وفتح اللام جمع ظلمة ومن
للبيان المشوب بالتبعيض وفي هذا البيت اشارة الى قصة الاسراء وقد ذكرها الله تعالى بقوله سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم كان في
بيته او في المسجد على اختلاف الروايات في ذلك فجاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر فاحتملاه وشقا
صدره وغسله جبريل وملاه علما وحكمة وايمانا ويقينا ثم اتى له بالبراق فركبه وسار وجبريل
عن يمينه وميكائيل عن يساره حتى وصل الى بيت المقدس الخ   وبت ترقى الخ عطف على قوله
سريت الخ اى وبعد وصولك الى بيت المقدس بت ترقى اى تصعد فانه صلى الله عليه وسلم نصب المعراج له
مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو الذي تعرج عليه ارواح المؤمنين فدليت له مرقاة فصعد عليها الى سماء
الدنيا فاستفتح جبريل الباب فقيل من بالباب قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم

سريت من حرم ليلا الى حرم * كما سرى البدر في داج من الظلم

وبت ترقى الى ان نلت منزلة * من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

سواء كان منظوما او غير منظوم نعم الحسن الحاصل عند نظمه لما يحصل له من الترتيب والتناسب ينقص عند عدم نظمه لما علمت من ان ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف وكل من قوله حسنا وقوله قدرا تمييز محول عن الفاعل والتقدير في الاول يزداد حسنه وفي الثاني وليس ينقص قدره وقد علم مما تقرر ان الواو في قوله وهو منتظم واو الحال وان قوله غير منتظم حال من فاعل ينقص وفائدة قوله وليس ينقص قدرا غير منتظم الاحتراس الرافع لما يتوهم من ان ازدياد الحسن بالنظم يوجب نقص القدر عند عدم النظم فما تطاول الخ لما كان قوله دعني ووصفي الخ قد يوهم ان آماله تطاولت بالمديح الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من الصفات دفع ذلك بقوله فما تطاول الخ والفاء عاطفة ويحتمل ان ما نافية وتطاول فعل ماض وآمالي فاعل والمديح منصوب بنزع الخافض والمعنى على هذا فلم تتطاول آمالي بالمديح الصادر مني الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الاخلاق والشيم لعلمي باليأس من ذلك والعجز عما هنالك ويحتمل ان ما استفهامية فتكون للاستفهام الانكاري وهي مبتدأ وتطاول مصدر مرفوع على انه خبر ما الاستفهامية فانها مبتدأ كما علمت وآمالي مضاف اليه والمديح منصوب بنزع الخافض مثل ما مر على الوجه الاول والمعنى على هذا اي شيء فائدة تطاول آمالي بالمديح الى تمام ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الاخلاق والشيم مع انها لا تتناهى وما ذكرناه من ان المديح منصوب بنزع الخافض على النسخ التي فيها آمالي بالاضافة لياء المتكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين وفي بعض النسخ آمال بلا ياء وعليه شرح القسطلاني وجعل المديح مجرورا لانه مضاف اليه لكن على تقدير مضاف اي آمال صاحب المديح والتطاول في الاصل مد العنق والآمال جمع امل وهو الرجا وقد شبه الآمال بذي عنق تشبيها ولما اي يمد عنقه الى ما يريد ادراكه تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو التطاول ففي كلامه استعارة بالكناية وتخييل والمدح هو الثناء الحسن وقوله الى ما فيه اي الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بتطاول وقوله من كرم الاخلاق والشيم بيان لما فيه والاضافة في ذلك من اضافة الصفة للموصوف اي من الاخلاق والشيم الكريمة والاخلاق جمع خلق بضمتين وهو الطبيعة والشيم بكسر الشين المشددة وفتح الياء جمع شيمة وهي الخلق بضمتين فعطف الشيم على الاخلاق من قبيل عطف المرادف وهو في مقام المدح سائغ وايضا قد يكون كرم الاخلاق عن استعمال وتكلف فرفع ذلك بقوله والشيم فهو احتراس فكانه قال كرم اخلاقه صلى الله عليه وسلم من كرم طباعه لا بالاستعمال والتكلف لذلك من غير ان يكون طبيعة وهذا البيت الى آخر قوله تنكر العين خاصيتها لمن كان لا يحسن العبادة ولمن كان الكون لا يستقيم له حجة فليكتب هذه الابيات في صحيفة ويمحها بماء ورد وزعفران ويمحيها ويشرب بها عند ارادة النوم وقيامه من النوم فانه يصير فصيح اللسان وتقوى حجته ويرزقه الله القوة على العبادة باذن الله تعالى آيات حق الى آخره

فما تطاول آمالي البيت فيه من البديع الانسجام والاشارة بطاول الامل الى الايماء الى القريب

فيه من البديع من الوجوه التي ستأتي في التأكيد

آي

أي من معجزاته صلى الله عليه وسلم آيات حق الخ فآيات مبتدأ لخبره مقدر قبله وهو الجار والمجرور
وإضافة آيات لحق من إضافة الموصوف للصفة أي آيات موصوفة بأنها حق وجميع ما سيأتي
إلى قوله في البيت الثاني عشر وكالميزان معدلة صفات للآيات وما يقع بين الصفات
من متعلقاتها ومقصود الناظم بالذات مدح النبي صلى الله عليه وسلم لكن لما ذكر أن من معجزاته
صلى الله عليه وسلم الآيات الحق التي هي القرآن استطرد بذكر صفاتها وقوله من الرحمن أي
من عند الرحمن لا من عند محمد كما زعم كفار قريش وقوله محدثة أي أحدثها الله تعالى كما جاء
في التنزيل قال تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين وقال تعالى
ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون وفي بعض النسخ محكمة بدل محدثة
وقد جاء بها التنزيل أيضا قال تعالى كتاب أحكمت آياته وقوله قديمة استشكل بأنه ينافي قوله
محدثة على النسخة الأولى لأن الشيء لا يكون محدثا وقديما معا وإلا أدى إلى اجتماع النقيضين
وهو محال وأجيب بأنها محدثة باعتبار الألفاظ قديمة باعتبار المعاني فهي محدثة قديمة
باعتبارين لا باعتبار واحد حتى يؤدي إلى اجتماع النقيضين وهذا الجواب مبني على أن
الألفاظ التي نقرأها تدل على الكلام القديم الذي هو صفة قائمة بذاته تعالى كما قال السنوسي
وغيره من المتقدمين لكن نازع في ذلك العلامة ابن قاسم واختار أنها تدل على معنى
مساو للمعنى الذي تدل عليه الصفة القديمة مثلا أقيموا الصلاة يدل على طلب إقامة الصلاة
وبحيث لو كشف عنا الحجاب لفهمنا من الكلام القديم مثل هذا المعنى ويمكن أن يكون المراد
أن هذه الألفاظ تدل على الصفة القديمة بطريق اللزوم العرفي لا العقلي لأنه يلزم عرفا من
أن يكون له تعالى كلام لفظي بمعنى أنه خلقه في اللوح المحفوظ أن يكون له كلام نفسي فإن كل
من أسند له كلام لفظي لزم عرفا أن يسند له كلام نفسي إذ هو يدل عليه كما قال الأخطل
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا وبهذا كله ظهر قوله صفة
الموصوف بالقدم فليس المراد أن الألفاظ التي نقرأها صفة الموصوف بالقدم الذي هو الله
تعالى لأنها حادثة بل المراد أن معناها صفة له تعالى وهو مبني على ما مر وإلا فمعنى الألفاظ التي
نقرأها منه ما هو قديم كمدلول قوله تعالى الله لا إله إلا هو الحي القيوم ومنه ما هو حادث كمدلول
قوله تعالى إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فبعضه قديم وبعضه حادث وبالجملة
ففي هذه المسألة نزاع طويل والحاصل أن الألفاظ التي نقرأها الحادثة لها دلالتان دلالة بالوضع
وهي التي اعتبرها العلامة ابن قاسم فإن المدلول بهذه الدلالة مساو للمدلول الذي تدل عليه
الصفة القديمة ودلالة بالالتزام العرفي لا العقلي وهي التي اعتبرها السنوسي وغيره من
المتقدمين فإن المدلول بهذه الدلالة هو الصفة القديمة فكل من المسلكين صحيح كما في حواشي
الكبرى
لم تقترن الخ أي لأنها قديمة من حيث معناها على ما فيه فدلولها قائم على ما

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا عن المعاد وعن عاد وعن إرم

وَالزمان حادث وَالقديم لَا يقترن بالحادث لانه لو اقترن به لكان حادثًا وَقوله وهى
آى هذه الايات وَقوله تخبرنا عن المعاد اى عن عود الخلق بعد انعدامهم فالمعاد بمعنى
عود الخلق الى الله تعالى فى الدار الآخرة بعد انعدامهم فى دار الدنيا وَذلك كقوله تعالى وهو
الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وَقوله تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده وَقوله وَعن عاد اى وتخبرنا
عن قبيلة عاد التى بعث اليها هود عليه الصلاة وَالسلام وَذلك كقوله تعالى حكاية عنهم يا هود
ما جئتنا ببينة وَما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك الآية وَسميت هذه القبيلة باسم ابيها وهو عاد
ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وَكان عمره الف سنة وَمائتى سنة وَرآى من صلبه اربعة الاف
وَلد وَتزوج الف امرأة وكان كافرا يعبد القمر ثم انه يقال للاولين منهم عاد الاولى ولمن بعدهم
عاد الاخرى ويقال لهم ايضا ارم تسمية لهم باسم جدهم ارم وَقيل ان ارم اسم ارضهم وبلدتهم
التى كانوا فيها وَقيل انها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة ولبنة من ذهب فى صحن
عدن لما سمع بذكر الجنة وَما فيها وجعل فيها قصورًا من الذهب وَالفضة وَاساطينها
اى وَاعمدتها من الزبرجد وَاليا قوت وَجعل فيها انهارا مطردة وَاصنافا من الشجر وَاتم
بناءها فى ثلثمائة سنة وَعند كمالها ارتحل اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم
وَليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فاهلكتهم وَقد اطنب المؤرخون فى صفتها وَهذا
خلاصة خبرها وَقوله وَعن ارم بكسر الهمزة وَفتح الراء المهملة اى وتخبرنا عن ارم وذلك
كقوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وَقد
عرفت ان ارم تسمى عاد الاخرى وَارم فى الآية عطف بيان على عاد ايذانا بانهم غير عاد
الاولى لكن قضية سياق الآية ان المراد بارم البلد وَهو احد الاقوال السابقة وَانما
كرر المص عن فى الثلاثة لانها انواع مختلفة فلا يحسن جمعها فى وَاحد وَلان لكل اخبارا
تخصه وَقيل كررها للوزن وحسنه ان مقام المدح يحسن فيه الاطناب دامت لدينا الخ
اى استمرت عندنا فتسبب عن ذلك انها فاقت كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا صلى الله عليه وَعليهم وسلم
وَقوله اذ جاءت ولم تدم تعليل لقوله ففاقت كل معجزة من النبيين اى اذ جاءت عنهم ولم تستمر
بل لم تظهر على ايديهم الا مرة وَاحدة وَذلك حين التحدى ثم لم تظهر بعد ذلك وَاليه اشار صلى الله عليه
وَسلم بقوله ما من نبى من الانبياء الا وَقد اوتى من الايات ما مثله آمن عليه البشر وَانما
كان الذى اوتيت وَحيا يتلى وَهو باق على الدوام وَسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
فشريعته باقية الى يوم الدين فناسب ان تكون معجزته كذلك وَالمعجزة هى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى
وَهو دعوى النبوة او الرسالة وَهى مأخوذة من الاعجاز لانها تعجز الخصوم عن ان يأتوا بمثلها
وَقد نظم بعضهم اقسام الخارق للعادة فقال اذا ما رأيت الامر يخرق عادة
فمعجزة ان من نبى لنا صدر وَان بان منه قبل وَصف نبوة فالارهاص سمه تتبع القوم فى الاثر

دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيين اذ جاءت ولم تدم

وان جاء يومًا من ولى فانه الكرامة فى التحقيق عند ذوى النظر وان كان من بعض العوام صلحوه
فكنوه حقا بالمعونة واشتهر ومن فاسق ان كان وفق مراده يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
والا فيدعى بالاهانة عندهم وقد تمت الاقسام عند الذى اختبر وزاد بعضهم السحر وقيل انه غير
خارق لانه معتاد عند تعاطى اسبابه محكمات الخ اى والايات المذكورة محكمات الخ ومعنى
محكمات متقنات النظم فى البلاغة والفصاحة بحيث لا يقدر البشر على الاتيان بمثلها فدل
ذلك على انها من عند الله قال تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
وكلهم قد عجز واعن معارضته قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله وقد كان كثير من الكفار يسلم لما يدرك من فصاحة الفاظه او ان معنى محكمات ذوات
حكمة ويصح فيها فتح الكاف لان الله احكمها اى اتى بها ذات حكمة وكسرها لانها دالة على الحكم قال
تعالى يس والقرآن الحكيم قال الزمخشرى اى ذى الحكمة لانه ناطق بها وقد كان كثير من الكفار يسلم
بمجرد سماع ما يتضمن المعانى الكثيرة من بعض آيات القرآن فى الفاظ قليلة كما كان كثير منهم يسلم
لما يدرك من فصاحة الفاظه لان مثل ذلك لا يمكن ان يكون من كلام البشر وقوله فما تبقين من
شبه لذى شقاق بضم التاء من تبقين لانه من ابقى اى فما تترك تلك الايات المحكمات شبها لصاحب
شقاق وهو الكافر لانه مشاق الدين اذ هو فى شق والاسلام فى شق بل تزيلها فمن زائدة فى المفعول
والشبه جمع شبهة وهى ما يظن دليلا وليست بدليل وان شئت قلت كلام مزخرف الظاهر
فاسد الباطن والشقاق المخالفة للحق والحاصل ان الكافر اذا ادعى امرا مخالفا للحق واقام
عليه شبها كان القرآن هادما لتلك الشبه ومزيلا لها لما تضمنه من الحكم والفوائد وانما قال
من شبه بصيغة الجمع ولم يقل من شبهة بصيغة المفرد وان كان المقرر ان عموم المفرد اشمل
فانه اذا انتفى الواحد انتفى الجنس كله جمعه ومفرده بخلاف نفى الجمع فانه لا يستلزم نفى
الواحد تنبيها على ان طرق الباطل شتى فكانه يقول ان هذه الايات لا تبقين شيئا من انواع
الشبه الكثيرة المختلفة الانواع فما من احد تعرض له شبهة الا ويجد شفاءه منها فى القرآن فلله
الشفاء من كل داء والنجاة عند تفرق الادواء وقوله وما تبغين من حكم بفتح التاء من تبغين
اى ولا تطلبن حكما بفتحتين يعنى حاكما يحكم على ذلك المخالف للحق بانه على خلاف الصواب لظهور
براهينها عليه فمن زائدة فى المفعول كالتى قبلها فهى زائدة فى الموضعين كما ان ما نافية فى الموضعين
ما حوربت الخ اى ما حورب الآتى بها وهو النبى صلى الله عليه وسلم فى الزمن الماضى الا كان
النبى صلى الله عليه وسلم هو الغالب ورجع اشد الاعادى عداوة اليها ملقى السلاح وسلم له صلى الله عليه
وسلم اما بدخوله فى الاسلام واما بتركه المحاربة من اجل شدة بلاغتها فاسناد المحاربة اليها
مجاز لان المحارب الآتى بها لا هى ويحتمل ان المراد بالمحاربة المعارضة فيكون المعنى ما عورضت
فى الزمن الماضى بان اراد احد ان يأتى بمثلها بحسب ظنه الا عجز وعاد اليها اشد الاعادى عداوة

محكمات فما يبقين من شبه لذى شقاق وما يبغين من حكم

ما حوربت قط الا عاد من حرب اعدى الاعادى اليها ملقى السلم

Digitized by Google

والزمان حادث والقديم لا يقترن بالحادث لانه لو اقترن به لكان حادثاً وقوله وهي
اى هذه الآيات وقوله تخبرنا عن المعاد اى عن عود الخلق بعد انعدامهم فالمعاد بمعنى
عود الخلق الى الله تعالى فى الدار الآخرة بعد انعدامهم فى دار الدنيا وذلك كقوله تعالى وهو
الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وقوله تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده وقوله وعن عاد اى وتخبرنا
عن قبيلة عاد التى بعث اليها هود عليه الصلاة والسلام وذلك كقوله تعالى حكاية عنهم يا هود
ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك الآية وسميت هذه القبيلة باسم ابيها وهو عاد
ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكان عمره الف سنة ومائتى سنة ورأى من صلبه اربعة آلاف
ولد وتزوج الف امرأة وكان كافراً يعبد القمر ثم انه يقال للاولين منهم عاد الاولى ولمن بعدهم
عاد الاخرى ويقال لهم ايضا ارم تسمية لهم باسم جدهم ارم وقيل ان ارم اسم ارضهم وبلدهم
التى كانوا فيها وقيل انها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة واخرى من ذهب فى محاسن
عدن لما سمع بذكر الجنة وما فيها وجعل فيها قصوراً من الذهب والفضة واساطينها
اى واعمدتها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها انهاراً مطردة واصنافاً من الشجر واتم
بناءها فى ثلثمائة سنة وعند كمالها ارتحل اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم
وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فاهلكتهم وقد اطنب المؤرخون فى صفتها وهذا
خلاصة خبرها وقوله وعن ارم بكسر الهمزة وفتح الراء المهملة اى وتخبرنا عن ارم وذلك
كقوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد
عرفنا ان ارم تسمى عاد الاخرى وارم فى الآية عطف بيان على عاد ايذاناً بانهم غير عاد
الاولى لكن قضية سياق الآية ان المراد بارم البلد وهو احد الاقوال السابقة وانما
كرر المص عن فى الثلاثة لانها انواع مختلفة فلا يحسن جمعها فى واحد ولان لكل اخبارا
يخصه وقيل كررها للوزن وحسنه ان مقام المدح يحسن فيه الاطناب   دامت لدينا الخ
اى استمرت عندنا فتسبب عن ذلك انها فاقت كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا صلى الله عليه وعليهم وسلم
وقوله اذ جاءت ولم تدم تعليل لقوله ففاقت كل معجزة من النبيين اى اذ جاءت عنهم ولم تستمر
بل لم تظهر على ايديهم الا مرة واحدة وذلك حين التحدى ثم لم تظهر بعد ذلك واليه اشار صلى الله عليه
وسلم بقوله ما من نبى من الانبياء الا وقد اوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما
كان الذى اوتيت وحيا يتلى وهو باق على الدوام وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
فشريعته باقية الى يوم الدين فناسب ان تكون معجزته كذلك والمعجزة هى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى
وهو دعوى النبوة او الرسالة وهى مأخوذة من الاعجاز لانها تعجز الخصوم عن ان يأتوا بمثلها
وقد نظم بعضهم اقسام الخارق للعادة فقال   اذا ما رأيت الامر يخرق عادة
فمعجزة ان من نبى لنا صدر   وان بان منه قبل وصف نبوة   فالارهاص سمه تتبع القوم فى الاثر

دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين اذ جاءت ولم تدم

وان جاء يوما من ولي فانه الكرامة في التحقيق عند ذوي النظر وان كان من بعض العوام صلحوه
فكنوه حقا بالمعونة واشتهر ومن فاسق ان كان وفق مراده يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
والا فيدعى بالاهانة عندهم وقد تمت الاقسام عند الذي اختبر وزاد بعضهم السحر وقيل انه غير
خارق لانه معتاد عند تعاطي اسبابه محكمات الخ اى والايات المذكورة محكمات الخ ومعنى
محكمات متقنات النظم في البلاغة والفصاحة بحيث لا يقدر البشر على الاتيان بمثلها فدل
ذلك على انها من عند الله قال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
وكلهم قد عجزوا عن معارضته قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله وقد كان كثير من الكفار يسلم لما يدرك من فصاحة الفاظه او ان معنى محكمات ذوات
حكمة ويصح فيها فتح الكاف لان الله احكمها اى اتى بها ذات حكمة وكسرها لانها دالة على الحكم قال
تعالى يس والقرآن الحكيم قال الزمخشري اى ذي الحكمة لانه ناطق بها وقد كان كثير من الكفار يسلم
بمجرد سماع ما يتضمن المعاني الكثيرة من بعض آيات القرآن في الفاظ قليلة كما كان كثير منهم يسلم
لما يدرك من فصاحة الفاظه لان مثل ذلك لا يمكن ان يكون من كلام البشر وقوله فما تبقين من
شبه لذي شقاق بضم التاء من تبقين لانه من ابقى اى فما تترك تلك الآيات المحكمات شبها لصاحب
شقاق وهو الكافر لانه مشاق الدين اذ هو في شق والاسلام في شق بل تزيلها فمن زائدة في المفعول
والشبه جمع شبهة وهي ما يظن دليلا وليست بدليل وان شئت قلت كلام مزخرف الظاهر
فاسد الباطن والشقاق المخالفة للحق والحاصل ان الكافر اذا ادعى امرا مخالفا للحق واقام
عليه شبها كان القرآن هادما لتلك الشبه ومزيلا لها لما تضمنه من الحكم والفوائد وانما قال
من شبه بصيغة الجمع ولم يقل من شبهة بصيغة المفرد وان كان المقرر ان عموم المفرد اشمل
فانه اذا انتفى الواحد انتفى الجنس كله جمعه ومفرده بخلاف نفي الجمع فانه لا يستلزم نفي
الواحد تنبيها على ان طرق الباطل شتى فكانه يقول ان هذه الآيات لا تبقين شيئا من انواع
الشبه الكثيرة المختلفة الانواع فما من احد تعرض له شبهة الا ويجد شفاءه منها في القرآن فله
الشفاء من كل داء والنجاة عند تفرق الادواء وقوله وما تبغين من حكم بفتح التاء من تبغين
اى ولا تطلبن حكما بفتحتين يعني حاكما يحكم على ذلك المخالف للحق بانه على خلاف الصواب لظهور
براهينها عليه فمن زائدة في المفعول كالتي قبلها فهي زائدة في الموضعين كما انها نافية في الموضعين
ما حوربت الخ اى ما حورب الآتي بها وهو النبي صلى الله عليه وسلم في الزمن الماضي الا كان
النبي صلى الله عليه وسلم هو الغالب ورجع اشد الاعادي عداوة اليها ملقي السلاح وسلم له صلى الله عليه
وسلم اما بدخوله في الاسلام واما بتركه المحاربة من اجل شدة بلاغتها فاسناد المحاربة اليها
مجاز لان المحارب الآتي بها لا هي ويحتمل ان المراد بالمحاربة المعارضة فيكون المعنى ما عورضت
في الزمن الماضي بان اراد احد ان ياتي بمثلها بحسب ظنه الا عجز وعاد اليها اشد الاعادي عداوة

محكمات فما تبقين من شبه لذي شقاق وما تبغين من حكم

ما حوربت قط الا عاد من حرب اعدى الاعادي اليها ملقي السلم

مستسلما منقادا من اجل شدة بلاغتها فقد شبه المعارضة بالمحاربة بجامع عدم الانقياد
فى كل واستعار المحاربة للمعارضة واشتق منها حوربت بمعنى عورضت على طريق الاستعارة
التصريحية التبعية وقط ظرف بمعنى الزمن الماضى وعاد من اخوات كان فترفع الاسم وتنصب
الخبر فأعدى الاعادى اسمها وملقى السلم خبرها واليها متعلق بعاد وكذا قوله من حرب
ومن فيه للتعليل فهى بمعنى من اجل وذكر بعضهم انها للابتداء وحقيقة الحرب بفتحتين
سلب المال لكن المراد به هنا الشدة اى شدة بلاغتها مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم وارادة
اللازم لانه يلزم من سلب المال الشدة ويحتمل ان المراد به سلب الحجة التى هى كالمال لان الشخص
يخاف على حجته ان تدحض وتضمحل فيفتضح كما يخاف على ماله ومعنى اعدى الاعادى اشد الاعادى
عداوة والاعادى جمع اعداء وهو جمع عدو فالاعادى جمع الجمع ومعنى السلم بفتحتين السلاح
او الاستسلام والانقياد وفى التنزيل والقوا اليكم السلم اى الاستسلام والانقياد
ردت بلاغتها الخ اى ابطلت بلاغتها دعوى معارضها الاتيان بمثلها ابطالا مثل ابطال الغافية فاذا
ادعى المعارض الاتيان بمثلها فى ظنه ابطلت بلاغتها دعواه كما وقع لمسيلمة الكذاب حيث
عارض القرآن لما ادعى النبوة واراد ان يأتى بقرآن يشبه القرآن فقال فى معارضة سورة
النازعات والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا فافتضح لا بارك الله فيه والبلاغة
هى المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة التى هى الخلو من الحشو والتعقيد والغرابة وقوله رد الغيور
اى ردا مثل رد الشخص الغيور الذى هو شديد الغيرة على النساء والاضافة فى ذلك من اضافة
المصدر لفاعله وقوله يد الجانى مفعول للمصدر الذى هو الرد وقوله عن الحرم متعلق بالمصدر
المذكور والحرم بضم الحاء المهملة وفتح الراء جمع حرمة فكونه غيورا يقتضى ان يرد ويدفع يد
الجانى عنهن وان لم يكن عن محارمه بمقتضى طبعه فكيف برده يد الجانى عن حرمه هو كامرته او
وغيرهما فرده عنها اشد من رده عن غيرها وظاهر كلام المص ان اعجاز القرآن للبشر عن الاتيان
بمثله بسبب ما اشتمل عليه من البلاغة التى لم يصلوا اليها وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم
وهو قول الجمهور والقول الثانى انه من جنس مقدورهم لكن الله تعالى صرفهم عن الاتيان بمثله
ولذلك يسمى بقول الصرفة وهو ادخل فى الاعجاز لان عجزهم عما هو من جنس مقدورهم ادخل
فى قيام الحجة عليهم من عجزهم عما هو ليس من جنس مقدورهم لكن يلزم عليه ان اعجاز القرآن
ليس بنفسه بل بالصرفة فيكون غير معجز بنفسه فالحق القول الاول   لها معان الخ اى لتلك
الآيات معان كثيرة لا نهاية لها بل يمد بعضها بعضا كما اشار اليه بقوله كموج البحر فى مدد اى
مثل موج البحر فى كونه يمد بعضه بعضا اذ ما من موجة الا وبعدها موجة وهكذا واشار بذلك
الى قول بعضهم اقل ما قيل فى العلوم التى فى القرآن من ظواهر المعانى المجموعة فيه اربعة وعشرون
الف علم وثمانمائة علم وما حكى عن بعضهم من انه قال لكل آية ستون الف فهم وما بقى من فهمها اكثر

وقول

ردت بلاغتها دعوى معارضها
رد الغيور يد الجانى عن الحرم

لها معان كموج البحر فى مدد
وفوق جوهره فى الحسن والقيم

وقول علي كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير الفاتحة قال بعض العارفين
ويظهر وجه ما قاله رضي الله عنه من خمسة كنوز الاول معنى الحمد لله رب العالمين فيحتاج فيه الى
بيان معنى الحمد وما يتعلق به ومعنى لفظ الجلالة وما يتعلق به من التنزيه ومعنى الرب ومعنى العالم
على جميع انواعه وامدلوله الثاني معنى الرحمن الرحيم فيحتاج فيه الى بيان معنى هذين الاسمين وما يليق
بهما من الجلالة وحكمة اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين فيحتاج في ضمن ذلك الى بيان جميع
الاسماء الثالث معنى مالك يوم الدين فيحتاج الى بيان هذا اليوم وما فيه من المواطن والاهوال
الرابع معنى اياك نعبد واياك نستعين فيحتاج فيه الى بيان المعبود وجلاله والعبادة وكيفيتها
وصفتها وادابها على اختلاف انواعها والعابد وصفته والاستعانة وكيفيتها الخامس
معنى اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة فيحتاج فيه الى بيان الهداية وانواعها والصراط
المستقيم وعقباته وصراط المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق
بهذا النوع وقوله وفوق جوهره في الحسن والقيم عطف على قوله كموج البحر في مدد لي ولها
معان فوق كالجوهر المستخرج من البحر في حسنها البديع وفي قدرها وشرفها وفوق ملازم للنصب
على الظرفية وان كانت مجازية ونحوه في التنزيل قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم والضمير في جوهره
للبحر والمراد بجوهره الدر المستخرج منه والحسن ضد القبح والقيم بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة
والمراد بها هنا ما لها من القدر والشرف مجازا لانها في الاصل ما قطع به المقومون وبذلك
اندفع ما قد يقال ان معانيها قديمة على ما تقدم والقديم لا يوصف بان له قيمة ووجه الاندفاع ان
المراد بالقيمة القدر والشرف لا المعنى الاصلي وفي هذا البيت الجمع ثم التفريق وهو ان يدخل
شيئين في معنى واحد ثم يفرق بينهما فقد ادخل هنا معاني القران والبحر في المدد والكثرة ثم
فرق بينهما بان حسنها وقدرها يزيدان على حسن جوهره وقيمه فلا تعد ولا تحصى عجائبها هذا
البيت مفرع على البيت قبله فالشطر الاول مفرع على الشطر الاول والثاني على الثاني وقوله عجائبها
اي معانيها العجيبة والعجائب جمع عجيبة وهي الشئ العديم النظير او قليله وقوله ولا تسام بضم التاء
وفتح السين المهملة بعدها الف لينة وفي آخره ميم اي لا توصف وقوله على الاكثار اي مع الاكثار
منها الذي لا غاية له فعلى بمعنى مع وقوله بالسأم بتشديد السين المهملة وفتح الهمزة اي الملل والجار
والمجرور متعلق بتسام وحاصل المعنى انه اذا كان لها معان كموج البحر في الكثرة التي لا غاية لها وفوق
جوهره في الحسن والقدر والشرف ترتب على ذلك انها لا تعد ولا تحصى معانيها العجيبة لعدم
تناهيها ولا توصف بالملل مع الاكثار منها الحسنا فغيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما
يليق به من الحسن والبلاغة يوصف بالملل مع الاكثار منه فيمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد
بخلاف آيات القرآن كما ورد في الحديث فقارئها لا يملها وسامعها لا يمجها بل الاكباب على
تلاوتها يزيدها حلاوة ويوجب لها محبة وطلاوة قرت بها الخ اي سكنت واطمانت

فلا تعد ولا تحصى عجائبها
ولا تسام على الاكثار بالسأم

قرت بها عين قاريها فقلت له
لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

بتلك الآيات عين قاريها بابدال الهمزة ياء ساكنة لحصول السرور لها فان عين الحزين
تكون مضطربة وعين المسرور تكون ساكنة فقرت من القرار بمعنى السكون وقيل من القر
بضم القاف وهو البرد والمعنى عليه بردت بدمعة الفرح ولم تسخن بدمعة الحزن عين قاريها
والضمير المضاف اليه عائد على الآيات التى هى الالفاظ ان فسر قاريها بتاليها فان فسر بقاصدها
من قرأت اليه اذا قصدت اليه كان الضمير المذكور عائدا على المعانى وقوله فقلت له اى فلما قرت عينه
بقراءة الفاظها او بقصد معانيها قلت لقاريها بمعنى تاليها او قاصدها وقوله لقد ظفرت
بحبل الله فاعتصم اى والله لقد فزت بما يوصلك الى الله فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله
او امتنع باتباع اوامره واجتناب نواهيه من الوقوع فى المخالفة المؤدية الى عقاب الله تعالى
نعوذ بالله من المخالفة فاللام موطئة للقسم وقد للتحقيق والحبل استعارة تصريحية مرشحة
لانه شبه القرآن بالحبل بجامع ان كلا سبب يتوصل به الى الاشياء فالقرآن يتوصل به الى ثوابه
والحبل يتوصل به الى امور محسوسة واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر الاعتصام ترشيح لانه
يناسب المستعار منه وكذلك قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة تصريحية
مرشحة لانه شبه فيه الايمان بالعروة واستعير العروة للايمان والاستمساك ترشيح لانه يناسب
المستعار منه ان تتلها الخ اى ان تقرأها الخ وقوله خيفة اى خوفا فيكون مفعولا لاجله
او خائفا فيكون حالا وقوله من حر نار لظى اى التى هى جهنم وقوله اطفأت الخ جواب الشرط
وقوله نار لظى فيه اظهار فى مقام الاضمار لضرورة النظم وقوله من وردها بكسر الواو وسكون
الراء اى من موردها فمن للتعليل والورد بمعنى المورود وهو المحل الذى يورد منه الماء وقوله
الشبم بفتح الشين المعجمة المشددة وكسر الموحدة اى البارد وفى الكلام استعارة بالكناية
حيث شبه الآيات بالماء تشبيها مضمرا فى النفس بجامع الحياة بكل اذ الماء به حياة الاشباح
والآيات بها حياة الارواح او بجامع اطفاء الحرارة بكل فالماء يطفئ حرارة العطش والآيات
تطفئ حرارة نار جهنم اعاذنا الله منها بمنه وكرمه وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من
لوازمه وهو الورد والشبم ترشيح لانه يناسب المشبه به وحاصل المعنى ان تقرأها خوفا
من حر نار لظى او خائفا منه اطفأت عنك بتلاوتها نار لظى من اجل موردها البارد والشاهد
لذلك ما فى مسلم اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيمة شفيعا لاصحابه كأنها الحوض الخ
اى كأن الآيات المذكورة ماء الحوض الخ ففيه مجاز بالحذف او انه عبر باسم المحل واراد الحال
فيكون فيه مجاز مرسل وجملة قوله تبيض الخ حال من الحوض على حذف المضاف السابق او بمعنى الماء
على ما علمت وقوله الوجوه اى ذو الوجوه فهو على تقدير مضاف او انه عبر بالوجوه عن الذوات من باب
التعبير باسم الجزء وارادة الكل وقوله به اى بالحوض وقوله من العصاة اى حال كونهم بعض العصاة
فمن للتبعيض ويحتمل انها بيانية وقوله وقد جاؤه الخ اى والحال انهم قد جاؤه الخ فالواو للحال

وَالضمير الفاعل رَاجع للعصاة وَالضمير المفعول رَاجع للحوض وَقوله كالحمم اى حال كونهم كالحمم
بضم الحاء المهملة وَفتح الميم اى مثل الفحم فالحمم جمع حممة بمعنى فحمة وَوجه تشبيهها بالحوض المذكور
آن بالآيات تشفع فى تاليها وَقد جاء مسود الوجه من المعاصى فيبيض وجهه بشفاعتها كما ان
الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يصب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفحم فى السواد
الذى اصابهم من النار فيعودون بيضا كالقراطيس ثم يدخلون الجنة وَمراده بالحوض نهر الحيٰوة
لان تلك صفته لما فى الخبر من اغتسال الجهنميين فى نهر الحيٰوة ففى خبر الصحيحين فيخرجون منها اى
من النار فيلقون فى ماء الحيٰوة وفى رواية فيصب عليهم ماء الحيٰوة وفى هذا البيت التلميح للخبر السابق

وَكالصراط الخ اى وَهذه الآيات كالصراط استقامة وَانما حذف ذلك اعنى استقامة لدلالة
المعنى عليه وَالمراد بالصراط الدين الذى لا اعوجاج فيه وَهو دين الحق والمراد به الجسر الممدود على
جهنم الذى هو أدق من الشعرة وَاحد من السيف وواسع فى حق ناس ضيق فى حق آخرين على الخلاف فى
ذلك يسير الناس عليه الى الجنة على قدر اعمالهم فانه خط مستقيم لا اعوجاج فيه بالنسبة لكل بعض من ابعاضه
الثلاثة لا بالنسبة لجملته لانه قد ورد انه الف سنة صعود والف سنة استواء والف سنة هبوط وقوله
وَكالميزان معدلة اى وَكالميزان من جهة العدل فمعدلة بمعنى عدل تمييز فان قيل ليس من لوازم الميزان
العدل اجيب بان ال فى الميزان للعهد وَالمعهود هو الميزان الذى يكون فى يوم القيمة ومن لوازمه العدل
اَو المعهود هو الميزان المستقيم وَلو كان فى الدنيا وَليست للاستغراق فيشمل كل ميزان وَقوله فالقسط
من غيرها فى الناس لم يقم اى فالقسط بكسر القاف الذى هو العدل المأخوذ من غيرها لم يقم فى الناس
فان قيل العدل المأخوذ من غيرها قد يقوم فى الناس كالمأخوذ من السنة او الاجماع او القياس اجيب بان
ذلك مأخوذ منها ايضا اما المأخوذ من السنة فلقوله تعالى وَما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وَاما المأخوذ من الاجماع وَالقياس فلان مستندهما الكتاب والسنة وَالمراد بالناس الخصوص
وَالا لزم ان لا يكون فى اهل التوراة وَغيرهم من اهل الكتب السماوية عدل وهو باطل لا تعجبن
الخ لما وصف الآيات بما ذكره استشعر شخصا قال له على وجه التعجب اذا كانت الآيات بالمنزلة التى
وصفت فكيف انكرها كثير من الكفار فقال له لا تعجبن الخ اى لا ينبغى العجب لانه اذا ظهر السبب
بطل العجب وَهاهنا قد ظهر السبب وهو الحسد فانه هو الذى دعا الى انكارها تجاهلا واظهار الجهل
مع علمه فى الواقع بما اشتملت عليه من انواع الاعجاز وَقوله لحسود متعلق بتعجبن وَمعنى الحسود ذو الحسد
وَقوله راح ينكرها اى ذهب ينكر كونها من عند الله وَاصل راح سار بالعشى ثم استعمل فى الذهاب والمراد
انه انكرها ما اتضحت دلالته حتى صار كالاشياء المحسوسة بحاسة البصر فى نصف النهار الذى هو اول وقت
الرواح وَقوله تجاهلا اى حال كونه متجاهلا اى مظهر الجهل فانكاره ليس لجهل له حقيقة بل لحسد
وَان كان قد اظهر الجهل وَقوله وهو عين الحاذق الفهم اى وَالحال انه عين الحاذق بالذال المعجمة اى الماهر الفهم
بفتح الفاء وكسر الهاء اى الشديد الفهم وح فانكارها عناد دعاه اليه الحسد فلا عجب لانكارها الحسد واشار بقوله

وكالصراط وكالميزان معدلة فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم

لا تعجبن لحسود راح ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

Digitized by Google

الفهم الى ان حذفه ليس ناشئا عن طول التجارب والتكرار لكونه كان بليد الطبع بل حذقه مع كونه بليدا بالاصالة ولا شك ان يحصل بالتمرين مع كونه فاهما بحسب الاصالة انما لا يحصل مع كونه بليدا بحسب الاصالة وبهذا التحرير ظهر لك ان الفهم ليس معناه الحاذق كما زعم بعضهم قد تنكر الخ لما ادعى ان انكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة اثبت ذلك بامرين محسوسين الاول انكار العين ضوء الشمس من اجل الرمد القائم بها والثاني انكار الفم طعم الماء من اجل السقم القائم به فكذلك انكار الآيات من اجل الحسد القائم بالمنكر فهاتان الجملتان مسبوقتان للتعليل وكلامه على حذف مضافيهما والتقدير وقد ينكر ذو العين الخ وقد ينكر ذو الفم الخ لان المنكر في الحقيقة انما هو صاحب كل منهما يا خير من يمم الخ لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه به مخبرا عنه على وجه الغيبة اقبل عليه بالخطاب فقال يا خير من يمم الخ اى يا خير كريم قصد العافون وهم الطالبون للمعروف ساحته وهي حريم داره الواسع حال كونهم ساعين بمعنى مسرعين في المشي ليحصلوا حاجتهم اقرب وقت وحال كونهم راكبين فوق ظهور النوق التي ترسم الارض وتؤثر فيها لحصول الحادث سريعا وقصد بذلك الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم والتوطئة لذكر صفاته والعافون جمع عاف وهو طالب المعروف والساحة حريم الدار الواسع وسعيا بمعنى ساعين والمتون جمع متن وهو الظهر والاينق جمع ناقة واصله انوق قدمت الواو على النون فصار اونق ثم قلبوها ياء فصار اينق وهذا جمع قلة وجمع الكثرة نياق والرسم بضم الراء المشددة وضم السين جمع رسوم وهي الناقة التي تؤثر في الارض من شدة الوطء عليها ومن هنا الى آخر قوله وجل مقدار الخ خاصيتها لمن خاف ان يلومه السلطان على جناية وقعت منه فليكتبها على جلد جمل ويجعله منشورا على صدره تحت الثياب ويدخل على السلطان وهو يقول الله اكبر ثلاثا فانه لا يكلمه ابدا او من وقع بينه وبين زوجته خصومة او بين احد من احبابه فليكتبها في جلد اسد ويجعلها في كور عمامته ويدخل على حبيبه وهو صامت فان حبيبه يبدأه بالكلام ويكون محبا له واياك ان تفعل هذا بالحرام فاتق الله ومن هو الخ اى ويا من هو الخ فهو معطوف على المنادى في البيت قبله واجاز بعضهم ان يكون معطوفا على من في قوله يا خير من الخ والاول هو الظاهر وعليه فمن هنا واقعة عليه صلى الله عليه وسلم وخاصة بخلافه على الثاني فانها عليه واقعة على جنس متعدد يشمل النبيين والملائكة وقوله الآية الكبرى لمعتبر اى الآية الكبرى التي هي اكبر الآيات لمتامل ومتفكر لانه صلى الله عليه وسلم بعث بالسنن التي لا تحصى وبالعلوم التي لا تستقصى الى قوم مغمورين في الجهالة والضلالة قد بلغ من جهلهم وضلالهم ان يعبدوا الاصنام فدلهم على الله وارشدهم الى ما لا ينال الا بتخصيص من المولى الوهاب فمن تامل ذلك عرف انه الآية الكبرى اى الدليل الاعظم على ان ما جاء به حق قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله ومن هو الخ اى ويا من هو الخ فهو معطوف على المنادى في البيت قبله ويحتمل انه معطوف على من على ما قاله بعضهم كما عملت في نظيره وقوله النعمة العظمى لمغتنم اى النعمة العظمى التي هي اعظم النعم للمريد ان يغتنم ما عند الله من السعادة الابدية لانه صلى الله عليه وسلم انقذ الخلائق من النار ومن الدخول

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

يا خير من يمم العافون ساحته
سعيا وفوق متون الاينق الرسم

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

فى دار البوار بالبيان الواضح والبرهان الناصح فمن اراد ان يغتنم فهو صلى الله عليه وسلم النعمة العظمى
له ولسائر العالمين قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ‌ سريت الخ كانه قال ومن معجزاتك انك
سريت الخ ومعنى سريت سرت ليلا لان السرى هو السير ليلا وسرى واسرى بمعنى وقال السهيلى سرى لازم
واسرى متعد لكن كثر حذف مفعوله فظن اهل اللغة انهما بمعنى للمفعول فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى
بعبده محذوف والتقدير اسرى البراق بعبده فحذف المفعول استغناء عنه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم
لانه المقصود بالخبر او حذف لقوة الدلالة عليه وقوله من حرم اى حرم مكة وقوله ليلا اى فى ليل
فان قيل اذا كان معنى سريت سرت ليلا ومعنى اسرى بعبده جعله ساريا اى سائرا ليلا فما فائدة قوله
بعد ذلك ليلا اجيب بان فائدته فى النظم والآية التاكيد كما قاله الجوهرى او الاعلام بانه فى جزء
من الليل كما قاله الزمخشرى بقرينة تنكيره لانه للتقليل ولو لم يذكر لاحتمل ان يكون ذلك فى الليل كله
وليس كذلك قال الزمخشرى ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اى بعضه وانما خص الليل
بذلك دون النهار لانه وقت تفريغ البال وقطع العلائق وقيل لان الله تعالى لما محى آية الليل وجعل آية
النهار مبصرة انكسر خاطر الليل فجبر بان اسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قيل افتخر النهار على الليل
بالشمس فقيل لا تفتخر فان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج بشمس الارض فى الليل الى السماء وقيل لانه
سراج والسراج انما يوقد فى الليل وقيل لانه سمى بدرا فى قوله طه فان الطاء بتسعة والهاء بخمسة
وذلك اربعة عشر فكانه تعالى قال يا بدر وهذا يناسب قول الناظم كما سرى البدر ولله در القائل حيث قال
قلت يا سيدى ولم تؤثر الليل على بهجة النهار المنير قال لا استطيع تغيير رسمى هكذا الرسم فى طلوع
البدور انما زرت فى الظلام لكيما يشرق الليل من اشعة نورى وقوله الى حرم اى حرم بيت المقدس وقوله
كما سرى البدر اى مثل سير البدر الذى هو القمر ليلة كماله وهى ليلة اربعة عشر سمى بذلك لانه يبادر بالشمس
فى الطلوع ووجه التشبيه انه صلى الله عليه وسلم نور مبين كالبدر واتم وقد قطع مسافة عظيمة فى ليل
مظلم كما يسرى البدر المنير فى ليل مظلم مع سرعة السير وكمال الانارة والداجى اسم لليل المظلم يقال دجى
الليل اى اظلم فقوله داج اى مظلم فقوله من الظلم تكملة اى من نوع الظلم بضم الظاء وفتح اللام جمع ظلمة ومن
للبيان المشوب بالتبعيض وفى هذا البيت اشارة الى قصة الاسراء وقد ذكرها الله تعالى بقوله سبحان الذى
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم كان فى
بيته او فى المسجد على اختلاف الروايات فى ذلك فجاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر فاحتملاه وشقا
صدره وغسله جبريل وملاه علما وحكمة وايمانا ويقينا ثم اتى له بالبراق فركبه وسار وجبريل
عن يمينه وميكائيل عن يساره حتى وصل الى بيت المقدس الخ ‌ وبت ترقى الخ عطف على قوله
سريت الخ اى وبعد وصولك الى بيت المقدس بت ترقى اى تصعد فانه صلى الله عليه وسلم نصب له المعراج له
مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو الذى تعرج عليه ارواح المؤمنين فدليت له مرقاة فصعد عليه الى السماء
الدنيا فاستفتح جبريل الباب فقيل من بالباب قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم

سريت من حرم ليلا الى حرم
كما سرى البدر فى داج من الظلم

وبت ترقى الى ان نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

Digitized by Google

قيل مرحبا به واهلا ونعم المجيء جاء فلما جاوز السماء الاولى دليت المرقاة الثانية فصعد عليها الى السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم الى الكرسي ثم الى سدرة المنتهى ثم الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام ثم دلى الرفرف وهو سحابة خضراء فصعد عليها الى ما شاء الله تعالى وهذا المكان هو الذي اعد الله للخطاب وفرض الصلوات والا فالله تعالى منزه عن المكان وقوله الى ان نلت منزلة غاية لما قبله اي الى ان اعطيت مرتبة في القرب وقوله من قاب قوسين بيان للمنزلة لكن في العبارة قلب والاصل من قابي قوس اي من قدر ما بين قابي القوس لان كل قوس له قابان وبينهما شيء قليل جدا فبينهما غاية القرب فكذلك بينه صلى الله عليه وسلم وبين المولى فبينهما غاية القرب لكن المراد هنا القرب المعنوي وقوله لم تدرك بالبناء للمجهول اي لم يدركها غيرك وقوله ولم ترم بالبناء للمجهول ايضا اي لم يرمها غيرك ولم يطلبها العلم بانها ليست الا لك وفي هذا البيت اشارة الى قصة المعراج وقد ذكرها الله تعالى بقوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وقد علمت حاصلها

وقدمت الخ عطف على قوله سريت الخ ايضا ثم انه يحتمل ان المراد التقديم في الرتبة والمكانة كما يدل عليه قوله تقديم مخدوم على خدم وذلك لان الله قد اطلعهم على منزلته صلى الله عليه وسلم بالوحي في مدة حياتهم كما يدل عليه قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية ويحتمل ان المراد التقديم في الحس والخارج كما يدل عليه ما روي من انه حشر له جميع الانبياء والرسل ليلة الاسراء وصلى بهم في المسجد الاقصى بعد ان اثنى كل على ربه بما هو اهله وكان صلى الله عليه وسلم اخرهم في ذلك فاثنى على الله بما الهمه له فقال ابراهيم عند ذلك بهذا فضلكم محمد وذلك كان قبل المعراج على المشهور ولا يخفى ان الكاف مفعول وجميع الانبياء فاعل والحق الفعل التاء لان جميع في معنى جماعة او لاضافته الى جمع التكسير الذي يجوز تانيثه وقوله جميع الانبياء بالمد وقوله بها اي بتلك المنزلة او الليلة المفهومة من قوله ليلا وقوله والرسل اي وجميع الرسل فهو بالجر معطوف على الانبياء ويحتمل انه بالرفع معطوف على جميع وعلى الاول فهو صريح في العموم وعلى الثاني فهو ظاهر فيه وهل كان الانبياء والرسل باجسامهم وارواحهم او بارواحهم فقط والراجح انهم كانوا بارواحهم فقط الا عيسى وادريس فانهما كانا بروحهما وجسمهما وبعضهم رجح ان الانبياء جميعا كانوا باجسامهم وارواحهم وعطف الرسل على الانبياء من عطف الخاص على العام كما هو المشهور لشرفهم وقوله تقديم مخدوم على خدم اي تقديما مثل تقديم مخدوم على خدم فهو بالنصب على المصدرية لكن على وجه التشبيه

وانت تخترق الخ اي وقدمتك جميع الانبياء والحال انك تخترق بمعنى تقطع السموات السبع الطباق اي التي هي طبقة فوق طبقة فالواو للحال لكنها حال منتظرة لا مقارنة ووصف السموات بانها طباق ماخوذ من قوله تعالى سبع سموات طباقا اي طبقة فوق طبقة وقوله بهم اي حال كونك مارا بهم يعني بالذي لقيه منهم ففي حديث الاسراء في مسلم انه مر في السماء الدنيا بادم وفي الثانية بعيسى ويحيي وفي الثالثة بيوسف وفي الرابعة بادريس وفي الخامسة بهارون وفي السادسة بموسى وفي السابعة بابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقوله في موكب بكسر الكاف اي حال كونك في موكب فهو حال او هو خبر ثان لانت

وقدمت جميع الانبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم

وانت تخترق السبع الطباق بهم
في موكب كنت فيه صاحب العلم

Digitized by Google

وَالموكب الجمع العظيم الملتبس بهيئة عظيمة وَقد كانَ معه صَلى الله عليه وَسلم جبريل وما اعظمهما
وَاعظم هيئتهما وجملة كنت فيه صَاحِب العلم صفة لموكب اى كنت فيه المشار اليه لان العلم الرمح فى رَاسه راية ومن
شان صَاحِبه ان يشار اليه وَهو المراد فاطلق اسم الملزوم وَاريد اللازم او المعنى على التشبيه وكان جبريل
يَستفتح فى كل سماء فيقال له وَمَن معك فيقول محمد كما تقدم وَهذا يَدل على انه صَلى الله عَليه وَسلم هو المشار
اليه فى ذلك الموكب حتى اذا لم الخ غاية لقوله وَانت تخترق الخ وَاذا ظرفية مجازية اى الى مقام القرب
وَقوله لم تدع شاوا لمستبق اى لم تترك غاية لطالب سبق فلم تدع بمعنى لم تترك وَشاوا بفتح الشين المعجمة
وَسكون الهمزة وَفى آخره واو اى غاية وَالمستبق طالب السبق وَهو السّاعى ليسبق وَالجار وَالمجرور متعلق
بشاوى وَقوله من الدنو بيان للشاو اى من القرب وَقوله وَلا مرقى لمستنم اى وَلم تدع مرقى لمستنم وَالمرقى
محل الرقى وَهو الدرجة وَالمستنم طالب الرفعة وَهو السّاعى ليرتفع وَالجار وَالمجرور متعلق بمرقى وَحاصل
المعنى انه صَلى الله عَليه وَسلم لم يَزل يصعد الى مقام القرب فلم يترك فيه غاية من القرب لطالب السبق وَلم يترك
درجة لطالب رفعة وَذلك المقام هو اعلى مقامات القرب وَهو المعبر عنه فيما تقدم بقاب قوسين
خفضت كل مقام الخ هذا البيت جواب اذا فى البيت قبله اى خفضت كل رتبة لغيرك وَقوله بالاضافة
اى بالنسبة الى مقامك لا مطلقا وَالا فالانبياء كلهم متصفون بالكمال لكنه صَلى الله عليه وسلم اكمل
فمقام غيره منخفض بالنسبة لمقامه المرتفع عن مقام كل مخلوق وَان كان ذلك المقام المنخفض مرتفعا
فى نفسه وَانما انخفض بالنسبة لمقامه صَلى الله عَليه وَسلم وَاياك ان تعتقد ان غيره صَلى الله عليه وَسلم
من الانبياء ليس متصفا بالكمال لان ذلك كفر فالواجب عليك ان تعتقد انهم متصفون بالكمال
لكن نبينا اكمل وَقوله اذ نوديت بالرفع اى لانك نوديت من قبل الله تعالى نداء مصحوبا برفع شانك
الى ما لم يصل لاحد غيرك وَهو اعلى مقامات القرب فاذ للتعليل وَقيل ظرف للزمان الماضى وَقوله
مثل المفرد العلم اى حال كونك مماثلا للمفرد العلم من حيث الاختصاص بكونه نودى نداء مصحوبا
برفع لفظه فكما ان المفرد العلم خص بكونه نودى نداء مصحوبا بالرفع من بين اقسام المنادى
فان ما عداه منها منصوب كذلك صَلى الله عَليه وَسلم خص بكونه نودى نداء مصحوبا بالرفع من
بين سائر الانبياء فان ما عداه منهم مخفوض المقام بالنسبة لمقامه صَلى الله عَليه وَسلم فان قيل المفرد
العلم انما نودى بالبناء على الضم لا بالرفع حتى يتم التشبيه اجيب بان البناء على الضم رفع فى المعنى
وَالمراد بالمفرد العلم المعرفة من اطلاق الخاص وَارادة العام لان النكرة المقصودة من اقسام المعرفة
عند المحققين فانها تعرف بالقصد وَالاقبال عَليه كالمشار اليه وَذلك كما فى قولك مقبلا على رجل
مخصوص يا رجل فالمقصود رجل معين لا شائع فى جنسه وَالظاهر ان التشبيه بالمفرد العلم انما هو
فى النداء بالرفع خاصة لا فى خفض مقام غيره كيما تفوز الخ اى كيما تفوز الخ فاللام مقدرة
قبل كى فتكون مصدرية وَعلى هذا فكى هى الناصبة للفعل بنفسها وَيحتمل ان اللام ليست مقدرة
قبلها فتكون تعليلية وَعلى هذا فالناصب للفعل ان مقدرة بعدها لا هى نفسها على الصحيح وَما زائدة

حتى اذا لم تدع شاوا لمستبق
من الدنو ولا مرقى لمستنم

خفضت كل مقام بالاضافة اذ
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

كيما تفوز بوصل اى مستتر
عن العيون وسر اى مكتتم

Digitized by Google

على الوجهين وعلى كل من الوجهين فهو علة لقوله سريت وبت الخ فالمعنى فعلت ذلك لاجل ان تفوز الخ اى تظفر بوصل من الله لك حيث احلك المنزلة التى رفعك اليها وتاراك الى الصعود اليها وقوله اى مستتر عن العيون بتشديد اى وجرها على انها صفة لوصل وهو دال على معنى الكمال اى وصل كامل فى الاستتار عن العيون وقوله وسر اى مكتتم بتشديد اى وجرها على انها صفة لسر وهو دال على معنى الكمال اى سر كامل فى الاكتتام عن الخلق ولا يخفى ان كلا من مستتر ومكتتم بصيغة الفاعل وبعضهم ضبط مكتتم بفتح التاءين وهذا ماخوذ من قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى كما يدل على ذلك حديث عائشة رضى الله تعالى عنها حيث قالت يا رسول الله ما الذى اوحى اليك ربك اذ قال فاوحى الى عبده ما اوحى قال يا عائشة اتريدين ان تعلمى ما لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبى مرسل ولا ملك مقرب فقالت اسئلك بابى بكر الا ما اعلمتنى فقال انى لما كنت قاب قوسين قلت اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالخسف فما انت فاعل بامتى فقال انزل عليهم الرحمة من عنان السماء وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعانى منهم لبيته ومن سالنى اعطيته ومن توكل على كفيته وفى الدنيا استر على العصاة وفى الاخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك ولما اردت الانصراف قلت يا رب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة امتى قال الله تعالى انا لهم ما عاشوا وانا لهم اذا ماتوا وانا لهم فى القبور وانا لهم فى النشور كذا فى بعض الشروح وذكر جمع من الشراح ما نصه وهذا السر ماخوذ من حديث علمنى ربى ليلة الاسراء علوما شتى فعلم اخذ على كتمانه وعلم خيرنى فيه وعلم امرنى ان ابلغه قال على رضى الله عنه فكان يسر الى ابى بكر وعمر وعثمان والى ما خير فيه لكن لم يوقف على اصل لذلك فى كتب الحديث فحزت الخ اى فبسبب ما نلت من تلك المرتبة حزت الخ والحيازة بالحاء المهملة الجمع فمعنى حزت جمعت وقوله كل فخار مفعول لحزت والفخار بفتح الفاء كما هو المسموع وان كان القياس الكسر لقول ابن مالك فى الخلاصة لفاعل الفعال والمفاعله وغير ما مر السماع عادله وهو ما يفتخر به من الفضائل وقوله غير مشترك اى بينك وبين غيرك بل هو مختص بك وقوله وجزت بالجيم والزاى اى عبرت وتجاوزت وقوله كل مقام مفعول لجزت والمقام الرتبة وقوله غير مزدحم بفتح الحاء اى غير مزدحم فيه لعدم الواصلين اليه وهو من باب الحذف والايصال ولا يخفى ان لفظ غير فى الموضعين مجرور على انه صفة للمجرور قبله وحاصل المعنى فبسبب ما نلت من تلك المرتبة جمعت كل ما يفتخر به من الفضائل المختصة بك وعبرت وتجاوزت كل رتبة غير مزدحم فيها لانه لا يصل اليها غيرك وجل الخ اى عظم ذلك فلا يحاط به وقوله ما وليت بالبناء للمفعول اى ما ولاك الله وقوله من رتب بيان لما والرتب المناصب الشريفة وقوله وعز بفتح العين وتشديد الزاى اى امتنع ذلك فلا يحصل لاحد غيرك وقوله ما اوليت بالبناء للمفعول اى ما اولاك مولاك وقوله من نعم بيان لما والمراد من النعم الامور المنعم بها وكل من الجملتين اما مستانف او معطوف على ما تقدم بشرى لنا الخ اى هذه المناقب بشرى لنا الخ فبشرى خبر مبتدا محذوف ولنا صفة له ويحتمل ان بشرى مبتدا ولنا خبر وساغ الابتداء ببشرى لانها فى معنى النكرة

الموصوفة

فحزت كل فخار غير مشترك — وجزت كل مقام غير مزدحم
وجل مقدار ما وليت من رتب — وعز ادراك ما اوليت من نعم
بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا — من العناية ركنا غير منهدم

الموصوفة فانها بمعنى الخبر السار وقوله معشر الاسلام اى معشر اهل الاسلام وهو منصوب
على الاختصاص اى اخص معشر الاسلام وقوله ان لنا من العناية ركنا غير منهدم اى ان لنا جميع المسلمين
من اجل العناية بنا فى الازل شريعة غير متغيرة بالنسخ فالمراد بالركن الشريعة على سبيل الاستعارة
التصريحية الاصلية حيث شبه الشريعة بمعنى الركن بجامع الثبات فى كل واستعار اسم المشبه به للمشبه
والمراد بالانهدام التغير لكن لا مطلقا بل بخصوص النسخ اماتنا الله على سنته واتباع ملته بمنه وفضله ورحمته
لما دعى الله الخ اى لما سمى الله الخ ولا يخفى ان لما شرطية ودعى فعل الشرط والله فاعل وداعينا مفعول ولطاعته
متعلق بداعينا وباكرم الرسل متعلق بدعى وكنا اكرم الامم جواب الشرط والمعنى لما سمى الله النبى صلى الله عليه وسلم
الذى دعانا اى طلبنا لطاعته تعالى باكرم الرسل كنا معشر امته اكرم الامم لان اكرم الرسل لا يبعث الا لاكرم
الامم وفى التنزيل كنتم خير امة اخرجت للناس وجعل بعض الشراح داعينا بدلا من الفاعل وجعل لطاعته
متعلقا بدعى والمعنى عليه لما دعانا الله وهو داعينا الطاعة بواسطة اكرم الرسل كنا اكرم الامم والاول
اقرب كما لا يخفى راعت الخ اى افزعت الخ وهذه الجملة مستانفة وقلوب بالنصب مفعول مقدم لراعت
لكن على تقدير مضاف اى اصحاب قلوب ويحتمل انه سمى الذوات بالقلوب فيكون قد عبر باسم الجزء واراد
الكل على سبيل المجاز المرسل والعدا بالكسر والقصر جمع عدو والمراد بهم الكفار وانباء بعثته بالرفع
فاعل مؤخر لراعت ولا يخفى ان اسناد راعت الى انباء البعثة من المجاز العقلى لان موجد الروع فى
القلوب هو الله تعالى وانباء بعثته انما هى سببه فهو من اسناد الفعل الى سببه والمراد بانباء بعثته اخبار
التى صدرت من الكهان والاحبار وغيرهم كقولهم انه سيظهر دين يغلب كل دين وانما افزعتهم لغفلتهم عنها
كما يؤخذ من التشبيه بعد ولو كانوا ملتفتين اليها ما فزعوا منها وقوله كنبأة اى مثل نبأة اى زارة الاسد
التى هى سوطه وجملة اجفلت بالجيم والفاء اى افزعت صفة لنبأة وغفلا بضم الغين وسكون الفاء
جمع غافل وهو مفعول لاجفلت وقوله من الغنم بيان لغفلا مشوب بتبعيض وانما كانت غفلا
لكونها راتعة فى ربيعها مشتغلة فى اكلها وشهواتها فاجفلها ذلك الصوت وفرقها ما زال الخ
اى لم ينفك صلى الله عليه وسلم عن كونه يلقاهم بنفسه تارة وبخيله ورجله اخرى فى كل معترك وقع بينه
صلى الله عليه وسلم وبينهم ويلقاهم بالاشباع والجار والمجرور متعلق به والمعترك بفتح الراء محل الاعتراك
اى الازدحام للحرب وقوله حتى الخ غاية لقوله ما زال يلقاهم فى كل معترك وقوله حكوا بفتح الكاف لان
اصله حكيوا قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنين ومعنى حكوا
شابهوا وقوله بالقنا اى بطعن القنا فهو على تقدير مضاف والباء للسببية اى بسبب طعنهم بالقنا
وكذا بسبب ضربهم بالسيوف ورميهم بالنبل والقنا جمع قناة وهى الرمح ولحما مفعول لقوله حكوا
وقوله على وضم متعلق بمحذوف صفة للحما والوضم بالضاد المعجمة ما يصنع القصاب عليه من المن
يا خشب وهو المسمى بالطبلية وقيل انه الخشب الذى يغرز فيه اللحم حين يشوى ليؤكل وحاصل المعنى
انه صلى الله عليه وسلم ما زال يقاتل الكفار حتى تركهم قتلى معدين لاكل السباع والطيور لحومهم ويقال للذليل الحقير

لما دعى الله داعينا لطاعته ... باكرم الرسل كنا اكرم الامم

راعت قلوب العدا انباء بعثته ... كنبأة اجفلت غفلا من الغنم

ما زال يلقاهم فى كل معترك ... حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

Digitized by Google

لحم على وضم بطريق الاستعارة ويحتمل أن يكون هو المراد هنا كما يحتمل الحقيقة ودّوا الفرار الخ
أي تمنوا الهروب منه صلى الله عليه وسلم وإنما تمنوه مع أنه أقبح الخصال وأذمها عند العرب فإنه من أفعال اللئام
وما كانوا يرضون به فضلا عن تمنيه لما استمر فيهم من القتل ولما كثرت ودادتهم للفرار وصار من شهواتهم
المطلوبة لهم ولات حين فرار لهم من غضب الله تعالى الذي حل بهم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيد المؤمنين
نزل قربهم منزلة المحال الذي لا ينال إلا بالتمني وقوله فكادوا يغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم
أي فلتمنيهم ذلك قربوا من أن يغبطوا بذلك الفرار أشلاء على وزن أشياء أي أعضاء شالت أي ارتفعت
حال كونها مع العقبان بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من الطير ومع الرخم جمع رخمة وهو نوع
من الطير أيضا وإنما خص هذين النوعين لعظم ارتفاعهما دون غيرهما والغبطة هي تمني الشخص أن
يحصل له مثل ما يحصل لغيره فكأنهم يقولون يا ليت لنا مثل هذه الأعضاء اللحم التي ارتفعت مع العقبان
والرخم إلى منازلها وأشلاء جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم وإنما غبطوا الأعضاء
دون العقبان والرخم التي ارتفعت بها لما بينهم وبين تلك الأعضاء من المشابهة لأنهم لا حركة لهم
ولا قوة بسبب طعن القنا فحالهم كحالة الأعضاء لا كحالة العقبان والرخم تمضي الليالي الخ
تمر عليهم الليالي بأيامها والحال أنهم لا يعلمون عددها من شدة ما دخل في قلوبهم من الفزع وخامر
بواطنهم من الهلع بسبب جهاد النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لهم فيسكرون من الخوف وتذهب عقولهم
وينعدم تمييزهم فلا يدرون عدة الأيام بلياليها وعلم مما تقرر أن الواو في قوله ولا يدرون عدتها
واو الحال وقوله ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم أي ما لم تكن تلك الليالي من ليالي الأشهر الحرم التي هي
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب بخلاف ما إذا كانت تلك الليالي من ليالي الأشهر الحرم المذكورة
فإنها تمضي عليهم ويدرون عدتها لكونهم يفيقون من سكرهم من الخوف وترجع إليهم عقولهم ويوجد لهم تمييز
لإمساك النبي والمؤمنين عن جهادهم في الأشهر الحرم في صدر الإسلام عند من رأى أن منع قتالهم
فيها نسخ وقال عطاء لم ينسخ وهو ضعيف وما ذكرناه في عد الأشهر الحرم هو الصحيح وقيل هي المحرم
ورجب وذو القعدة وذو الحجة وعلى الأول فهي من سنتين وعلى الثاني فهي من سنة ويترتب على الخلاف
ما لو نذر صومها مرتبة فيصوم على الأول ذا القعدة أولا إلى آخرها ويصوم على الثاني المحرم إلى آخرها
كأنما الدين الخ أي كأنما دين الإسلام ضيف حل ونزل ساحة الكفار فالضمير في ساحتهم عائد على الكفار كما
قاله بعض الشارحين وهو قضية السياق أو ساحة الصحابة فالضمير في ذلك راجع للصحابة كما قاله
بعض الشارحين وهو المسموع من المشايخ وقوله بكل قرم بفتح القاف وسكون الراء أي مع كل شجاع لأن
هذا الضيف الذي وقع التشبيه به شجاع فلذا نزل مع شجعان أمثاله فالباء بمعنى مع والقرم بفتح فسكون
الشجاع وقوله إلى لحم العدا قرم بفتح القاف وكسر الراء أي شديد الشهوة إلى لحم العدا المسلمين فالقرم بفتح
فكسر شديد الشهوة والجار والمجرور متعلق به وحاصل المعنى على جعل الضمير في ساحتهم عائدا على
الكفار كأنما دين الإسلام ضيف حل ساحة الكفار مع كل شجاع شديد الشهوة إلى لحم العدا المسلمين

ودّوا الفرار فكادوا يغبطون به ... أشلاء شالت مع العقبان والرخم

تمضي الليالي ولا يدرون عدتها ... ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم

كأنما الدين ضيف حل ساحتهم ... بكل قرم إلى لحم العدا قرم

ومن

Digitized by Google

يجر بحر خميس فوق سابحة
يرمي بموج من الابطال ملتطم

من كل منتدب لله محتسب
يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم
من بعد غربتها موصولة الرحم

مكفولة ابدا منهم بخير اب
وخير بعل فلم تيتم ولم تئم

ومن شأن الضيوف اذا كانوا كراما ان يشبعوا عند المضيف لهم مما يشتهون وفيه على هذا اقامة الظاهر مقام المضمر والا فكان مقتضى الظاهر ان يقول الى لحمهم ونكتته التصريح بوصفهم بالعداوة للمسلمين وحاصل المعنى على جعل الضمير في ساحتهم راجعا الى الصحابة كانما دين الاسلام ضيف حل ساحة الصحابة مع كل شجاع شديد الشهوة الى لحم العدا للمسلمين ومن شأن المضيف ان يشبع ضيوفه مما يشتهون وعلى كل فالغرض من ذلك الاخبار بكثرة القتل في الكفار

يجر الخ اى يستتبع هذا القرم بفتح القاف وسكون الراء الذى هو الشجاع فالمراد بالجر هنا الاستتباع فيكون قد شبه الاستتباع بالجر واستعار اسم المشبه به للمشبه ثم اشتق منه يجر بمعنى يستتبع ويحتمل انه شبه الخميس الذى هو كالبحر بدابة تجر برسن تشبيها مضمرا فى النفس وحذف اسم المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الجر فهو تخييل للاستعارة بالكناية وقوله بحر خميس اى خميسا كالبحر فى تموجه واهلاكه الكفار فهو من اضافة المشبه به للمشبه والخميس هو الجيش العظيم سمى بذلك لانه مركب من خمس قوائم مقدمة وميمنة وميسرة وساقة وقلب وقوله فوق سابحة اى كائن فوق خيل سابحة اى مسرعة فى طلب الكفار كالسابح فى البحر وقوله يرمى بموج الخ صفة للخميس والمراد بالموج ما يصل الى الكفار من الطعن والقتل وغيرهما فيكون قد شبه ذلك بمعنى الموج واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق التصريح وقوله من الابطال اى صادر ذلك الموج من الابطال وانما لم يقل منهم مع ان الابطال نفس الجيش لافادة ان ذلك الجيش كله ابطال والابطال جمع بطل وهو الشجاع وقوله ملتطم صفة لموج اى ملتطم بعضه ببعض من كل منتدب الخ الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله اى من كل مجيب الخ فالمنتدب بكسر الدال على انه اسم فاعل وضبطه بعض الشراح بفتحها على انه اسم مفعول بمعنى مدعو وعلى كل فقوله لله متعلق به وقوله محتسب اى مدخر ثواب عمله عند الله وقوله يسطو اى يصول وقوله بمستأصل للكفر اى بآلة مستأصلة لاهل الكفر كالسيف وغيره من آلة القتال اى مزيل لهم من اصلهم يقال استأصله اذا ازاله من اصله وقوله مصطلم اى مهلك لهم يقال اصطلمه اذا اهلكه وفى الصحاح الاصطلام الاستئصال وعليه فهو توكيد حتى غدت الخ اى وما زال هذا المنتدب يسطو بمستأصل لاهل الكفر الى ان غدت الخ فهو غاية لمحذوف وغدت بمعنى صارت وهو بالغين المعجمة وقوله ملة الاسلام اى ملة هى الاسلام فالاضافة فى ذلك من اضافة الاعم الى الاخص لان الملة تشمل سائر الاديان وقوله وهى بهم اى وهى مصحوبة بالصحابة والجملة اعتراضية بين اسم غدت وهو ملة الاسلام وخبرها وهو موصولة الرحم وقوله من بعد غربتها متعلق بغدت بمعنى صارت والمراد بغربتها عدم شهرتها لقلة من ينتمى اليها وقوله موصولة الرحم بالنصب على انه خبر لغدت كما علمت والمراد بكونها موصولة الرحم كثرة القيام بحقها بسبب كثرة من ينتمى اليها ويدخل فيها وقد شبه كثرة القيام بحقها بوصل الرحم واستعار اسم المشبه به للمشبه واشار بذلك الى حديث مسلم بدأ الاسلام غريبا اى ظهر بين قوم لا يقومون بحقه فهو مقطوع الرحم ثم قامت بحقه الصحابة فصار موصول الرحم مكفولة الخ اى محفوظة الخ وهو خبر ثان لغدت وقوله ابدا ظرف لقوله مكفولة

وقوله منهم اى من الكفار وقوله بخير اب وخير بعل وهو النبى صلى الله عليه وسلم فانه اشفق على امته من
الاب على اولاده واقوم بمصالحهم من البعل على زوجاته ومثله صلى الله عليه وسلم من يقوم مقامه من الخلفاء
الراشدين والعلماء المهديين ولا شك ان المراة التى كفلها خير اب وخير بعل فى غاية من الكفاية والهيبة ورفاهية
من العيش وقوله فلم تيتم بفتح التائين وسكون المثناة التحتية بينهما اى من جهة الاب وقوله ولم تئم
بفتح التاء وكسر الهمزة اى من جهة البعل ففى ذلك لف ونشر مرتب يقال يتم الولد بكسر التاء ييتم بفتحها
اذا مات ابوه وهو صغير ويقال آمت المراة تئيم كباعت تبيع اذا خلت من زوجها ومنه قوله تعالى وانكحوا الايامى
منكم

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم
ماذا رأى منهم فى كل مصطدم

هم الجبال الخ هذه الجملة مستانفة استئنافا بيانيا لانها جواب عما يقال من الذين صارت بهم
الملة الى هذه الحالة والكلام على التشبيه اى هم كالجبال فى الصبر والصلابة وهذا يسميه البيانيون
تشبيها بليغا لا استعارة وقوله فسل عنهم مصادمهم اى ان ارتبت فى هذا فسل عنهم من صادمهم
من اعدائهم ولعل مراده فسل عنهم مؤرخ اخبار مصادمهم او فسل مصادمهم على تقدير حياته والا فكيف
يتصور سؤاله الآن وقد مر من مدة مئين من السنين حتى عاد رفاتا والمصادمة اصطكاك الصفين
وقوله ماذا رآى منهم اى من الشدة التى لا توصف لعظمها وما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول
خبر اى اى شئ الذى رآى ويصح ان يكون ماذا بتمامها اسم استفهام وعلى هذا فهو مفرد بخلافه على
الاول فهو جملة وقوله فى كل مصطدم بفتح الدال اى فى كل مكان الاصطدام الذى هو اصطكاك
الصفين كما مر والمراد بالمصطدم الاماكن التى التقوا فيها مع اعدائهم وبين مصادمهم ومصطدم
تجنيس الاشتقاق وهو رد الصدور على الاعجاز ومن هنا الى قوله طارت قلوب العدى الخ خاصيتها
ان من كتبها على باب بلد او بستان ما دامت مكتوبة لا يصل الى ذلك سارق ولا دود ولا غير ذلك
قال قائل هذه الفائدة قد جربت فى القمح والشعير وغيرهما وقال ايضا كتبت هذه الابيات على باب دار
فجاء السارق فسمع صوتا فى الدار فرجع ثم قال لاصحابه ذلك فاخبروه بان صاحب البيت غائب جمعتين
ثم رجع ثانى ليلة فسمع فيه صوتا يقول له ما غبت شيئا ومنعه الله ببركة هذه الابيات

وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا
فصول حتف لهم أدهى من الوخم

وسل حنينا الخ
اى وسل زمن غزوة حنين وسل زمن غزوة بدر وسل زمن غزوة احد ويحتمل ان يكون مراده وسل
اهل حنين وسل اهل بدر وسل اهل احد او وسل مؤرخ وقعة حنين وسل مؤرخ وقعة بدر وسل مؤرخ
وقعة احد والتفسير الاول اولى لان قوله فصول حتف بدل من حنين وما عطف عليه بدل مجمل من مفصل
وبعضهم جعله خبر مبتدا محذوف اى هى فصول الخ ومعنى قوله فصول حتف لهم ازمنة موت للكفار وقوله
ادهى من الوخم اى اشد داهية عليهم لما يصيبهم فيه من الوخم الذى هو الوبا فان ما يموت منهم فى زمن الوبا مع
تطاوله لا يبلغ كثرة من يموت منهم فى زمن مقاتلة المؤمنين لهم مع قصر الساعة الواحدة وكانت غزوة حنين
بعد فتح مكة سنة ثمان وهو اسم لواد بين مكة والطائف وفيه التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
مع المشركين فانهزم الكفار وقتل منهم كثير وسبيت اموالهم ونساؤهم وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين
اليها فى يوم الجمعة سنة ثنتين وبدر اسم ماء على طريق مكة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخا وعنده كانت

هذه الغزوة وقتل فيها من صناديد قريش سبعون وكان عددهم نحو الف والمسلمون نحو ثلثمائة
وروى انه نزل جبرئيل عليه السلام فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صورة الرجال على خيل بلق
عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمايم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكتافهم ولم تقاتل الملئكة فى
سوى يوم بدر وانما يكونون عددا ومددا وكانت غزوة احد فى شوال سنة ثلاث وهو اسم لجبل
بالمدينة كانت الوقعة فيه واستشهد فيها من المسلمين سبعون منهم حمزة وقتل من المشركين اثنان وعشرون
رجلا وكان المسلمون سبعمائة والمشركون ثلاثة الاف والحرب سجال واحدة لنا وواحدة علينا
المصدري البيض الخ اى امدح المصدري البيض الخ فهو مفعول لفعل محذوف واصله المصدرين
حذفت نونه للاضافة ان جعلنا المصدري مضافا للبيض او للتخفيف ان جعلناه غير مضاف والمصدرين
جمع مصدر بضم الميم من اصدر عن الماء رجع ويقال اصدره غيره اى رجعه والمراد من البيض
السيوف المصقولة فشبه السيوف المذكورة بابل بيض اوردت ينبوعا اسود يجرى بماء احمر ثم اصدرت
عنه حمراء من تلبسها بالماء الذى وردته تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه
بشئ من لوازمه وهو الاصدار ففيه استعارة بالكناية وتخييل وقوله حمرا اى من الدماء التى خالطتها
وهو حال من البيض وقوله بعدما وردت اى بعد ورودها فما مصدرية وقوله من العدا حال من قوله كل
مسود الواقع مفعولا لقوله وردت وقوله من اللمم اى الشعر المجاور شحمة الاذن فاللمم بكسر اللام جمع لمة
وهى الشعر المذكور ومن زائدة لان المعنى على الاضافة والتقدير كل مسود اللمم فحاصل المعنى امدح
الصحابة الذين اصدروا اى ارجعوا السيوف البيض حال كونها حمرا من الدماء بعد ورودها
كل شخص مسود اللمم حال كونه من العدا وفى ذلك دليل على شجاعة الصحابة رضى الله تعالى عنهم حيث لا يرضون
الا بقتل سود اللمم من العدا وهم الشبان فى الغالب والكاتبين بسمر الخط عطف على قوله
المصدري البيض واراد من الكاتبين الطاعنين فيكون قد شبه الطعن بالكتابة بجامع التأثير
فى كل واستعار الكتابة للطعن واشتق من الكتابة بمعنى الطعن الكاتبين بمعنى الطاعنين على طريق
الاستعارة التصريحية التبعية والمراد بسمر الخط الرماح الخطية فالسمر جمع اسمر وهو الرمح والخط
شجر تتخذ منه تلك الرماح وقيل موضع باليمامة تجلب اليه تلك الرماح من الهند وقوله ما تركت اقلامهم
حرف جسم غير منعجم اى لم تترك اسنة رماحهم طرف جسم من اجسام الكفار غير مزال العجمة بل ازالت
عجمته اى خفاءه بالطعن بان طعنته ليتميز الكفار من المؤمنين فان الامر مختلط فى الحرب فيتميز
الكافر بطعنه والمؤمن بسلامته كما يتميز الحرف المعجم بنقطه والمهمل بخلوه عن النقط فالمراد باقلامهم
اسنة رماحهم فيكون قد شبه اسنة رماحهم بالاقلام واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة
التصريحية الاصلية والحرف بمعنى الطرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اى على طرف
وجانب من الدين وفى هذا البيت لطائف منها تشبيه الصحابة بالكتبة واسنة رماحهم بالاقلام وذلك
دليل على غاية احكامهم للطعن بها حتى انها فى ايديهم كالاقلام فى يد الكتبة وليس عليهم كبير مشقة فى التصرف بها

المصدري البيض حمرا بعدما وردت من العدا كل مسود من اللمم

والكاتبين بسمر الخط ما تركت اقلامهم حرف جسم غير منعجم

Digitized by Google

ومنها الاشارة الى انهم لا يطعنون طعنة الا في محلها كما لا تنقط الكتبة نقطة الا في محلها ومنها
الاشارة الى انهم اعجموا حروف اجسام الكفار ليتميزوا من المسلمين ويوجد في بعض النسخ بيت وهو
ان قام في جامع الهيجاء خاطبهم تصامت عنه اذناصمة الصمم اى ان قام في مجمع الحرب خاطب
الصحابة تعافلت عنه اذناصمة الصمم اى اشدهم شجاعة قال العلامة ابن مرزوق وهذا البيت لم يثبت
في روايتي وانما هو في بعض النسخ والظاهر انه ليس من كلام الناظم ولذلك وقع الاضطراب في تفسيره
وهذا شأن كثير مما ادخل فيه وفي ذلك دلالة على خلوص نيته وصدق محبته رحمه الله تعالى ونفعنا بركاته
شاكي السلاح الخ اى حاديه كما عليه الجوهري وبعضهم فسره بتاميه اى جامعين لانواعه
والمناسب لاخذه من الشكوة التي هي الحدة الاول وتركيب شاكي السلاح كتركيب المصدر البيض
فاصله شاكين السلاح لكن حذفت النون للاضافة او للتخفيف واصل شاكي شاوك فدخله القلب المكاني
فصار شاكو ثم دخله الاعلال الذاتي فصار شاكي وقوله لهم سيما تميزهم اى لهم علامة تميزهم عن غيرهم
قال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا
من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود قال بعضهم يكون موضع السجود من وجوههم
كالقمر ليلة البدر وقوله والورد يمتاز بالسيما عن السلم اى والورد يتميز من السلم بالعلامة من طيب
الرائحة وحسن الخلقة وبهاء المنظر فان السلم بضد ذلك فالورد والسلم وان اشتركا في ان كلا
شجر مورق ذو شوك الا ان بينهما فرقا ظاهرا لكل ذي بصر وكذلك الصحابة وغيرهم فانهما
وان اشتركا في ان كلا ذو سلاح الا ان بينهما فرقا ظاهرا لكل ذي بصيرة فالصحابة يمتازون من
غيرهم بشرف المنزلة وطيب الرائحة وبهاء المنظر وحسن الخلقة فان غيرهم بضد ذلك فالمقصود من قوله
والورد الخ توضيح الفرق تهدي اليك الخ اى ترسل اليك الرياح التي يحصل بها النصر خبرهم السار
على وجه الهدية فتهدي بمعنى ترسل وهو بضم التاء من اهدى والمراد برياح النصر الرياح التي يحصل
بها النصر فالاضافة لادنى ملابسة ويحتمل ان المراد بها بركات النصر وثمراته وقد يراد بالرياح
الدولات كما في قول الشاعر اذا هبت رياحك فاغتنمها فعقبى كل عاصفة سكون والمراد بالنشر
الخبر السار وان كان في الاصل الرائحة الطيبة وقوله فتحسب الزهر في الاكمام كل كمي كان نحو الكلام
ان يقول فتحسب كل كمي الزهر في الاكمام لكن المص قد جعله من التشبيه المقلوب على حد قوله ومهمه مغبرة ارجاؤه
كأن لون ارضه سماؤه والزهر نور الشجر كما مر والاكمام جمع كم وهو غلاف النور والكمي الشجاع في سلاحه
من كمي جسده بالسلاح اذا ستره به واصله كمي بتشديد الياء حذف منه الياء الساكنة وسكنت المتحركة
للوقف وحاصل المعنى انما فتحت الازهار في رياض ملة الاسلام برياح نصرهم كان كلما تهب من
الرياح من تلك الازهار وتنشر الى الشام روائح نشرهم فتظن كل بطل في الدروع الغامرة زاهرا في
الاكمام الفاخرة وانما قيد بكونه في الاكمام لانه في اكمامه احسن منظرا او اطيب رائحة منه في خارج
الاكمام كانهم في ظهور الخيل الخ اى كان الصحابة حال كونهم على ظهور الخيل نبت ربا في الاستقرار

شاكي السلاح لهم سيما تميزهم … والورد يمتاز بالسيما عن السلم
تهدي اليك رياح النصر نشرهم … فتحسب الزهر في الاكمام كل كمي
كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا … من شدة الحزم لا من شدة الحزم

Digitized by Google

وَالثبوت حتى انهم لو تحركوا عليها لم ينقلبوا من ظهور الخيل وانما يتحركون للطعن والاتقاء مع ثبوت اصلهم كما يتحرك نبت الربا اذا حركته الرياح فالضمير للصحابة وفي ظهور الخيل حال وفي بمعنى على كما في قوله تعالى حكاية عن فرعون ولاصلبنكم في جذوع النخل والربا جمع ربوة بتثليث الراء وهي ما ارتفع من الارض ونبتها يكون اثبت من غيره لطول عروقه حتى يصل الى الماء ويكون احسن من غيره لانه لا يستقر عليه الماء فيا خذ حظه من الشمس والرياح فيجئ اخضر يعجب حسنه الناظرين ولما غيره فقد يستقر عليه الماء فيقتله او يضعفه فيصفر لونه وتامل قوله صلى الله عليه وسلم كالحبة في حميل السيل وانما لم يشبههم بالشجر لان الكفار تشبهه في عدم التحرك فانهم لا يتحركون للطعن والاتقاء واما النبت فالرياح تميله يمينا وشمالا وقوله من شدة الحزم بكسر الشين المعجمة وفتح الحاء المهملة وسكون الزاي اي وذلك اعني استقرارهم وثبوتهم في ظهور الخيل من قوة جودة رايهم وتدبيرهم وقوله لا من شدة الحزم بفتح الشين المعجمة وضم الحاء والزاي اي لا من ربط الحزم التي يربط بها السرج او غيره على ظهر الدابة وظاهر ان من في الموضعين بمعنى لام التعليل طارت قلوب العدا الخ اي اضطربت قلوب العدا الخ فشبه الاضطراب بالطيران واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الطيران بعد استعارته للاضطراب طارت بمعنى اضطربت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وقوله من باسهم اي من شدتهم وقوتهم في الحرب ومن في ذلك بمعنى لام التعليل وقوله فرقا بفتحتين اي فزعا وهو مفعول لاجله اي لاجل الفرق والفزع الذي حل بهم وقوله فما تفرق بين البهم والبهم اي فبسبب ذلك حصل لهم دهش حتى صارت قلوبهم لا تفرق بين البهم بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء جمع بهمة وهي السخلة فالبهم هي السخال وهي اولاد الضان وبين البهم بضم الباء الموحدة وفتح الهاء جمع بهمة بضم الباء وسكون الهاء وهو الشجاع فالبهم هم الشجعان ولا يخفى ان تفرق في كلامه بضم التاء وتشديد الراء من فرق بالتشديد لا من فرق بالتخفيف ومن تكن برسول الله الخ لما ذكر انه حصل للعدا الفزع الشديد من باس الصحابة اشار الى ان ذلك انما هو بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ومن تكن برسول الله الخ اي ومن تكن نصرته برسول الله كالصحابة ومن حذا حذوهم الخ ولا تكون النصرة برسول الله صلى الله عليه وسلم الا باتباع سنته وترك ما كان على خلاف شريعته وذلك هو تقوى الله والحامل عليها خوف الله ومن خاف الله خاف منه كل شيء حتى الاسد في آجامها فمن حصلت له هذه المرتبة طارت قلوب العدا من باسه وسلم من اعدائه وقوله ان تلقه الاسد في آجامها تجم اي تلقه الاسد التي هي جمع اسد وهو الحيوان المعروف من تكن نصرته برسول الله صلى الله عليه وسلم حال كونها في آجامها التي هي جمع اجمة وهي الغابات اي المحلات التي تستتر فيها كالاشجار الملتفة تجم بكسر الجيم بمعنى تسكن من هيبته فلا يسمع لها صوت خوفا من ان يكون صوتها دالا عليها فياتيها المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبض عليها وانما قيد الاسد بكونها في آجامها لانها فيها اعز منها في غيرها فانه لا يقدر احد على ان يدخل عليها فيها ولو انتزعت منه اعز ما يكون عليه لكن ان لقيت المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم انعكس الحال

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربى من شدة الحزم لا من شدة الحزم
طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا فما تفرق بين البهم والبهم
ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم

هذا ويحتمل ان المراد بالاسد الشجعان وبالاجام الحصون وبناسب حمل الاسد على حقيقتها قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاسد وهي انه خرج عليه سبع بالصحراء فقال اقسمت عليك برسول الله ان تسكن فسكن وهذا البيت والذان بعده خاصيتهما ان من كان خائفا في بحر او بر وكتبها بريقه في كفه وآراها للسباع فانها تذهب عنه باذن الله تعالى ولن ترى من ولي الخ ترى بصرية على تقصيه كلام بعض الشارحين ويحتمل انها علمية ومن زائدة في المفعول والمراد بالولي من آمن به صلى الله عليه وسلم وكان على هديه وطريقته والعدو ضده وقوله به اي برسول الله فان قيل ما فائدة قوله ولا من عدو الخ بعد قوله ولن ترى من ولي الخ مع انه اذا اخبر بان الولي منتصر علم منه ان العدو منقصم لان من المعلوم ان احد المتقابلين اذا انتصر كان مقابله بضد ذلك وبضدها تتميز الاشياء اجيب بانا لا نسلم انه اذا اخبر بان الولي منتصر علم منه ان العدو منقصم وانما يعلم منه انه غير منتصر وذلك اعم من كونه منقصما لجواز ان ينهزم مع سلامته والاعم لا اشعار له بالاخص وعلى تسليم علم ذلك منه فعلم منه باللزوم والمناسب لمقام المدح التصريح والمنقصم بالقاف وفي بعض النسخ بالفاء والاول اولى لان الفصم بالفاء القطع من غير ابانة والقصم بالقاف القطع مع الابانة كما تقدم احل امته الخ هذا البيت كالتعليل للبيت قبله فكانه قال لانه احل امته الخ وقوله في حرز ملته اي في ملته الشبيهة بالحرز فهو من اضافة المشبه به للمشبه كما في قول الشاعر والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء وانما كانت ملته صلى الله عليه وسلم شبيهة بالحرز لانها تحفظ من اتبعها من نار الكفر فهي كاعظم الحصون المنيعة التي لا يدخلها الا من هو من اهلها وقوله كالليث حل مع الاشبال في اجم اي فالنبي صلى الله عليه وسلم حل مع امته في ملته كالليث حل مع اشباله في الاجم فكما انه لا يستطيع احد الدخول على الليث مع اشباله في الاجم لا يستطيع احد الدخول على رسول الله مع امته في ملته والليث هو الاسد والاشبال اولاده والاجم جمع اجمة وهي الغابة اي الشجر الملتف لا يقال ما افاده قوله كالليث الخ من ان الليث في هذه الحالة يخاف منه غيره يخالفه ما افاده قوله سابقا ان تلقه الاسد في آجامها تجم لانا نقول الاسد انما تجم في آجامها من النصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما استفيد مما تقدم وهذا لا ينافي ان غيره يخاف منها كما استفيد مما هنا كم جدلت كلمات الله الخ لما كانت النصرة تارة تكون بالسيف وتارة تكون بالحجج وقد تقدم الكلام على الحالة الاولى اخذ يتكلم على الحالة الثانية فقال كم جدلت كلمات الله الخ وكم خبرية في الموضعين بمعنى كثير والمجرور لها تمييز وجدلت بتشديد الدال ويجوز تخفيفها اي قطعت وازالت مجادله وكلمات الله هي القرآن والجدل بكسر الدال اسم فاعل من جدل جدلا اي احكم الخصومة احكاما وقوله فيه اي في امره صلى الله عليه وسلم وقوله وكم خصم البرهان الذي هو الدليل القاطع من خصم بكسر الصاد وهو شديد الخصومة وفيه الحذف من الاواخر لدلالة الاوائل والتقدير من خصم فيه اي في امره صلى الله عليه وسلم وحاصل معنى البيت كثيرا ما ازال القرآن جدال المجادل في امره صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما ازال الدليل القاطع خصومة شديد الخصومة في امره صلى الله عليه وسلم والاول اشارة الى ما وقع في القرآن من جواب المعاندين السائلين له صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما نقل من ان اليهود

ولن ترى من ولي غير منتصر ... به ولا من عدو غير منقصم

احل امته في حرز ملته ... كالليث حل مع الاشبال في اجم

كم جدلت كلمات الله من جدل ... فيه وكم خصم البرهان من خصم

قالوا

قالوا لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين فان اجاب عن الكل او سكت عن
الكل فليس بنبى وان اجاب عن البعض وسكت عن البعض فهو نبى فنزلت قصة اصحاب الكهف وقصة
ذى القرنين ونزل قل الروح من امر ربى فاحال علمها الى ربه والثانى اشارة الى ما وقع منه صلى الله عليه وسلم
من الآيات حين سالوه آية على رسالته كانشقاق القمر وغيره ولا يخفى ان عطف الثانى على الاول من
عطف العام على الخاص وهذا البيت والذى بعده خاصيتهما ان من كتبهما فى ورقة بيضاء لصغير
وجعلها فى قصبة وربطها فى خيط حرير وعلقها عليه فانه لا يصيبه شيطان ولا مرض ولا غير ذلك كفاك
بالعلم الخ لما ذكر انه كثيرا ما خصم البرهان من خصم عقب ذلك بذكر برهانين حيث قال كفاك بالعلم الخ اى
كفاك العلم فالباء زائدة فى الفاعل لان زيادتها فى فاعل كفى كثيرة وقوله فى الامى اى فى النبى الامى وهو الذى
لا يقرأ ولا يكتب نسبة للام كانه على الهيئة التى نزل عليها من امه وهذا وصف مدح بالنسبة له صلى الله عليه وسلم
لانه دليل على ان القرآن من عند الله واما بالنسبة لغيره صلى الله عليه وسلم فهو وصف ذم والجار والمجرور حال
من العلم او صفة له وقوله معجزة اى من جهة المعجزة فهو تمييز للنسبة فى كفى وقوله فى الجاهلية اى الزمن الذى
لا علم فيه والجار والمجرور مثل الجار والمجرور قبله وانما قيد بقوله فى الامى وقوله فى الجاهلية لان كلا
من كونه اميا وكونه فى الجاهلية مظنة لعدم العلم لانه لا يكون الا بمطالعة الكتب العلمية وهو لا يقرأ
ولا يكتب او بملاقاة العلماء وهو منتف فى الجاهلية فتعين ان علمه صلى الله عليه وسلم ليس الا بتعليم من الله تعالى
وقوله والتاديب فى اليتم اى وكفاك بالتاديب فى اليتم معجزة فهو معطوف على قوله بالعلم لكن المراد بالمعجزة
مطلق الامر الخارق للعادة وان لم يكن مقرونا بالتحدى الذى هو دعوى الرسالة فاندفع ما يقال ان
كونه صلى الله عليه وسلم مؤدبا فى حال يتمه لا يعد معجزة لان المعجزة هى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى
وهو صلى الله عليه وسلم فى حال يتمه لم يتحد لان التحدى لا يكون الا بعد الاربعين والمراد من التاديب التادب
او انه مصدر المبنى للمفعول فهو بمعنى كونه مؤدبا ليكون وصفا للنبى صلى الله عليه وسلم وانما قيد بقوله فى
اليتم بضمتين كما هو لغة فى اليتم بضم فسكون لان شأن اليتيم وهو الصغير الذى لا اب له ان لا يكون
فيه من الادب ما يكون فى غيره فان الاب غالبا يهتم بتاديب ابنه ويسعى فى تكميله باكتساب الصفات
الحميدة بخلاف غير الاب وهو صلى الله عليه وسلم قد مات عنه ابوه قبل ولادته وقيل بعدها وتربى عليه الصلاة والسلام
فى كفالة عمه ابى طالب وكان صلى الله عليه وسلم مؤدبا باحسن الاخلاق على خلاف العادة فى اليتيم وقد قال صلى الله
عليه وسلم ان الله ادبنى فاحسن تاديبى وبالجملة فقد بلغ صلى الله عليه وسلم من العلوم ما لا يبلغه من تصدى لها
ومن الآداب ما لا يناله من له مؤدب فدل ذلك على انه رسول الله حقا خدمته بمديح الخ اى خدمته
صلى الله عليه وسلم بما تقدم من المدح اطلب من الله ان يقيلنى بسبب هذا المديح ذنوب عمر مضى فى الشعر
مدحا لابناء الدنيا والخدم بكسر الخاء المعجمة وفتح الذال المهملة جمع خدمة فالمراد بالمديح ما تقدم من
المدح والسين والتاء للطلب كما تقدمت الاشارة اليه وجملة قوله مضى الخ صفة لعمر وقد ذكر بعضهم
ان الناظم كان فى مبدا امره كاتب انشاء عند بعض السلاطين وقيل انه كان وزيرا وهذا وان كان مباحا

كفاك بالعلم فى الامى معجزة فى الجاهلية والتاديب فى اليتم

خدمته بمديح استقيل به ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم

الا انه قد يخرج الى المحرم كما يؤخذ من البيت بعده ومن هنا الى آخر قوله ولم ارد زهرة الدنيا خاصيتها للملسوع تكتب بماء المطر والورد ويمحى ويشرب بها فانها تزول سريعا باذن الله تعالى اذ قلدانى الخ

اى لانهما قلدانى الخ فهذا البيت تعليل للبيت قبله والضمير الفاعل فى قلدانى للشعر والخذم وقوله ما تخشى عواقبه اى آثاما تخشى عواقبها من انواع العذاب ان لم يغفرها الله تعالى فما واقعة على الآثام والمراد بعواقبها انواع العذاب وقوله كاننى بهما هدى من النعم اى كاننى بسبب الشعر والخذم هدى من النعم التى هى الابل والبقر والغنم ومن شأن الهدى ان يقلد بجعل شئ فى عنقه من نعل ونحوه ليعلم انه هدى وحاصل المعنى ان الشعر والخذم جعلا الآثام التى تخشى عواقبها من انواع العذاب قلادة فى عنقى فصرت بسببهما اشبه الهدى من النعم فكما لا يخفى حال الهدى على من رآه بما جعل فى عنقه من نعل ونحو كذلك لا يخفى حالى على من رآنى وعرف حالى بما اكتسبته من الآثام التى تخشى عواقبها بسبب الشعر والخذم

أطعت غى الصبا الخ بين بهذا البيت سبب كون الشعر والخذم قلداه الآثام التى تخشى عواقبها وذلك السبب هو طاعة غى الصبا والغى ضد الهدى واضيف للصبا لانه يدعو اليه فانه زمن الجهل والبطالة وقوله فى الحالتين اى حالتى الشعر والخذم وقوله وما حصلت الا على الآثام والندم اى وما حصلت منهما الا على الآثام التى صدرت منى وعلى الندم على تلك الآثام فيا خسارة نفس الخ هذا البيت تحقيق للندم وتبكيت للنفس لان فيه نداء عليها بالخسارة فى تجارتها فكانه قال يا خسارة نفس موصوفة بما ذكر احضرى فهذا اوانك وهذا كناية عن استعظام خسارة هذه النفس والتعجب منها فان عادة العرب اذا استعظموا شيئا وتعجبوا منه نادوه ليحضر وقوله فى تجارتها متعلق بخسارتها وقوله لم تشتر الدين بالدنيا اى لم تاخذ الدين بدل الدنيا بل عدلت عن العظيم الباقى الى الخسيس الفانى وقوله ولم تسم بفتح التاء الفوقية وضم السين المهملة اى ولم تتعرض لاخذ الدين بدل الدنيا بل اخذت الدنيا وتركت الدين الذى تنجو به فى الآخرة وكان الناظم عنى نفسه فنادى عليها بالخسارة حيث اتبعت الشعر والخذم لابناء الدنيا ولو صحبها التوفيق لتركت ذلك واشتغلت بالدين لكن التوفيق بيد الله يعطيه من يشاء ومن يبع آجلا منه الخ هذا البيت تتميم لتحقيق الندم وتبكيت النفس لان فيه توعدا بالغبن حيث بين فيه ان من يبع الآجل بالعاجل يظهر له الغبن والمراد بالآجل الثواب الذى يكون فى الآخرة المحققة الباقية وبالعاجل الذى يأخذ من الدنيا الذاهبة الفانية وهذا على ما فى كثير من النسخ مما نصه ومن يبع آجلا منه بعاجله وفى بعضها ومن يبع عاجلا منه بآجله وعليه فالمراد بالعاجل الثواب الذى يكون فى الآخرة المحرزة الباقية وبالآجل الشئ الذى يأخذه من الدنيا الفانية الذاهبة وعلى هذا المثل المشهور برة عاجلة خير من درة آجلة ولما كان الثواب المذكور محققا ولا بد اطلق عليه عاجل لانه كانه حاصل بالفعل ولما كان الشئ الذى يأخذه من الدنيا غير محقق اطلق عليه آجل والظاهر ان الضمير فى منه راجع للدين فى البيت قبله كذا قال بعض الشارحين والظاهر انه راجع لمن يبيع كالضمير فى عاجله وقوله يبن له الغبن اى يظهر له الخداع وقوله فى بيع وفى سلم كل منهما متعلق بالغبن

والعطف

اذ قلدانى ما تخشى عواقبه ... كاننى بهما هدى من النعم
أطعت غى الصبا فى الحالتين وما ... حصلت الا على الآثام والندم
فيا خسارة نفس فى تجارتها ... لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم
ومن يبع آجلا منه بعاجله ... يبن له الغبن فى بيع وفى سلم

والعطف في ذلك من قبيل عطف التفسير لان البيع المذكور في كلام المص يسمى سلما فاندفع ما قال
الذي تقدم في كلام الناظم هو صورة السلم واين صورة البيع غير بيع السلم وبعض الشارحين طرق
احتمال ان يكون في كلام الناظم حذف والتقدير ومن يبع آجلا من متاع الآخرة بعاجلة من متاع الدنيا
او يشتري عاجلا من متاع الدنيا بآجله من متاع الاخرة فقوله في بيع راجع للصورة الاولى وقوله وفي
سلم راجع للصورة الثانية وفيه تكلف   ان آت ذنبا الخ هذا البيت تانيس للنفس وترجي لما في
رحمة الله تعالى وآت اصله أأت بهمزتين قلبت الثانية الفا فصار آت بالمد وهو مجزوم بان الشرطية وعلامة جزمه
حذف الياء وقوله فما عهدي بمنتقض من النبي اي فما ايماني بمنقطع عن النبي لان الذنب لا ينقض الايمان
فالمراد بالعهد الايمان فتكون الاضافة في قوله عهدي للعهد والمعهود هو الايمان وقوله ولا حبلي بمنصرم
اي ولا وصلي بمنقطع من النبي صلى الله عليه وسلم فالحبل مستعار للوصل وفي البيت الحذف من الثاني
لدلالة الاول كما في نظائره والتقدير ولا حبلي بمنصرم من النبي   فان لي ذمة الخ هذا البيت تعليل
للبيت قبله ووجه ذلك ان اختياره التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم دليل على محبته فيه فانه لا يتسمى بالاسم
الا من احب مسماه واما من يكرهه فلا يتسمى به وقوله وهو اوفى الخلق بالذمم اي وهو صلى الله عليه وسلم
اشدهم وفاء بها فيقوم بحقها بان يشفع لاهلها لعظم جاهه وعلو مكانته عند ربه وفي كلام المص
ترغيب في التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم وقد جاء في ذلك احاديث فعن انس بن مالك رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا
الجنة ولم نعمل عملا يجازينا الجنة فيقول الله عز وجل عبدي ادخلا الجنة فاني آليت على نفسي ان لا يدخل
النار من اسمه احمد او محمد وعن جعفر بن محمد اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد
فيدخل الجنة كرامة لاسمه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ آخر ينادي يوم القيمة يا محمد فيرفع رأسه في الموقف
فيقول الله عز وجل اشهدكم اني غفرت لكل من اسمه على اسم محمد وعن ابي امامة من ولد له مولود فسماه محمدا
تبركا كان هو ومولوده في الجنة رواه صاحب الفردوس وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ما من مائدة
وضعت فحضر عليها من اسمه احمد او محمد الا قدس الله ذلك المنزل مرتين وبالجملة فالتسمية باسمه صلى الله عليه
وسلم مندوب نسال الله تعالى ان ينظمنا في سلك محبته بمنه وفضله ورحمته   ان لم يكن في معادي اي ان لم
يكن صلى الله عليه وسلم في يوم عودي الى الله تعالى آخذا بيدي بان يشفع لي حال كون ذلك فضلا منه لا لسابقة
مني تقتضي ذلك فقل يا زلة القدم وهو كناية عن سوء الحال والوقوع في الهلاك والا اي وان لا يكن في
ذلك اليوم آخذا بيدي بان كان آخذا بيدي فقل يا ثبات القدم وهو كناية عن حسن الحالة وحصول النعمة
له فقوله فضلا بالمن جرده من نفسه فقل يا زلة القدم جواب الشرط الاول وهو قوله ان لم يكن في معادي آخذا
بيدي وجواب الشرط الثاني وهو قوله والا فان اصله ان الشرطية المدغمة في لا النافية فحذف ولدلالة ما قبلها
والسياق عليه والتقدير والا فقل يا ثبات العدم اي وان انتفى لم يكن آخذا بيدي بان كان آخذا بيدي فقل
يا ثبات قدمي وبهذا يندفع استشكال هذا البيت بان الظاهر منه ان قوله فقل يا زلة القدم جواب الشرط

إن آت ذنبا فما عهدي بمنتقض ... من النبي ولا حبلي بمنصرم

فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم يكن في معادي آخذا بيدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

Digitized by Google

الثانى فيصير المعنى وان انتفى لم يكن آخذا بيدى بأن كان آخذا بيدى فقل يا زلة القدم وهذا فاسد لاشك فى بطلانه وهذا كله على ما فى النسخ من قوله ان لم يكن فى معادى الخ وفيل الرواية فان يكن فى معادى الخ وعليه فلا اشكال لان جواب الشرط الاول محذوف للعلم به من المقام والسياق وجواب الشرط مذكور بقوله فقل يا زلة القدم وتقدير البيت على هذا فان لم يكن صلى الله عليه وسلم فى يوم عودى الى الله تعالى آخذا بيدى بان يشفع لى حال كونه ذلك فضلا منه لا لشئ منى يقتضى ذلك فقل يا ثبات القدم والا اى وان لم يكن كذلك فقل يا زلة القدم وهذا ظاهر لا اشكال فيه حاشاه ان يحرم الخ هذا البيت لزيادة تسكين النفس من خوفها وتقوية تطمينها من قلقها وحاشا هنا اسم بمعنى المحاشاة وهى التنزيه فهو واقع موقع المصدر فيكون منصوبا بفعل مضمر والتقدير احاشيه حاشا اى انزهه تنزيهه والضمير المتصل به فى محل جر باضافته اليه واما حاشا المستعمل فى الاستثنا فتارة يستعمل فعلا وتارة يستعمل حرفا كما هو مشهور وقوله ان يحرم الراجى مكارمه اى من ان يحرم النبى صلى الله عليه وسلم الراجى منه مكارمه فهو على تقدير من والفاعل ضمير يعود على النبى صلى الله عليه وسلم والراجى مفعول وسكنت ياؤه على لغة والمكارم جمع مكرمة والمراد منها الشفاعة ويجوز ضم ياء يحرم على انه مضارع احرم وفتحها على انه مضارع حرم فانه يقال احرمه يحرمه بضم الياء وحرمه يحرمه بفتحها ويصح بناء الفعل للفاعل وقد قدمنا الحل عليه ويصح ايضا بناؤه للمفعول وعليه فالراجى نائب فاعل وتسكين يائه ظاهر وقوله او يرجع الجار منه غير محترم الظاهر ان او بمعنى الواو فالمعنى وحاشاه من ان يرجع الجار منه اى المستجير به الداخل فى جواره حال كونه غير محترم بل يرجع محترما بشفاعته صلى الله عليه وسلم فالجار بمعنى المستجير ومنه بمعنى به وغير محترم حال من الجار جعلنا الله من اهل شفاعته اجمعين ومنذ الزمت افكارى الخ هذا البيت استدلال على قوة رجائه وانه لا يخيب فى ظنه فكانه قال انما قوى رجاى وانى لا اخيب فى ظنى لانى منذ الزمت افكارى الخ ومنذ ظرف زمان وهو ظرف لوجدته وافكارى مفعول اول لالزمت ومدائحه مفعول ثانى والضمير العائد على النبى صلى الله عليه وسلم مفعول اول لوجدت وخير ملتزم بكسر الزاى مفعول ثانى له وبه يتعلق الجار والمجرور قبله وتقدير البيت وجدت النبى صلى الله عليه وسلم فى الزمن الذى الزمت فيه افكارى مدائحه خير ملتزم لخلاصى من جميع الشدائد التى تصيبنى والافكار جمع فكر وهو حركة النفس فى المعقولات والمدائح جمع مديح وهو الثناء الحسن وانما كان صلى الله عليه وسلم خير ملتزم لخلاصه من الشدائد لانه وفى بخلاصه منها على احسن الوجوه واتمها واشار المص بذلك الى الداء الذى كان اصابه وهو داء الفالج والعياذ بالله تعالى منه وكان هو السبب فى انشاء هذه القصيدة فانه لما اصيب به عملها فرآى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ومسح بيده الكريمة عليه فعوفى فلما استيقظ قال له بعض اصحابه الصالحين اسمعنى القصيدة التى مدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم فلقد سمعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل مثل القضيب ولن يفوت الغنى الخ هذه الجملة مستانفة والغنى بالكسر مع القصر اليسار ومع المد تطريب الصوت مع شروق وبالفتح مع القصر الاقامة ومع المد الكفاية والضمير فى منه عائد على النبى صلى الله عليه وسلم والجار والمجرور متعلق بمحذوف

حاشاه ان يحرم الراجى مكارمه
او يرجع الجار منه غير محترم

ومنذ الزمت افكارى مدائحه
وجدته لخلاصى خير ملتزم

ولن يفوت الغنى منه يدا تربت
ان الحيا ينبت الازهار فى الاكم

اما

اما صفة للغنى او حال فالاول ان قدر معرفة والثانى ان قدر نكرة ومن للابتداء وقوله يدا مفعول
وجملة قوله تربت صفة ليدا وتربت بكسر الراء اى التصقت بالتراب لكونها مفتقرة افتقارا حسيا بان ضيعت
ماكان فيها من الاموال او معنويا بان ضيعت ماكان لها من الثواب لاقترافها المعاصى وانما لم
يفت الغنى منه صلى الله عليه وسلم اليد المذكورة لعموم الغنى منه صلى الله عليه وسلم لجميع الايدى التى تكون كذا
ومنها يد الناظم وقد استدل على ذلك بقوله ان الحيا ينبت الازهار فى الاكم ووجه الاستدلال بذلك انه كما
يشاهد محسوسا ان الحيا بالقصر الذى هو المطر ينبت الازهار جمع زهر فى الاكم بضمتين جمع اكمة كقصب جمع
قصبة والاكمة هى الربوة اى المحل المرتفع من الارض مع كونها ليست مظنة النبات لعدم استقرار الماء عليها
لعلوها كذلك صلى الله عليه وسلم ينيل الغنى من ليس مظنة الغنى وهو اليد التى تربت وانما انبت الحيا الازهار
فى الاكم مع انها مظنة عدم النبات بسبب عدم استقرار الماء عليها وسرعة انحداره عنها لعمومه حتى للاكم والتشبيه
المذكور انما هو على سبيل التقريب والا فهو عليه الصلاة والسلام لا يحيط بحقيقة كماله الا الله تعالى ولم
ارد زهرة الدنيا الخ لما كان قوله ولن يفوت الغنى الخ يوهم التعريض بطلب شئ من حطام الدنيا دفع هذا التوهم
بقوله ولم ارد زهرة الدنيا الخ اى وانما اردت الغنى منه فى الاخرة بالشفاعة فى المذنبين والمراد بزهرة الدنيا
مستلذاتها من المال وغيره وانما عبر عنها بالزهرة تشبيها لها بالزهر الذى لا يدوم التمتع به بل يتغير سريعا
فيكون فى ذلك استعارة تصريحية والتعبير بالاقتطاف ترشيح لها وهو اما باق على حقيقته او مستعمل فى الاخذ
وقوله يدا زهير فاعل باقتطفت والمراد بزهير الشاعر المشهور وهو ابن ابى سلمى بضم السين ابو كعب صاحب بانت سعاد
القصيدة المشهورة وله اخت تسمى الخنساء كانت شاعرة مشهورة وكان الشعر فيهم وراثة ولذلك كان زهير
من الشعراء المقدمين على سائر الشعراء الجاهلية كامرئ القيس والنابغة الذبيانى وعنترة وطرفة بن العبد
وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى زهير وعمره مائة سنة فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعذنى من شيطانه
فما لاك بعدها بيتا حتى مات وقوله بما اثنى على هرم اى بالمدح الذى اثنى به على هرم بكسر الراء وهو احد اجواد العرب
وكان احد ملوكهم وهو ابن سنان بن حيان بالحاء المهملة وبعدها مثناة تحتية وكان يصل زهيرا بالصلات
الجزيلة الخارجة عن العادة ومن جملة ما اتفق له معه انه حلف انه كلما مدحه اعطاه غرة عبدا او امة او فرسا
وانه كلما سلم عليه يعطيه كذلك حتى انه من كثرة ما اعطاه له استحى منه فكان اذا رآه فى قوم قال انعموا صباحا غير
هرم فكل هذا لم يرد الناظم لنفسه لاجل مدحه صلى الله عليه وسلم عن ذلك اذ لا يتوسل بالعظيم الا لنيل عظيم
يا اكرم الرسل الخ لما مدح النبى صلى الله عليه وسلم على سبيل الاخبار عن الغائب اقبل بالخطاب عليه صلى الله عليه وسلم فقال
يا اكرم الرسل وفى بعض النسخ يا اكرم الخلق ولكونه صلى الله عليه وسلم اكرم الرسل واكرم الخلق اختص بالشفاعة العظمى
وهى شفاعته صلى الله عليه وسلم فى فصل القضاء كما تقدم وقوله مالى من الوذ به سواك اى ليس لى احد التجئ اليه غيرك
وقوله عند حلول الحادث العمم اى عند نزول الحادث العام اى الشامل لجميع الخلق والمراد بذلك الحادث هول يوم القيمة
فان كلا من الرسل يقول نفسى نفسى ويخبر بان الله غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب مثله بعده والنبى صلى
الله عليه وسلم يقول امتى امتى وقيل المراد بذلك الحادث الموت   ولن يضيق رسول الله جاهك الخ اى بل هو رحب واسع

يسعني ويسع كل عاص مثلي لجد على بالشفاعة لتنقذني مما استحقه من العقاب والمراد من الجاه القدر والمنزلة وهو ماخوذ من الوجاهة وهي رفعة القدر وسعة المرتبة ويقال رجل وجيه اي معروف مشهور بحسن الذكر وجودة الرأي وقوله بجاى عني وقوله اذا الكريم تحلى باسم منتقم اي وذلك اعني عدم ضيق جاهه صلى الله عليه وسلم وقت كون المولى اتصف باسم هو منتقم واتصافه بذلك عند انتقامه بالفعل من العصاة وذلك الوقت هو يوم القيمة وتحلى بالحاء المهملة بمعنى اتصف وبالجيم بمعنى انكشف والاول اصح رواية والثاني اصح دراية وهذا الشرط لا مفهوم له فهو مفهوم موافقة لان جاهه عليه الصلاة والسلام لا يضيق في كل وقت وقد قيل في كلام الناظم اشكال كبير وقلق عسير اما الاشكال فلانه يقتضي ان الكريم يتصف في المستقبل بالانتقام لان اذا للاستقبال مع ان صفاته تعالى قديمة لم تزل ولا تزال واما القلق فلان الاسم عند اهل السنة هو المسمى وح فيكون التقدير اذا اتصف المسمى الذي هو الكريم بالمسمى الذي هو الاسم وهو المسمى الذي هو المنتقم وهو في غاية القلق ورد ذلك بان كلام الناظم مبني على طريق ابي الحسن الاشعري وهو المرضي من مذهب اهل السنة وحاصله في ذلك ان الكريم والمنتقم صفتان فعليتان فالكريم من له الكرم والمنتقم من له الانتقام والصفة الفعلية عند الاشاعرة حادثة لانه لا يرجع منها الى الفاعل معنى قائم به ولذا قال ائمتنا لا يتصف الباري تعالى بكونه خالقا في الازل الا مجازا ولا نسلم ان كل اسم عين المسمى بل من اسمائه تعالى ما هو غيره وهو كل ما دلت التسمية به على فعل كالخالق وبذلك اندفع الاشكال والقلق في كلام الناظم نعم يرد عليه انه يؤذن كلامه باجتماع صفتين متضادتين في وقت واحد في محل واحد فان المراد بالكرم التجاوز عن الذنب او ما يتضمن ذلك والمراد بالانتقام المؤاخذة بالذنب ولا يتأتى اجتماعهما في الوقت الواحد في المحل الواحد ويجاب بان المراد بالكريم من شانه الكرم والتجاوز عن الهفوات والمراد بالمنتقم من اتصف بالانتقام بالفعل فصفته تعالى الانتقام والاخذ بالجرائم بالفعل وهذا لا ينافي ان شانه تعالى الكرم والتجاوز عن الهفوات فان من جودك الدنيا الخ هذا البيت تعليل للبيت قبله فكأنه قال وانما كان جاهك يا رسول الله لا يضيق بي بل يسعني وغيري من العصاة لان من جودك الدنيا الخ ومن للتبعيض والمراد من الدنيا ما قابل الاخرى ولذلك جعلها الناظم ضرتها وفي كلامه تقدير مضاف اي خيري الدنيا وضرتها التي هي الاخرة فمن خير الدنيا هدايته صلى الله عليه وسلم للناس ومن خير الاخرة شفاعته صلى الله عليه وسلم فيهم وقوله ومن علومك علم اللوح والقلم من جملة التعليل لكون جاهه صلى الله عليه وسلم لا يضيق عنه لانه لا شك ان العلم من اكبر اسباب عظم الجاه وعلوه ويجوز ان يكون مستانفا ومن في قوله ومن علومك للتبعيض ايضا فهي للتبعيض في الموضعين والمراد بعلومه صلى الله عليه وسلم المعلومات التي اطلعه الله عليها فانه تعالى اطلعه على علوم الاولين والاخرين والمراد بعلم اللوح والقلم المعلومات التي كتبها القلم في اللوح بامر الله تعالى فانه ورد اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة من ما علي غير ذلك فليس مني اي ليس على طريقتي واستشكل جعل علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم بان من جملة علم اللوح والقلم الامور الخمسة

المذكورة

فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

المذكورة فى آخر سورة لقمان مع ان النبى عليه الصلاة والسلام لا يعلمها الا ان الله استأثر بعلمها فلم يتم التجيعى
المذكور واجيب بعدم تسليم ان هذه الامور الخمسة مما كتب القلم فى اللوح والا لا اطلع عليها من شانه ان
يطلع على اللوح كبعض الملائكة المقربين وعلى تسليم انها مما كتب القلم فى اللوح فالمراد ان بعض علومه صلى
الله عليه وسلم علم اللوح والقلم الذى يطلع عليه المخلوق فخرجت هذه الامور الخمسة على انه صلى الله عليه وسلم لم يخرج
من الدنيا الا بعد ان اعلمه الله تعالى بهذه الامور فان قيل اذا كان علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم فما
البعض الآخر اجيب بان البعض الآخر هو ما اخبره الله عنه من احوال الآخرة لان القلم انما كتب فى اللوح ما هو كائن
الى يوم القيمة فقط كما تقدم فى الحديث   يا نفس لا تقنطى الخ لما خاف الناظم على نفسه القنوط من رحمة الله تعالى
بسبب شدة الخوف اقبل عليها يخاطبها بتحقيق رجائه ويؤنسها بعظم فضل ربه واصل قوله يا نفس يا نفسى
بالاضافة الى ياء المتكلم فحذفت ياء المتكلم ويجوز ضم السين وكسرها كما فى قولك يا عبد وقوله لا تقنطى
اى لا تيأسى وهو بفتح النون على لغة كسرها فى ماضيه وبكسرها وضمها على لغة فتحها فيه وقوله من زلة عظمت
اى من اجل زلة كبرت فمن للتعليل ويحتمل انها للتعدية لكن على تقدير مضاف والاصل من غفران زلة عظمت
والزلة بفتح الزاى وتشديد اللام الذنب وقوله ان الكبائر فى الغفران كاللمم اى ان الذنوب العظام التى ارتكبتها
ايتها النفس فى جانب الغفران اى بالنسبة له كصغائر الذنوب فالكبائر هى الذنوب العظام واللمم بفتح اللام
المشددة وفتح الميم ايضا صغائر الذنوب ومعلوم انه تعالى يغفر الصغائر فكذلك الكبائر قال تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفى قول الناظم ان الكبائر فى الغفران كاللمم رد على من زعم
ان الكبائر ليست كالصغائر كالمعتزلة فانهم يقولون بان الكبائر لا تغفر بل مرتكبها يخلد فى النار
لانه ليس مؤمنا ولا كافرا فيقولون انه منزلة بين المنزلتين ويعذب بعذاب اخف من عذاب الكافر
والحق مذهب اهل السنة ان الكبائر كالصغائر فى الغفران وهو الموافق للقرآن والسنة وللدليل
العقلى لانه تعالى لا يجب عليه ثواب ولا يتحتم عليه عقاب فالثواب من فضله والعقاب من عدله لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون   لعل رحمة ربى الخ لما نهى الناظم نفسه عن القنوط كانها قالت له انا لا اقنط لكن اخشى
ان لا يكون حظى من الرحمة قدر ذنوبى التى ارتكبتها فاجابها بقوله لعل رحمة ربى الخ اى ارجو ان تكون رحمة
ربى تاتى فى القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم فمن حمل من العصيان حملا كبيرا كان ما يناله من
الرحمة شيئا كبيرا ومن حمل من العصيان حملا صغيرا كان ما يناله من الرحمة شيئا صغيرا والمراد الرحمة
التى تنال العصاة لا الرحمة العامة التى تنال المطيع ايضا فلا يقال اذا قسمت الرحمة بحسب العصيان لم يبق
للمطيع منها حظ فان قيل كلام الناظم يقتضى ان من كانت ذنوبه اكثر كان ما يناله من الرحمة اعظم وكيف
يصح ذلك مع ان من كانت ذنوبه اقل كان اقرب للرحمة واقرب منه من كان طائعا اجيب بان الكلام
فى الرحمة التى تنال العاصين وقسمها على هذا الوجه ممكن لجواز العفو عما عدا الشرك واورد عليه ان مقتضى
كلامه عدم دخول بعض عصاة المؤمنين النار مع ان المقرر فى علم الكلام انه لا بد من دخول طائفة منهم النار ثم
يخرجون بشفاعته صلى الله عليه وسلم واجيب بان الرحمة بالنسبة لمولانا هى الشفاعة العامة للاراحة من هول الموقف   يا رب

يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت ان الكبائر فى الغفران كاللمم

لعل رحمة ربى حين يقسمها تاتى على حسب العصيان فى القسم

يا رب واجعل رجائى غير منعكس لديك واجعل حسابى غير منخرم

Digitized by Google

والطف بعبدك في الدارين ان له ... صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم

واذن لسحب صلاة منك دائمة ... على النبي بمنهل ومنسجم

ما رنحت عذبات البان ريح صبا ... واطرب العيس حادي العيس بالنغم

ولجعل رجاءى الخ لما اشتملت هذه القصيدة على انواع التغزل وتوبيخ النفس والوعظ ومدح صلى الله
عليه وسلم وذكر بعض معجزاته ومدح القرآن ومدح الصحابة وذم الكفار والاقرار بالذنب ختمها بالدعاء ثم الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم وقوله يا رب اصله يا ربي بالاضافة لياء المتكلم ثم حذف ياء المتكلم للتخفيف وقوله ولجعل رجاءى
الخ معطوف على محذوف والتقدير يا رب ارحمني ولجعل رجاءى الرحمة غير منعكس اى غير خائب بان يحصل المرجو من عفوك
عن ذنوبي كبائرها وصغائرها وقوله لديك اى عندك وهو ظرف لقوله اجعل او لمنعكس وقوله ولجعل حسابي
غير منخرم اى اجعل ما حسبته اى ظننته من الجميل فيك وهو ان تنيلني من فضلك وكرامتك ما يليق بي غير ناقص
بان يحصل المحسوب اى المظنون تاما كاملا وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الاول اى غير منخرم لديك
وفي الحديث حكاية عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد قال من غلب عليه الرجاء
واني لارجو الله حتى كانني ارى بجميل اللطف ما الله صانع وفسر بعضهم قوله ولجعل حسابي غير منخرم بان المعنى واجعل
تعداد الامور الصادرة منك يا الله لي غير منقطع ونوقش بانه يلزم عليه ان الناظم طلب ان لا ينقطع عذابه
لان من نوقش الحساب عذب فكيف بمن طال حسابه فكيف بمن دام حسابه ولو قال ولجعل تعداد الامور الصادرة منك
يا الله لي غير مفوج بان يكون مستقيما لخلص من هذه المناقشة والطف بعبدك الخ هذا البيت من تمام الدعاء
ومعنى الطف ارفق اذ اللطف معناه الرفق وعني بالعبد نفسه واختار الوصف بالعبودية لما فيها من غاية الذلة والخضوع
وذلك مناسب لمقام الدعاء وقوله في الدارين اى دار الدنيا والآخرة اى فيما قدرته عليه فيهما ثم علل ذلك بقوله
ان له صبرا اى ان لعبدك صبرا لا يثبت بل متى تدعه الاهوال ينهزم امامها فيصير العبد بلا صبر فيهلك وباللطف
يندفع الهلاك وقد امتثل الناظم في هذا الدعاء لامره صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا يقول اللهم هب لي الصبر فقال
له طلبت من الله البلاء فاطلب منه العافية واذن لسحب صلاة الخ لا يخفى ان قوله ائذن فعل دعاء والاذن فيه حقيقة
بمعنى الاباحة واللام للتعدية والسحب بسكون الحاء كما هو لغة في السحب بضمها وان جعله بعض الشارحين للتخفيف
وهو جمع سحاب الذي هو الغيم واضاف سحب للصلاة من اضافة المشبه به للمشبه اى الصلاة المشبهة بالسحب في انها كالرحمة وقوله منك
صفة لصلاة وقوله دائمة صفة ايضا لصلاة ويحتمل انه صفة لسحب وقوله على النبي اى صادرة على النبي المعهود وهو سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم والباء في قوله بمنهل ومنسجم متعلقة بائذن فهي للتعدية وفي الكلام موصوف محذوف والتقدير بمطر
منهل ومطر منسجم والمنهل المنصب لشدته والمنسجم السائل لعكس شدته ما رنحت عذبات البان الخ اى مدة ترنيح عذبات
البان الخ فما مصدرية ظرفية والترنيح التمييل وعذبات البان اغصانه والبان شجر معروف طيب الرائحة وقوله ريح
الصبا بفتح الصاد فاعل برنحت والمراد بريح الصبا الريح الشرقية التي تهب صوب الكعبة وانما سميت بذلك لانها
تصبو اي تميل اليها وتسمى قبولا بفتح القاف لانها تقابل بهبوبها المشرق واصول الرياح اربعة الاولى الصبا وقد
علمتها الثانية الدبور وهي الريح الغربية التي تاتي من مغرب الشمس وانما سميت بذلك لان من استقبل المشرق استدبرها
والثالثة الشمال بفتح الشين وهي الريح البحرية التي يسار بها في البحر على كل حال وانما سميت بذلك لانها عن شمال
من استقبل المشرق والرابعة الجنوب بفتح الجيم وهي الريح القبلية وعامة المصريين يعبرون عنها بالمريسي لانها تهب
من بلاد المريس وهي طائفة من السودان حسان الوجوه وكل ريح جاءت بين مهبي ريحين يقال لها النكباء سميت بذلك لانها نكبت

أي عدلت عن مهب تلك الرياح الاربعة وقد نظم الشيخ السجاعي حاصل ما تقدم بقوله *

اصول رياح اربع سم بالصبا قبولا اتت من مطلع الشمس شرقيه دبورا اتت من مغرب الشمس فاعلمن لذا عند مصر ثم يا صاح غربيه
شمال تجي من عن شمال مشرق يسمونها في البحر تدعى بحريه جنوب تسمى بالمريسي نسبة لبلدان سودان وتسمى لقبليه
وما بين ريحين تهب فسمها بنكبا تجري كالاصول بلا مريه

وقوله واطرب العيس الخ اي ومدة اطراب العيس الخ فهو معطوف على قوله رنحت والاطراب احداث الطرب وهو خفة تنشأ عن سرور مقتضية للحركة والنشاط والعيس بكسر العين مناسبة لسكون الياء بعدها وان كان اصلها الضم وهي ابل بيض يخالطها شقرة اي حمرة شديدة وهي من كرام الابل ويقال للذكر اعيس وللانثى عيسا والمراد بحادي العيس سائقها فهو من حدا يحدو اذا ساق الابل وقوله بالنغم متعلق باطرب والنغم بفتح النون الصوت الحسن وللابل خاصية عظيمة في حصول الطرب لها عند سماع صوت الحادي وكل ما كان الصوت احسن كان طربها اكثر حتى انها لتقطع المسافة الكثيرة في الزمن القليل بسبب ما يحصل لها من النشاط عند سماع الصوت الحسن ولا يخفى ان الترنيح والاطراب المذكورين لا ينقطعان ما بقيت الدنيا فلذلك اقت الصلاة بهما ويحتمل انه اراد بذلك التابيد فكانه قال دائما وابدا وانما خص البان والعيس لانهما من مالوفات الاحبة وتخصيص ريح الصبا اظهر من ذلك لانها تصبو الى باب الكعبة الذي هي اعظم مكان في البلد الذي هو مسقط راس حبيبه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يحتمل انه اشار بالعذبات الى عذبة النبي صلى الله عليه وسلم لتمايلها بتمايله صلى الله عليه وسلم عند سماعه المديح واشار بالبان الى ذاته الشريفة لطيب رائحتها كطيب رائحة البان بل اعظم واشار بالعيس الى امته لطربهم عند سماع المديح كطرب العيس عند سماع صوت الحادي واشار بالنغم الى المديح وحاصل المعنى على هذا ما تمايلت عذبة النبي صلى الله عليه وسلم عند سماع المديح واطرب المادح امته بمديحه صلى الله عليه وسلم وفي هذا البيت والذي قبله براعة الختام وتسمى حسن المقطع وحسن الخاتمة وهي في الشعر عبارة عن ختم القصيدة باجود بيت يحسن السكوت عليه لانه آخر ما يبقى في الاسماع وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به ويوجد في بعض النسخ ابيات لم يشرح عليها احد من الشارحين لكن لا باس بها وهي

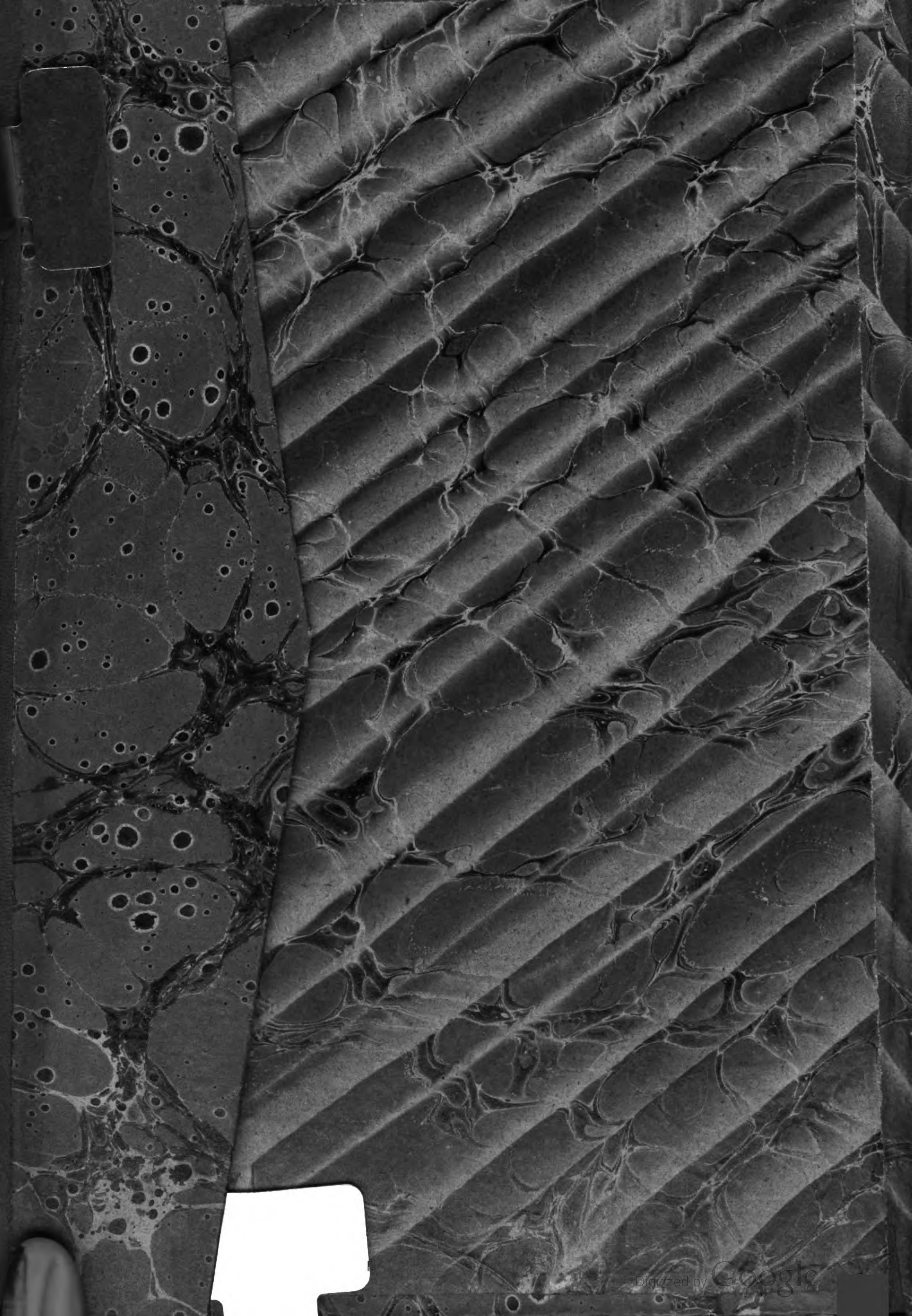
ثم الرضا عن ابي بكر وعن عمر وعن علي وعن عثمان ذي الكرم
والآل والصحب ثم التابعين فهم اهل التقى والنقى والحلم والكرم
يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم
واغفر الهي لكل المسلمين بما يتلوه في المسجد الاقصى وفي الحرم
بجاه من بيته في طيبة حرم واسمه قسم من اعظم القسم
وهذه بردة المختار قد ختمت والحمد لله في بدء وفي ختم
ابياتها قد اتت ستين مع مائة فرج بها كربنا يا واسع الكرم

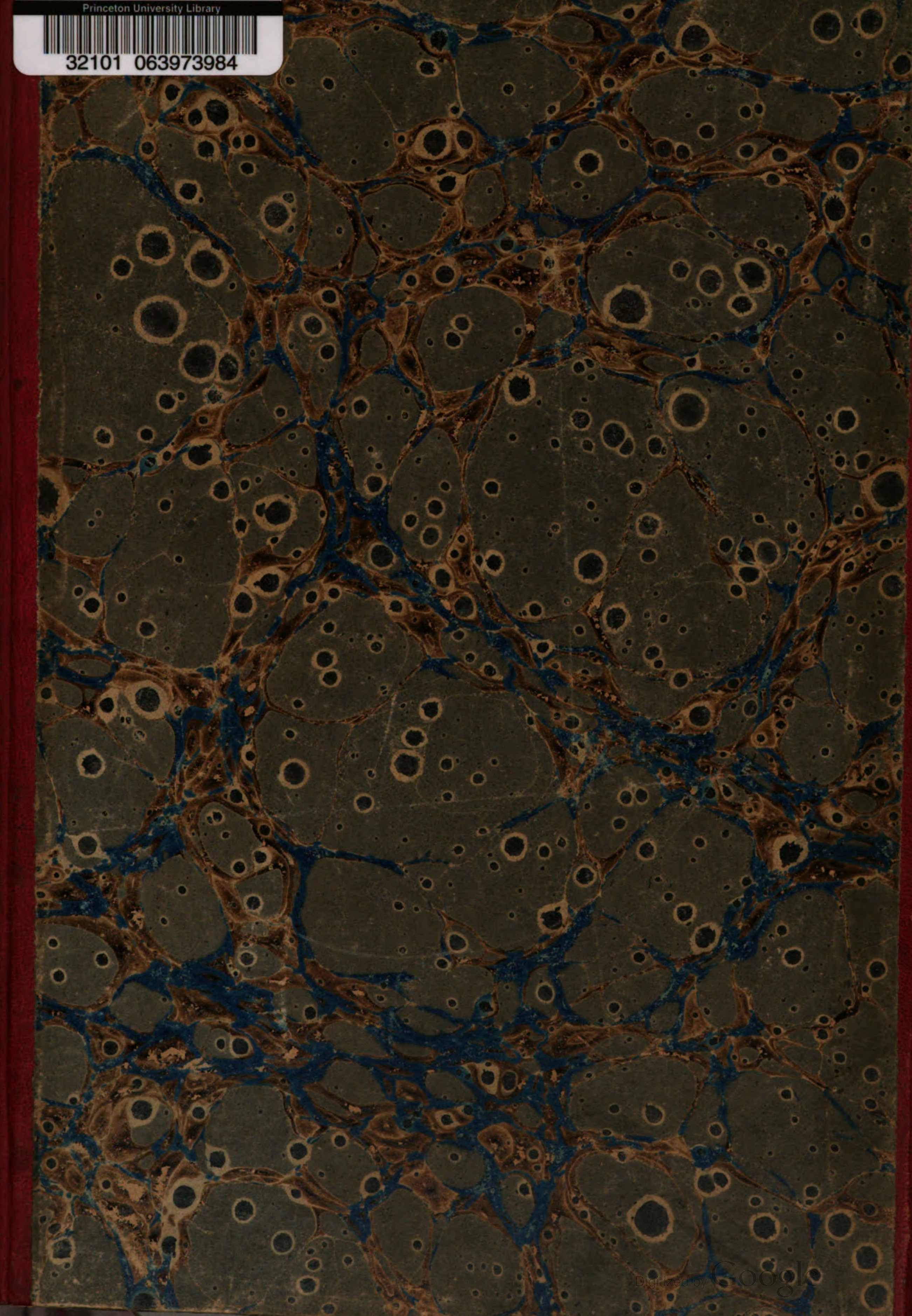
فرج الله الكرب عنا وعن سائر المسلمين بجاه سيد المرسلين وآله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين وكان الفراغ من جمع هذه الحاشية المباركة في يوم الاثنين المبارك من ايام شهر شوال من شهور سنة ١٢٢٩ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية والحمد لله رب العالمين

وقد تم طبعها بمطبعة حضرة احمد
افندى الازهري بتصحيح العلامة
الشيخ على المخللاتي
كان الله له في الماضي
والآتي

٩١
Digitized by Google

Digitized by Google


Digitized by Google


Princeton University Library
32101 063973984
Digitized by Google